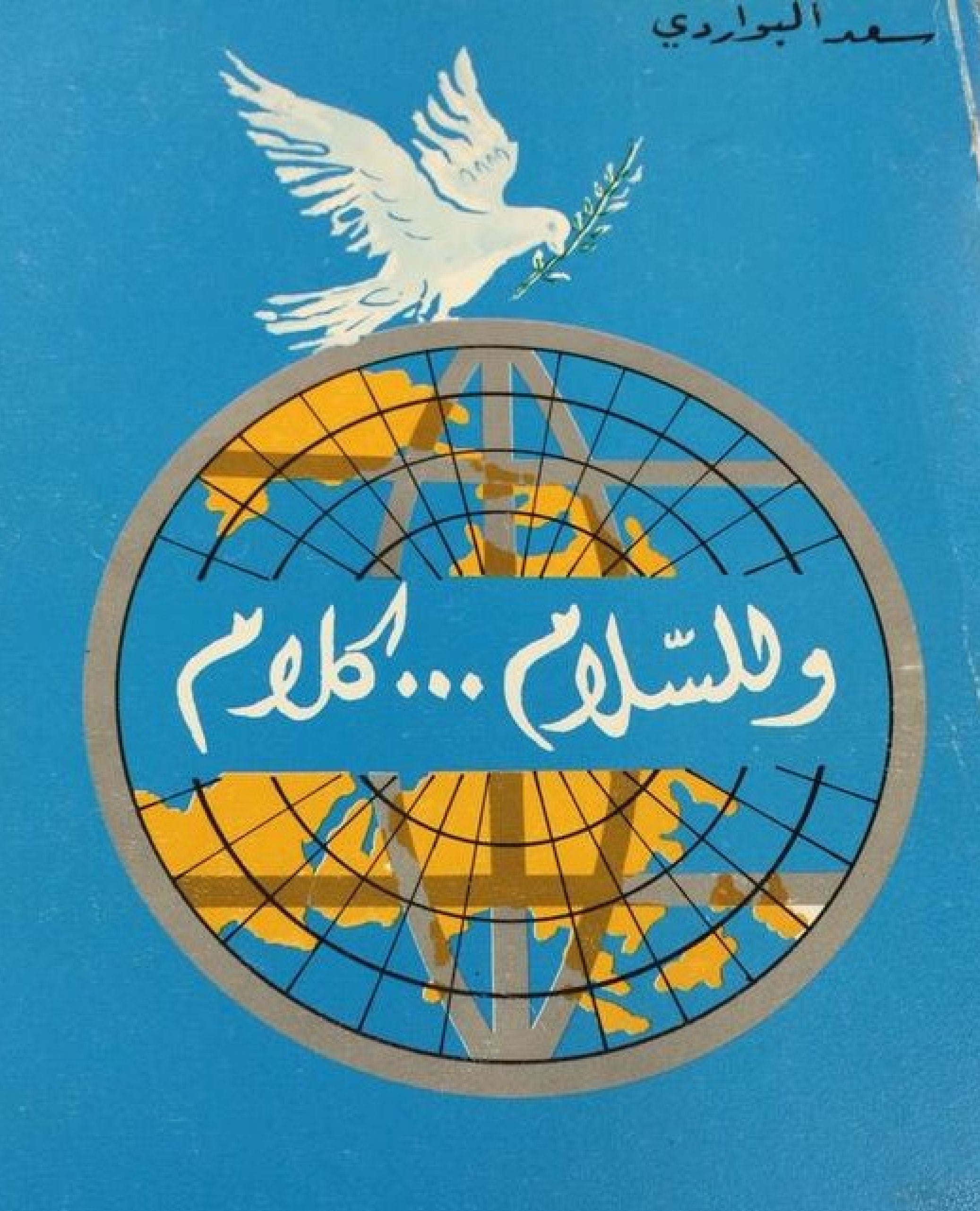


صدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون

وللسلام ... كلام

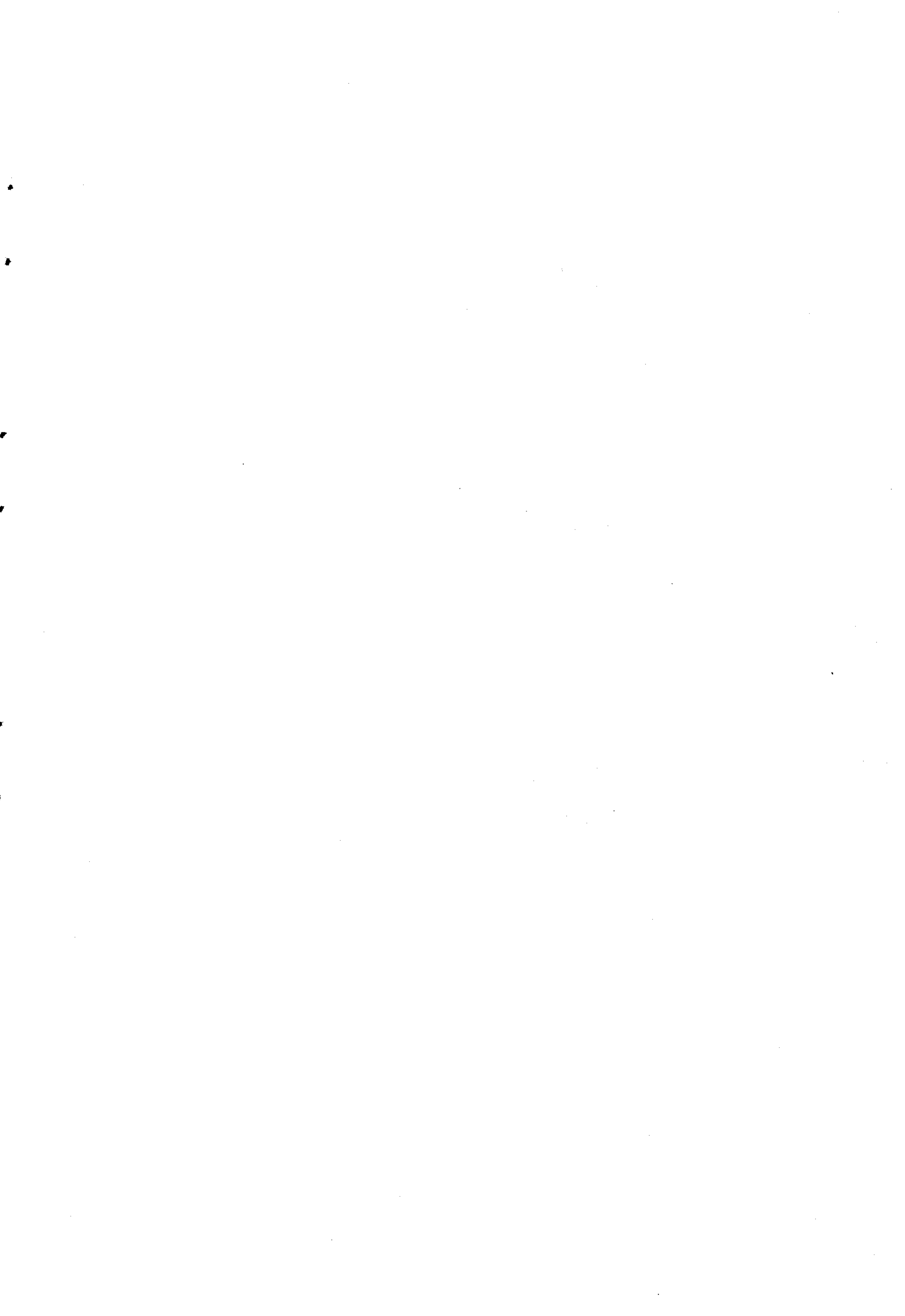
سعد البواردي

وللسلام ... كلام

الطبعة الأولى
١ / ١ / ١٤٠١هـ

الإهداء ...

إلى الذين تستهويهم الثرثرة المسالمة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

السلام الاجتماعي أولاً ..

لاسلام أمني دون سلام اجتماعي يمد قواعده.. ويشد جسوره وسواعده.. والسلام الاجتماعي في مفهومه الواسع هو الحب بكل مايعنيه الحب من معنى.. ومضمون.. ومحتوى..

هو بناء الإنسان فكراً .. وكياناً..

هو بناء الإنسان أمناً .. وأماناً..

هو بناء الإنسان حقاً .. وحقيقةً..

هو العلاقة المثلى بين الأفراد .. والتعامل الأمثل بين الجماعات

هو المشاركة الواعية الأمينة في الأمل .. والألم..

هو الدفع لعجلة الحياة .. نحو الأمثل ..

وهذه الكلمات التي يحويها هذا الكتيب ليست جديدة.. إنها مجرد إضافة متواضعة لرصيد ضخم طرقه أكثر من قلم.. لأكثر من خاطرة.. في أكثر من مكان..

وعذري فيما أعطيت أنها الامكانية في حدودها.. وفي تجاوزاتها.. بل وفي عثراتها..

ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه

المؤلف

١ / ١ / ١٤٠١هـ

الربيع مما أورق في الاعماق

قال لصاحبه وكانت تعلو محياه ابتسامة عريضة:

ــ ان هي الا ايام .. ويزهر الربيع.. وتخضر الأرض.. ونهرع الى البر جميعا لنعيش مع عبقه واريجه بعيدا عن اسوار المدينة.. وصخبها.. ورتابة ايامها..

والتفت اليه صاحبه.. قال: انا معك في ان جو المدينة الخانق يبعث على السأم والملل.. وان الربيع القادم فرصة للنقلة من جو ضاغط الى افق رحب مفتوح.. ولكن الربيع في مفهومه الواسع اعمق مما نتصور..

الربيع ليس خضرة أرض.. ولا براعم شجر تزهر.. الربيع الواسع هو ان تورق في اعماقنا اغصان الحياة.. والفال.. والحب.. فما ندع للكآبة.. ولا للتوتر.. ولا للجوع الحسي.. والمعنوي منفذا اليها..

هذا هو الربيع الدائم الذي لايستمطر ماء.. ولا ينتظر نماء اكبر من ماء السعادة.. ولا اكثر من نماء الحب..

اننا بهذا الربيع نغرس.. وننبت .. ونجني على مدى ايام العمر.. حتى لو كان البر من حولنا قاحلا مجدبا..

أما الربيع الذي تحدثني عنه فليس اكثر من نقلة قصيرة.. وجرعة يسيرة سرعان ماتنتهي.. وتترك لنا على خارطة ذكرياتنا مايذكرنا ان الربيع.. كالخريف طارق يفد ويستأذن ثم يرحل.. فلا عبقه باق.. ولا ريه ثابت.. انه دون الربيع الذي يجب ان نزرعه ليخصب..ويخصب في اعماقنا..

وجد الحل في صلاته

قال محدثي:

زرته.. في دارته الانيقة ذات الحديقة الصغيرة المنسقة..لم اجده لحظتها وجدت ابنه البالغ من العمر احد عشر عاما..وكان يتحرك بيديه.. وبقدميه..تارة الى اعلى.. وتارة الى اسفل.. واخرى يقوس ظهره في معركة مع تمارينه الرياضية التي اوصى بها استاذه.. ووافق عليها والده.. سألته عن ابيه.. قال ومازال في حركاته شبه البهلوانية..

ــ انه في زيارة لخالته..

بعدها بيومين.. كانت لي عودة ثانية.. ووجدته.. ووجدت ابنه كما الفيته أول مرة ما ان ينتهي من حركة.. حتى يعقبها بحركة ثانية.. وثالثة.. ورابعة.. وسألت صاحبي:

ــ لم كل هذا الاجهاد بالنسبة لطارق.. انه مازال صغيرا على مثل هذه التمارين..؟

قال:ــ

ــ ولكنها الرياضة.. الهواية التي يعشقها.. ويجد فيها متعته.. وسلواه.. ثم انها تعطي لجسمه القدرة والسرعة على الحركة.. وعلى بناء العضلات.. وهكذا قال استاذه واوصى..

قلت له:

ــ ان خمس صلوات يؤديها كل يوم تمنحه كل مزايا هذه التدريبات واكثر منها.. ذلك انها عبادة فهي رياضة لروحه.. ورياضة لجسمه.. كل جسمه وبشكل منظم التوقيت لا فوضى فيه..ولاخطورة

معه.. الزمه ان لاتفوته صلاة.. انك بذلك تبني روحه.. وتقيم جسده.. وتدرأ عن جسمه الصغير مخاطر الوقوع والصدمات..

وقال محدثي:

ونجحت الخطة.. فلم اعد ارى على وجه طارق تلك المسحة من الاعياء.. والاجهاد.. لقد وزع حركاته داخل محراب صلواته.. وكسب الرهان..

السمو في الاستشعار

ان يستشعر الفقير فقره.. ان يعبر المريض عن أسقام وآلام مرضه.. ان يعيشا معا معاناة الفقر والمرض فأمر طبيعى.. بل وحتمى..

اما ان يستشعر .. وان يعانى اولئك الذين لم يعرف الجوع ولا السغب طريقا الى حياتهم.. فتلك قمة المعاناة ومثاليتها..

ان تكون المعايشة وليدة تجربة لا اثارة فيها.. اما ان تكون المعايشة وليدة تأثر بالغير فأمر فى غاية السمو.. والحنو.. والانفعال الانسانى.. وعبر التاريخ الطويل برز اشخاص ولدوا وفي فمهم ملاعق من ذهب او ملاعق من فضة.. فتحوا عيونهم على هزال اجساد المعلولين.. وفتحوا آذانهم لسماع اصوات الشاكين.. وفتحوا افواههم للدفاع عن قضايا المظلومين.. وكانوا بالنسبة لمجتمعاتهم شموعا تضيء عن اقتداء.. وقوة ومشاركة..

ويكاد لا يخلو مجتمع من هذه النماذج الرائعة التى ركلت وسادة الذات واندفعت بكل حماسها زحام الدرب مستشرقة بحسها واقع البسطاء من الناس.. ملتمسة بانامل‍ها مواطن شكواهم.. مؤكدة لهم ان الانسان روح وطموح.. قبل ان يكون مادة.. وهذا على ما أحسب.. وفى هذا على مأأحسب يوجد الحد الفاصل بين من يعيشون لذاتهم.. ومن يعيشون لواجباتهم..

شحاته.. والزوجات الأربع

(شحاته) بواب العمارة التي أقطنها سألته ذات مرة وكنت انتظر عودة المصعد الكهربائي.. سألته..

كم امرأة تزوجت..

كان جوابه

اربع..

سألته..

— وهل جميعهن في عصمتك..؟! ام فيهن مطلقات..

قال..

ـابقيت على واحدة.. وطلقت ثلاثا..

قلت..

واسباب الطلاق ..؟! ودواعيها.؟!

وكان رده..

لانهن انجبن لي اناثا دون الذكور.. لقد كنت الذكر الوحيد بين خمس اخوات.. وكانت امي ومازالت تتطلع الى مولود ذكر..

ومن هنا فان ميلاد انثى يعني ميلاد زواج جديد..

قلت له..

— ولكن ماذنب زوجاتك يا شحاته.. انهن مثلك عاجزات عن الاختيار.. ان نوعية المولود ارادة سماوية لاسلطان لانسان عليها.. بل انك انت نفسك بالنسبة لاية نتيجة ترضى عنها او لا ترضى..

قال..

لقد قلت لك السبب.. واذا عرف السبب بطل العجب..

وكان ردي وانا اتحرك لدخول المصعد..

ــ ياشحاته.. اننا رجال قساة.. قساة.. لانرحم لاننا نحمل شريكات حياتنا .. ما لايحتملن.. وما لايحملن..

تربية العجول.. وتربية العقول

يقول البعض ممن يصبغون افكارهم بصبغة التشاؤم:

«ان تربية العجول اسرع مردودا وربحا من تربية العقول»..

ومع ان هذا الحكم لايخلو من قسوة.. الا انه ايضا في بعض معانية لايخلو من صحة..

ولكن أي مردود يعنيه قول هؤلاء؟!

من الواضح انه المردود المادي.. والمادي وحده.. ذلك ان تربية العجول على الرغم من انها اسهل بكثير من تربية العقول.. الا ان ربحها ينمو.. ويتكاثر سيما ونحن في زمن اصبحت فيه شريحة اللحمة تباع بوزنها.. بينما شريحة الفكر لاتجد من يشتريها.. او يبحث عنها..

هذا صحيح.. اذا كان استثمارنا ماديا من اجل ملء الخزينة ليس الا.. ولكن.. ومع تسامينا بالنظرة الى المفهوم الحي.. فان تربية العقل مهما كانت شاقة.. وصعبة.. وطويلة.. الا ان نتائجها تجعل من مردودها في معيار الضمير الواعي ثروة لا تقاس بها كل عجول الدنيا..

والذين يربون العجول هم انفسهم يتحركون في محيط قدراتهم.. واقدارهم.. مثلهم مثل غيرهم ممن يركبون الصعب.. ويبحثون على الاغلى جهدا.. والاعلى ثمنا.. وحتى لوكان هذا الثمن لا تصرفه شبابيك المصارف..

الكل يربي.. هذا يربي عجلا من اجل اشباع البطن.. وذاك يربي عقلا من اجل اشباع الروح.. ولا بد للانسان لكي يحيا من أن يشبع بطنه.. وعقله في آن واحد..

الربيع والفسيخ

قالو غدا يبدأ فصل الربيع.. وقالوا غدا يبدأ شم النسيم.. وانتظرت الغد..

تخيلت اريج العطور تضمخ أفواه الورد يحملها الكبار والصغار على السواء تحية للضيف العزيز القادم.

تخيلت الغد وهو يرقص نشوان فرحا بزهره.. وعطره.. فأعددت له الزهور.. وهيأت من أجله العطر.. وجاء الغد.

جاء يوم شم النسيم.. او يوم شم الفسيخ.. وليته ماجاء العطر توارى.. والزهر طوحت به موجة الفسيخ الصاعقة المتصاعدة من كل فم.. في اي مكان ذهبت.. والى اي مكان هربت..

والفسيخ.. أو السمك المحنط المقتول ملحا.. والرديء مذاقا وريحا.. وجبة لازمة لازعة لدى بعض اشقائنا العرب.. لا يستقبلون الربيع الا على اطباقه.. ولايشمون النسيم الا على رائحته الغير محببة.. وكأنهم بهذا يعاقبون الربيع الجميل.. والنسيم العليل باكره طبق..وأمره طبق يمكن ان يقدم على مائدة كلها ورد.. ورياحين.. ومع هذا فقد طعمت شما لا اكلا.. طعمت لان كل نسمة استنشقها باتت مفسخة.. ان لم اقل موسخة.. على الرغم مني وعلى الرغم من حاسة الشم الضعيفة ومضى اليوم على خير ولملم الربيع الضيف اطباق المائدة المقدمة له على غير شهية. وكان يبتسم في تسامح ويوزع ابتسامته زهورا وعطورا على من حوله كان يهمس مع كل زهرة.. بخبرة لايعيها الا الذين يرفضون اكل الفسيخ قائلا: «انهم.. انهم بالفسيخ يقتلون الربيع».

جهل الزوجة يعني فشل حياتها

قبل ان نتحدث عن مشاكل الزواج في عمر بناتنا.. لابد وان نتحدث عن مشاكل الزوجة قبل ان تزف الى عش الزوجية.

ان في اسرها الغنية من لايهتم باعداد بناته لبيت المستقبل.. لأنه القادر على تأمين الطباخ والشغالة لابنته بعد زواجها.. يكفيه فقط ان تكون حاملة لشهادة ثانوية او جامعية .. وان تكون في هندامها وقوامها النموذج الراقي للبنت المتحضرة.

وهذا على مااحسب غلطة كبيرة على حسابها هى.. وعلى حساب زوجها بعد ان يجمعهما النصيب..

فالمرأة قبل ان تكون قادرة.. وقبل ان تكون متعلمة من الوجهة النظرية يجب ان تكون معدة اعدادا سليما للقيام بمتطلبات بيتها.. وزوجها واطفالها

لابد ان تعرف كيف تعد الطعام بعيدا عن قدرتها على ايجاد طباخ ولابد ان تعرف كيف تعني ببيتها بعيدا عن قدرتها على اصطحاب شغالة بل ولابد ان تعرف كيف تربي اطفالها دون الاعتماد على مربية.. حتى ولو كانت قادرة على ذلك..

ان الحكاية ليست حكاية قدرة او عجز على ايجاد عوامل الخدمة.. وانما يكمن في ان تكون نفسها مدرسة قائمة بذاتها.. مسلحة بسلاح العلم والمعرفة.. والحيطة لكل طارىء.

وزيجات كثيرة فشلت لأنها افتقدت اهم عناصر الجذب.. والزم مقومات التماسك.. وهى ان لاتظل الزوجة فقط صورة وسوارا..

وفستانا.. وانما رعاية.. ودراية.. وخبرة.. وتلك هى اهم خصائص الزوجة في حياة زوجها،،،

أعمارنا تقاس بأعمالنا

اطول الناس اعمارا اجلهم اعمالا.. وحصيلة..
واقصر الناس اعمارا اقلهم اعمالا وحصيلة..

ولم يعد في قاموس حساب العمر وحده تلك الارقام من الاعوام والشهور ولا تلك الايام والساعات والثواني.. انها وحدها غير كافية لتقويم مساحة العمر.. ولا مسافة المرحلة التي عاشها الواحد منا.. عبر حياته الطويلة او القصيرة..

فالعمر كما يجب ان نفهمه مطية نختارها.. لأهداف نسعى الى تحقيقها.. المطية تتمثل في الاعوام والايام.. والاهداف تتمثل في الاعمال والمعطيات..

ولرب شاب ودع في الثلاثين من عمره كان اطول عمرا.. واحفل سجلا من آخر قضى بعد مائة عام او يزيد.. فالعبرة بالمحصلة لا بطول مسافة العمر.. والعبرة بالنتيجة.. لا بالوسيلة ايهما كانت اطول.. وايهما كانت اكبر..

ولو اننا استنفدنا عشر اعمارنا اعمالا لامتلأت الصفحات... ولما وجدنا في حياتنا ثغرات كثيرة.. ومواقع خلل واحباط .. لدوافع النمو في مساره الفردي.. والجماعي..

ولكن اعمارنا جلها لا كلها نستنزفها في عبث وتثاوب وتواكل.. وحين نتصرف فمن خلال نظرة قاصرة مرتدة.. تكاد لاتبصر ابعد من مواقع الاقدام..

ان اعمارنا .. هي اعمالنا.. اما ماعدا ذلك فمجرد ارقام فقط لا

تصرف من خزينة الزمن دون ان يكون لها رصيد مماثل من الايداع والابداع...

الصدق والكذب

الصدق كلمة خيرة تصدر عن الوجدان الانساني لتزرع وردة في جسد الحب تمنحه النضارة والتماسك.

والكذب كلمة شريرة تصدر عن الوجدان الشيطاني لتزرع شوكة على درب الاخلاقيات تدمي اقدام التماسك والمحبة والاحبة..

كلاهما الصدق.. والكذب.. الاول يفتح نافذة لينفذ منها النور باشعته الذهبية ليملأ رحاب البشر بشرا ونقاء.. وطهرا.. اما الثاني فانه لا يكتفي بايصاد نافذة الضوء.. وانما يسلط من عتمته وظلامه ليحيل النهار ليلا.. واليقين شكا.. والصواب خطأ وخطيئة..

الصدق معدن دونه معدن الذهب قيمة.. وقمة.. لأن الصدق ثراء للقلب.. اما الذهب فثراء للجيب.. اما الكذب فإفلاس سلوكي دونه الافلاس المادي مرارة وقهرا.. عن الصدق قيل الكثير.. قيل عنه انه جسر التعامل الوحيد بين الناس.. قيل عنه انه النبضة الحية التي يدفع بها وجدان حى لآخر .. قيل عنه انه الاعمدة والاساس التي يقوم عليها بناء المجتمع ونماء الانسانية..

اما الكذب فيكفي انه الاختلاق واللااخلاق.. انه الضلال والتضليل.. وانه يقف هرما اسود كالحا حالكا بين مجموعة الاخطاء الاخرى هرما مهزوما حيلة في هدمه كما قال شاعرنا العربي القديم.

لي حيلـــة فيمــــن ينـــــم
وليس لي في الكـــذب حيلـــة
من كان يخلـــق ما يقـــول
فحيلتــــــي فيــــــه قليلـــــــة..

بل لعل الحيلة فيه مفقودة مفقودة.. مفقودة

الحكم على الظواهـر

يجب ان لا نحكم على الأشياء بظواهرها.. والا لحكمنا على السراب بانه محيط من الماء تتدفق أمواجه فتعطى شطآنه.. كثيرون منا يتكلفون البسمة وهم في أعماقهم يبكون.. كثيرون منا يتصنعون المودة.. وأنياب أذاهم تنهش غيرهم تحت جنح الظلام.. والخفاء..

كثيرون منا يتظاهرون بالعطاء ليقال عنهم انهم كرماء.. وفي المواقف حيث يجب العطاء يتوارون عن عالم المحسنين..

كثيرون منا تراهم بوجه منظور واحد.. ولهم وراء الحجاب أكثر من وجه.. وأكثر من صفة.. واكثر من تناقض..

كثيرون منا يملكون ولكنهم عاجزون .. وكثيرون منا لا يملكون ولكن لديهم القدرة على الحركة..

كثيرون منا صامتون وفي اعماقهم تغلي المراجل.. وتتصارع الاحداث.

وكثيرون منا يثرثرون.. وفي أعماقهم صمت بارد أشبه بقاع المحيط حين يتخلى عن ثرثرة امواجه الطافية على السطح..

كثيرون .. وكثيرون يشبهون السراب خيالا.. وشكلا.. وحين تبحث عن الماء في واقعهم ومحيطهم يصفعك اليأس.. ويطوح بك البؤس.. وتجرفك المتاهة بين خيال احببت وبين ظلال ابصرت.. وبين صورة وواقع يرفضان حب الخيال.. واستراحة الظلال.. لأنهما ضدان.. ان لم نقل مجموعة اضداد لا تلتقي.

الأجر الأغلى

العمل الذى يقدم بدون اجر معلوم.. يكلف اكثر من الأجر المعلوم ــ ان أى اتعاب يقوم بها انسان من اجلك دون ان تحدد من اجلها المقابل تكلفك الكثير والكثير عن طيب خاطر.. او عن احراج تحسه.. او خجل تدفعه بما تعطي..

والاذكياء هم الذين يساومون.. ويقدرون اتعاب اي عمل قبل الارتباط عليه. خشية ان يقعوا في المطب.. ويدفعون دون حساب.. لقد جربت الاتفاق.. وجربت الوفاق..

جربت الاتفاق المسبق فارتاح جيبى.. وارتاحت نفسي.. وجربت الوفاق دون ضبط او ربط لما سيعمل.. وكان ان احرجت ودفعت وانا اغالب الخجل المطلوب.. مع سيل وافر من الشكر.. ومن الاعتذار..

هناك مثل شعبي يقول:

«شد لي.. واقطع لك»

وهاك مثل آخر يقول:

«دقق الحساب.. وطول العشرة» وما احلى ان يكون تعاملنا واضحا .. محدد الثمن.. بعيدا عن الغيبيات»، وعن النيات.. وعن الافتراضات المجهولة..

نصيحة..

قبل البدء في العمل يأتى البدء في معرفة الاتعاب.. وبكل دقة في الحساب حتى لاتدفع اكثر.. وحتى لاتحرج اكثر.. وحتى لاتخجل اكثر .. واكثر.

الخطأ.. بتفاوته

الخطأ هو الخطأ.. الا انه يتفاوت فى درجاته ونوعياته.. وبالتالي فى نتائجه وانعكاساته.. هناك خطأ مع النفس يمكن تلافيه وبيسر وسهولة..

وهناك خطأ مع الآخرين يمكن تداركه واصلاحه في يقظة وصحوة من الضمير.. الا ان اكبر الاخطاء، وافدحها اثرا ونتيجة هو ذلك الخطأ المتعمد.. وعلى المستوى القومي الوطني المصيري..

خطأ النفس شيء محدود الأثر.. والخطأ مع الآخرين شيء معدود يمكن ان يغتفر متى كان التراجع سهلا وميسورا.

الا ان الخطأ في حق أمة بكاملها.. في ماضيها بعراقته.. في حاضرها بكرامته وفي مستقبلها بمصيره وتطلعاته خطأ يرقى الى درجة الجريمة التى يلعنها التاريخ.. يحاسب عليها.. ويعاقب. مرتكبيها مهما كانت مواقعهم. وقدرتهم على المغالطة والمناورة..

وفي التاريخ ذابت اخطاء كثيره لفها النسيان لأنها كانت في احجام صغيره لامكان لها في ذاكرته.. ولا في سجلاته..

اما الاخطاء الجسام فقد صححها التاريخ باندفاعه الحاسم الجازم.. وابقى علىها في سجله كذكريات قاتمة.. وكصفحات سوداء لمن يبحثون عن عبره.. ولمن يتعظون.. ويرعوون.

والتاريخ يكرر نفسه.. انه يفتح في سجله صفحات معتمة صنعها بعض ابنائه الجاحدين.. ليقول لمن بعدهم ممن سيأتي:

لقد اخطأوا.. لقد تعمدوا وخانوا وبانوا.. وهذا مابقى من رصيد لهم في خزانة الذكريات.. وفي خانة الذكرى.

وللطيور عقول ايضا

لو اننا امعنا النظر فيما حولنا من كائنات حية ناطقة أو عجماء على السواء لاستعدنا الكثير من الدروس.. ولادركنا ان ماكنا نتصوره مخلوقات عاجزة او قاصرة التصرف أمر يفتقر الى الصحة والى الموضوعية..

واذا كان الانسان سبق غيره دون شك بعقله.. وبتفكيره.. وبنطقه وبقدراته الغير محدودة على العطاء .. فان الحيوان أو الطير صغيرا أو كبيرا يحيا داخل دائرته وفي محيطه بخطى محسوبة.. ومنظمة.. تعرف مالها..وما عليها .. في دقة متناهية..

واذا كانت النظافة مظهرا لازما لكل شيء في حياة احدنا.. في مطعمه.. في شربه.. في لباسه.. في بيته.. فان طائر الببغاء اعطى لي اضافة جديدة علي ماكنت اجهل.. واظنه من مميزات الانسان وحده..

لقد ابصرته وهو يتناول بمنقاره قشرة تفاحة من أرضية قفصه علق بها ما علق بها.. أبصرته يتناولها بمنقاره ليطهرها من كل طاريء عليها.. ولم يكن ذلك كافيا لديه ليأكلها.. وانما غمسها بمنقاره في اناء الماء المعلق الى جواره لكي تكون اكثر نظافة.. واكثر قابلية للأكل..

طائر لايكتفي بالمسح.. وانما يعقبه بالغسل لما يطعم.. والغريب المضحك انه يوجد فينا نحن البشر من يلتهمون طعامهم بعلاته.. دون احتراز ولا مجرد مسح لغبار علق في رغيف .. أو حبة فاكهة.. لقد تذكرت الحكمة القائلة:

«الوقاية خير من العلاج»

وتساءلت مع نفسي اينا اسبق الى فهمها والعمل بها..؟ الطائر الذي يمسح.. ثم يغسل..؟

ام نحن الذين نكتفي احيانا من الحكمة بترديد كلماتها.. ليس الا..

القتل البطيء

لست رجل قضاء لأفتي.. ولست عالم طب لأقرر..

مجرد انسان يدرك ان وقع الألم والمعاناة في نفس صاحبه مر.. مدمر.. وقاتل..

والألم الذي اتحدث عنه ليس ذلك الألم الذي ينشأ عن مرض عادي.. أو عن عملية جراحية لمرض عادي يمكن علاجه والقضاء عليه..

ان مثل هذا الألم.. والمعاناة منه حتى لوطالت وطال أمره يتطلب منا الصبر.. والتحمل.. والتقبل لكل مايبذل.. حتى ولو كان مايبذل على مستوى الآلام وتباريحها..

إنني اعني ألما واحدا لا شفاء منه لمرض واحد لاعلاج فيه.. ترى لماذا يزيد الاطباء بمحاولاتهم اليائسة الفاشلة قطعا.. لماذا يزيدون في حياة مريضهم الميئوس منه من رقعة المعاناة.. وآلام الاحتضار.؟

ان الحالات القاتلة التي توصل ضحيتها الى مرحلة الغيبوبة.. واقتطاع الكثير من اجهزة الجسم الحيوية.. على امل ان يعيش لبضعة ايام أو حتى لبضعة شهور يعاني وتعاني. ان هذه الحالات الصعبة الاحتمال من المحاولات تعني اضافات من العذاب.. وتراكمات من الآلام.. وتعني ان الموت يعطي له بالقطارة جرعات.. وجرعات عبر ايامه المحدودة وشهوره الاخيرة المعدودة..

وحتى لاتكون مساحة الالم طويلة في حياة من لا حياة له .. فان علينا ان تكون جرعاتنا مسكنة.. مهدئة لاتستأصل ولا تعذب الا على أمل .. ومع الأمل وحده يمكن للمريض تجاوز اي عذاب..

حكم الصرعة

الويل لانسان تحكمه الصرعة..
فما يتصرف الا عن هوى وعاطفة..
وما ينطق الا عن نفاق.. واختلاق..
وما يعطي الا على مضض. وفي شح..
الويل لانسان ينتصر لقوة الخطأ على ضعف الحق.. لأن طاقة الخير في نفسه موثقة بقيود الضعف والرهبة.
الويل لانسان تحكمه المادة فما يبصر الا من خلال ما يقبض.. ولا يعطي الا من خلال مايستعبد.. ولا يمد يده الا من خلال ما يعصر ويهصر.. الويل لانسان يسبق شكه يقينه.. يسبق عجزه اقتداره.. يسبق ليله نهاره.. يسبق يأسه أمله.. تتعرى اغصان حياته ومازالت غضة بدافع الوهم.. وبدافع الهروب من مواجهة عوامل التعرية المنكرة المبكرة.

الويل لانسان لايبصر الا نفسه وحدها.. ومن اجلها فان كل شيء سواه لايهم .. لايهم اكان احترق.. ام كان غرق.. ام كان شرق بدموعه في متاهة الدرب.. وفي ضباب المأساة..
الويل لانسان يتخلى عن انسانيته.. عن عدالته.. عن رحمته.. عن تواضعه.. وعن مشاركته للآخرين.. وعن مباركته للآخرين..
الويل له.. وحتى لو كان محصنا من الشكوى.. ومن البلوى.. لأن صرعة الذات في اعماقة اكبر من كل شكوى.. وأمر من كل بلوى..

النظرة القاصرة

لايكاد يخلو مجتمع من المجتمعات من بعض عادات توارثها وتعارفها .. منها ماهو الحسن.. ومنها ماهو الرديء.. ومنها ما هو بين بين..

ولعل من اسوأ واردأ هذه العادات مايتمسك به البعض منا في نظرته الى الزوجة كامرأة تعامل كما يعامل الخدم تلبي ما يطلب منها فقط.. اما دون ذلك فليس من حقها ان تحتج.. ولا ان تطلب.. ولا ان ترفض..

والزوجة شريك حياة ومصير ومستقبل لها الحق كل الحق داخل بيتها.. ومع زوجها ان تتحرك في حرية بعيدة عن القسر.. والعبودية والاذلال.. بعيدة عن الاحتقار والامتهان المدمر ولك ان تتصور الى اى مدى تقبع الحواجز النفسية بين زوجين على شكل عزل رهيب يفصل بينهما.. ويباعد بينهما.. وكأنما كانا غريبين يعيشان في كوكبين متباعدين متضادين..

لك ان تتصور الاثر النفسي المدمر لامرأة حرمتها العادات الموروثة العقيمة من ان تشارك زوجها وجبة افطاره... او وجبة غدائه وعشائه.. حتى وجبة الطعام انعدمت فيه المشاركة لأن العادات والتقاليد امر يجب التسليم به ولو كان خاطئا.. ان عش الزوجية لايتسع للفواصل ولا للحواجز.. والا تحول الى زرائب.. والى زنزانات تحكم على من فيها بالسجن وحتى لو كانوا طلقاء ،،،

الخطأ .. والخطيئة

بين الخطأ والخطيئة حد فاصل يميز احدهما عن الثاني.. ويرسم الابعاد لكل منهما..

فالخطأ نتيجة ممارسة.. وعمل.. يستوي في ذلك الخطأ العمد.. والخطأ الجهل.. والخطأ اللبس..

وكلا الخطأين الآخرين لا يرقيان الى درجة الخطيئة الا اذا شدهما الخطأ القصد.. وازاح عنهما قافلة التراجع والتصحيح وابقى على الخطأ كما لو كان ممارسة متعنتة على جادة الانحراف.. والانحراف الخاطىء..

الخطيئة هي نهاية المطاف على جادة الخطأ حين يكون الاصرار على اقتراف الذنب امراً حتمياً لارجوع عنه..

واذا كانت اخطاؤنا وهي كثيرة ظاهرة طبيعية لنوازع الحركة ومؤثراتها.. ولتداخلات الحماس الفطري المشبع بالرغبة والجموح المتسرع ..فان خطايانا وهي الاصعب يجب ان نقتلها باذكاء روح الصحوة القادرة على الاستذكار.. والاستغفار..

والاعتراف.. والندم..

وحتى لاتكون اخطاؤنا خطايا.. فان موجة من التراجع عن الكبرياء الاعمى يجب ان نجعل منها مظلة واقية تحد من اندفاع المغالطة والمكابرة.. وتسد من منافذ التسرب اللااخلاقي الذي يحكم نزعات النفس في لحظات من صراعاتها ويشحنها بشحنات مثقلة بالاوزار.. والخطايا..

العزلة الكبرى. والصغرى

اذا كان ابتعادنا عن الله جل شأنه يعني نهايتنا.. فان ابتعادنا عن خلقه يعني انطوائيتنا.. وعزلتنا..

وكما ان الحي موجود بغيره.. ومع غيره فان الحياة نفسها تفتقد جوهرها وقيمتها اذا كانت معزولة خلف جدار..

لا احد يستطيع الادعاء في قدرته على ان يكون عالما مستقلا بذاته دون ان يشاركه احد في ذلك العالم.. حتى ولو كانت قدراته كبيرة.. وكثيرة..

ولا احد يستطيع ان يتصور حتى مجرد تصور ان في امكانه الهروب من عالم غيره الى عالم ذاته دون ان يرتطم بصخرة المعاناة الفردية التي وجدت مقيدة مكبلة بأغلالها في حالة عزلها وانطوائيتها.. صحيح.. ان لكل شيء ثمنا..

ان لمشاركة الحياة همومها واثقالها .. كما ان لها مسرتها وافضالها.. الا انها دون شك قدر الانسان الذي لايستطيع ان ينفك عنه.. ولا ان يهرب منه.. حتى ولوشاء.. وحتى لو فكر.. وحاول..

فالانتحار الحسي هو ان تفتقد نفسك في غيرك.. ان لايكون لك وجود الا مع نفسك.. هو لون مريع من الاحباط والقتل يتساوى في مأساته مع ازهاق الروح.

الحديث عن التاريخ

حين تكون الذكريات جزءا من التاريخ.. فان التحدث عنها يقتضي الامانة والصدق..

وفي تاريخ اية امة من الامم توجد سجلات وصحائف تتحدث عن الماضي.. منها ما انتزع من واقع الاحداث.. ومن فم المتعاملين معها.. ومنها ما بنى على الحدس والتصور.. ومنها اضافات هامشية اعطيت مسحة التاريخ.. وما هى بتاريخ..

ومن هنا فان التاريخ اى تاريخ تعرض لمطبات.. وثغرات واضافات واحيانا لمغالطات وبدا كما لو كان كشكولا من يقظة الاحلام.. واحلام اليقظة.

ومن هنا ايضا فان سرد الاحداث .. وتدوينها يجب ان يكون في منأى عن تداخلات ومؤثرات النفس.. دون نقص او زيادة والا تحول التاريخ الى مايشبه الاحاجي الخرافية المسلية التي نقصها على أطفالنا لندغدغ بها عواطفهم او لنسلمهم بواسطتها الى النوم المبكر.. والذين لايعون شيئا عن التاريخ.. يجب ان يبتعدوا عن قافلة الرواة والذين يعون بعضا من التاريخ.. يجب ان يقتصر ما يروون على مايعون..

ذلك ان ما نرصده للأجيال القادمة من خلفيات يعد رصيدا وتراثا يجب ان ننأى به عن الافتراض والحشر..

والا فإننا سنكون بتهاوننا قد ظلمنا التاريخ.. واسأنا الى ماضينا من خلال ما ننقل مما لايعقل،،،

الفكر .. او السياسة..

لايعنينا كثيرا ان يتحدث«سارتر» عن منهجه الفلسفي.. او ان يتحدث«كارتر» عن نهجه السياسي.. فكلاهما «سارتر» و«كارتر» وهما مثالان فحسب وكلتاهما«السياسة»و «الفلسفة» قناتان من قنوات التصور البشري قد تصيب وقد تخطىء.. وقد تجمع احيانا بين الخطأ والصواب في آن واحد.

والذي يعنينا من كل ذلك قناعتنا في ان لا نختط لأنفسنا منهجا نستوحيه من غيرنا دون ان تكون لشخصيتنا الذاتية اثر فيه.. وتأثيرها عليه.. وقبل ان نتأثر به.

وسيان اكان المد فلسفيا يتعلق باللاكان.. واللاشيء.. بالعدم والوجود.. بالجبال والحظ.. والزمان كما افاض سارتر في فلسفته وتحليله للوجود.. وسيان اكان الفيض سياسيا لانكاد نستبين له وجها محددا وملموسا.. ومعلوما.. فان استقراءنا لكل ذلك.. على الصعيدين المنهجي والنهجي يجب ان يكون مدروسا بحذر.. وحيطة.. بحيث لانأخذ منه الا ما يتفق مع استيعابنا العاقل. وتصورنا السليم.. وما يدفع بحقوقنا .. ويدافع عنها.. ويدرأ عنها كل المزالق والاختناقات.

نحن لانرفض الحق والحقيقة.. فكرا.. او سياسة.. أياً كان مصدر ذلك الفكر.. وأياً كان مصدر تلك السياسة.. الا ان من حقنا ان نتعامل معها دراسة.. وتجربة.. وغربلة.. ويقينا بالقدرة على الفرز.. والاختبار والاختيار.. والاضافة.. وبعد ذلك كله.. وقبل ذلك كله ان تكون لنا استقلالية الحركة بما تعنيه من تقبل.. ورفض.. من اخذ

وعطاء.. ان نافذتنا على العالم والعلم مفتوحة.. ويدنا للعالم والعلم ممدودة.. ومن اجل هذا فاننا لن نسمح بغبار الحيرة.. ولا بضباب السياسة واحابيلها وعقابيلها.. وستكون نافذتنا معبرا مفتوحا لكل ما يخدم الحرية.. والانسان.. والفكر.. والحق..

ثلاث لاتحبها فهي شابة

انها احدى قريباتي.. عمرها في عمر أمي أو أكبر.. ومع هذا فمازالت شابة شابة في روحها.. وابتسامتها.. وتعلقها بالحياة لاتمل لها مجلسا.. ولا تكل لها حديثا.. انها تسلمك الى الفرحة.. مع كل عبارة تفوه بها وكأن المرح كلمات تنساب متدفقة من بين شفتيها..

في كل حديث لا تنسى تذكر باشياء ثلاثة لا تطيق له اسماعا.. لا تطيق ذكر الموت.. لأنها لا تريد ان تتخيل القبر والنهاية.. لاتريد ان تفتح للحزن نافذة الى قلبها.. والى ذاكرتها حتى لا تكتئب.. لا تطيق ذكر الزواج.. لأن تعلقها بزوجها وحبها له وخوفها عليه يدفع بها الى ان تنسى ان في الحياة شيئا اسمه الزواج.. والطلاق.. او تراكم الزوجات..

ولا تطيق ذكر الشيخوخة وكبر السن فهي تتعامل مع عمرها المتقدم بأحلى اللباس وبأغلى المصاغ.. انها تريد دائما ان تظهر كما لو كانت في الثلاثين من عمرها..

برغم انها بلغت العقد السابع من عمرها.. واوشكت ان تلج الى العقد الثامن.. فما زالت روحها المرحة تدفع بها في احضان النسيان.. والابتعاد عن المنغصات الى ان تعيش وتعيش كما لو كان عمرها في اول براعمه.. وأوج ربيعه ونضارته.. انها نموذج للمرأة التى تعيش الأمل الضاحك بكل معاييره ومن كل زواياه..

انها.. انها اسعد امرأة عرفتها وربما كانت من اسعد من لا اعرف ايضا.

ابتهال

اللهم اني اعوذ بك من(الشك) و(الشرك).. و(الشقاق)و(النفاق).. وسوء الاخلاق..(وسوء المنظر) و(سوء المنطق) و(سوء المنقلب في المال.. والاهل .. والولد)..

فحيث يكون الشك يهتز اليقين..

وحيث يكون الشرك يتداعى الايمان..

وحيث يوجد الشقاق ينتحر الوفاق على مخالب اللجاجة.. والجدل..

وحيث يتحدث النفاق تضيع الحقائق بين طيات الاختلاق..

وحيث يسود سوء الاخلاق تتحطم القيم .. ويتهدم صرح الفضيلة..

ومع سوء المنظر تطل الدمامة.. والقبح..

اما سوء المنقلب في المال.. فانه يعني الخسارة.. ليست بفقد المال وحده.. وانما ايضا بطغيانه على نفس صاحبه.. وعلى تصرفاته مع غيره.. من منطلق مادي مريض محض.. واخيرا حيث المنقلب السيء في الاهل والولد.. حيث تاتي الفاجعة او الفواجع.. القطيعة بعض منها .. العقوق بعض ملامحها..

الكوارث.. والنكبات والعاهات.. والتشرد جوانب مريعة لسوء المنقلب في الاهل.. والولد.. يارب اننا نعوذ بك.. ونلتجىء اليك من كل قلوبنا.. عن كل عيوبنا.. وعن كل مخاوفنا ابتداء من الشك.. وانتهاء بسوء المنقلب.. يارب..

الدكتوراة.. بداية لا نهاية

«الدكتوراه».. نهاية.. وبداية.. نهاية لمرحلة.. نهاية لمرحلةتحصيل واستيعاب وبداية لمرحلة ممارسة وتطبيق..

والنجاح هنا ليس نجاح شهادة تحصيل دراسي فقط بمقدار ماهو نجاح عمل وعطاء ولن يكون العمل والعطاء مالم يعط حملة المؤهلات العليا فرصتهم المتماثلة مع معطياتهم.. فرصتهم في ان يعمقوا ما اخذوا من نظريات وخبرات في مجال اعمالهم ليدفعوا بها عجلة العمل تخطيطا .. وتنظيما.. وتطويرا..

واذا كانت القلة القليلة ترى ان الحصول على شهادة عليا يعد نهاية المطاف وهدف الأهداف فان هذا الافتراض والتصور يحتاج الى الكثير من التوفيق.. والموافقة.. ذلك ان الشهادة العليا ليست اكثر من اجازة مرور علمية يتخطى بها حاملها وعن طريقها قنطرة التفاعل والتعامل الحي مع مجتمعه ومتطلباته.. وعن طريقها وبواسطتها يأخذ مكانه امام مختبر التجربة الفعلية.. والعملية.. فقد ينجح وهذا هو الافتراض المنطقي المطلوب.. وقد لا ينجح.. اذا كانت افتراضاته سلبية النزعة.. هامشية التصور..

من هنا فان طلائعنا المتعلمة مطالبة اكثر.. واكثر بان تعي مسئوليتها.. وتتحمل تبعات واجباتها.. لاعن طريق الانكفاء والاكتفاء بما يطلب منها على مستوى العمل وحده.. وانما باسلوب المشاركة الواعية في طرح التصور العلمي بواسطة قنوات البحث والنشر والمخاطبة..

تلك وحدها القادرة على اثراء تحركنا الحضاري.. ومواكبة قافلته التي لم تعد ترى تفوقا الا تفوق ما يعطى على صعيد الانجاز.. والانجاز العملي الفاعل وحده.

الكتاب.. ماذا يعني؟!

وخير جليس في الأنام كتاب...

فهل كل ماتتلقفه ايدينا من كتب يصح عليه هذا الحكم من بيت الشعر؟! هل كل الكتب أمينة صادقة بحيث نرتاح الى سطورها.. ونركن الى معانيها دون حذر.؟!

الكتاب وعاء فكري يضم محصلة فكرية تتحدث عن صاحبه.. والوعاء والمحصلة قد تكون صعبة الهضم وقد تكون شهية لكنها قاتلة وقد تكون دسمة حلوة في مذاقها.. الا انها ضارة وقد تكون وجبة غذائية روحية تنشط العقل.. وتثري الروح.. وتبني الجسد..

وكما ان علينا ان نختار الاصدقاء.. في يقظة ووعي.. فان علينا ايضا ان نميز بين كتاب وآخر .. بل وان نميز بين فكرة وفكرة داخل صفحة واحدة من كتاب.. يجب ان لا نستقبل كل ما نقرأ بالموافقة والمعانقة او بالرفض. ان شيئا من الحيطة والحذر يجب ان يواكب رحلتنا في جادة الفكر ونحن نستعرض معطيات الآخرين.. وان يكون تعاملنا في الهضم والاستيعاب على ضوء فهمنا الواعي المنطلق من قناعات الحس.. وصواب التصور..والا فإننا ننسخ قدرة الشخصية الذاتية على رفض ما لايصح .. وعلى فرض ما يصح..

الكتاب... كالصديق كلاهما يجوز فيه الخطأ والصواب.. وكلاهما رصيد يجب الحفاظ عليه من حيث سلامته.. وسلامة التعامل معه.. حتى ينمو الرصيد في بنك التعامل دون.. اخطاء .. ودون ابطاء..

المطلب المستحيل

من الظلم الفادح ان نطالب انسانا ما بأن يكون مثاليا في كل خصائصه وممارسته.. حتى مجرد الافتراض بمثالية انسان ما شطوح عن الواقعية.. وسرحان في متاهات الآمال السرابية التي لا يمكن تحقيقها..

ان مثالية الانسان لا وجود لها على ارضية الواقع.. ومثالية الواقع لو صحت لها هذه التسمية تكاد تتحدد في اولئك الذين يفيض رصيدهم.. وتزيد كفة حسناتهم وفضائلهم عن سيئاتهم ونقائضهم.. شريطة ان لا تكون تلك المساوىء والنقائض متعمدة الوقوع.. متحدية التراجع..

المثالية.. أو التكامل.. مجرد امنية تدغدغ احلام الباحثين عن الانسان الافضل.. الانسان الفضيلة.. الانسان الذي لاسواد في سجله.. ولقد دغدغت هذه المثالية احلام افلاطون فجسدها افكارا في آفاق جمهوريته الفاضلة.. دون ان يقترب بها .. ودون ان يقترب منها على مستوى البعد الثاني للواقع الانساني..

وكما ان المثالية خيال لايمكن الوصول اليه.. لان واقع الانسان يكذبه ويرفضه.. إن كفة الفضيلة في حياة الانسان حين ترجح مثقلة بالخير.. والحب.. والنماء تعد.. احدى الاجنحة المحلقة.. والمحققة لطموحات ليست كل ما يطلبه الانسان ويتمناه.. الا انها على الاقل انتصار لهدايته على غوايته.. ولملاكه على شيطانه.. حتى ولو لم يبرأ من خطأ.. وخطل.. وعثرات..

المهم ان ينتصر لعقله حين يحتدم الصراع بين العقول والعواطف .. ان لاينهزم..

كلاهما متعب

كلاهما متعب.. الباحث عن الشهرة حيث تبهره اضواؤها فيتمنى لو ركب موجة الشهرة.. واعتلى سنام الاضواء.. والمجهد من الشهرة.. ومن بريق عدساتها وضوضائها والذي يجد متعته وسلواه في لحظات خلوة تعزله عن كل شيء.. الا عن الوحدة.. والافراد .. والتمتع ولو بنزر يسير من حريته المطاردة.. المطوقة مع كل حركة.. الشهرة كالمال مطلب مغر.. الا انه مكلف.. بل وباهظ التكاليف..

الشهرة كالمال يطمح اليها كثيرون.. ويتمنونها.. يلهثون وراء غبارها المتصاعد املا في استنشاقه.. وما ان تمتلىء رئتهم بذلك الغبار حتى يلسعهم سعاره.. وحتى يهدهم سعاله.. وحتى يستيقظون على صحوة لا كصحوة الاصحاء.. وانما صحوة المجهدين من فضول الشهرة.. ومن ضريبتها المثقلة على النفس وعلى الجسد.. على السكنة وعلى الحركة على حد سواء..

كثيرون ممن تربعوا على قمة الشهرة يعترفون بان اسعد لحظات حياتهم بضع ساعات اختلسوها بعيدا عن المتابعة.. والفضول .. اختلسوها وقضوها في عفوية.. وبساطة كما لو كانوا عاديين .. ممن لم يتح لهم حظهم فرصة النجاح..

بل .. وكثيرون يتمنون لو عادوا دون شهرة تقيد من حريتهم وتفصل بينهم وبين مايرتاحون اليه..

كلاهما متعب.. الباحث عن الشهرة.. والهارب من الشهرة.. وبين الاثنين تعددت وتعرجت مسالك الطريق نحو الحيرة..

حتى القبلة.. اصبحت بثمن..

حتى قبلة الاطفال لابويهم اصبحت بضاعة تباع وتشترى في سوق التعامل النقدي لحياة الاسرة..

قديما كان الصغير منا يتلهف على قبلة حانية يطبعها احد ابويه او كلاهما.. يطبعها على خده دون ان يفتح فمه لأكثر من كلمة شكر.. وعبارة امتنان..

اما الآن فان قبلة او قبلات تنشدها من طفلك او طفلتك تكلفك المقابل ومقدما يتم الدفع.. والا فان التمرد على منح القبلة سوف يمتد ويمتد .. بل ان جسور العلاقات سوف تهتز مالم توطد قواعدها بالعطاء.. والبذل. مع مطلع شمس كل يوم..

وليس كل اطفال اليوم يساومون على قبلاتهم.. ويقاومون من اجل الحصول على ثمنها الا أنني انتزع بعض اطفالي من هذا الاستثناء بحكم تعاملي معهم.. وبحكم البيع والشراء لقبلاتهم.. وبحكم الدفع المسبق لعدد تلك القبلات..

صحيح اننا نقضي جيلا قفز مبكرا على خشبة البورصة.. واصبح لا يتعامل وهو الطفل الصغير الا من خلال ما يقبض.. ومن خلال ما يوعد به من عطاء يسيل له لعابه. وتستقبله حصالته.. اما الذين ينتظرون استجابة اطفالهم لمطالبهم.. وايديهم فارغة جافة فان عليهم الانتظار طويلا طويلا.. وقد لاينتهي الا على رنين النقود وعلى خشخشة الاوراق النقدية حتى لو كانت صغيرة في قيمتها.. الشرائية..المهم.. الثمن .. الثمن لكل شيء حتى لقبلات الابناء الصغار لآبائهم،،،

حين نتعمق انفسنا في المرآة..

لو ان الواحد منا استكشف لنا تناقضاته عبر ذاته.. ومن خلال مرئياته الخفية.. ماذا سيبصر...؟

اي شكل.... وبأية صورة سيرى وجهه...؟ انفه... عينيه ... فمه... لسانه... اسنانه...؟!

سيرى وجهه غابة.. غاية في الضخامة... والهزال... له كل المساحات على شتى الاصعدة... والساحات... الا ان مساحته تارة ممتدة... واخرى مرتدة... تارة تسقى الوردة... وثانية تدوسها...

بالانف نشم الأشياء لكي نميز بين الاريج... وبين العفن... الا اننا احيانا نلغي قاعدة الشم لنختار الأسوأ...

بالعينين.. حيث يسبح النظر عبر بحيرة الأحداق... تبدو الأشواق... ويبدو الشراع الثاني حاملا غمزه... ولمزه... ويبدو الشراع الثالث يجدف بمجاديف القصور في الابصار... وبالفم... تلك الهوة العميقة الواسعة التي تشبه فتحات بركان خمدت نيرانه... ان الطريق اليه... وعر.. وعر.. ورهيب... انه يلتهم كل شيء... يلتهم ما يؤكل ... ومالايؤكل... يلتهم مايحتاج... ومالا يحتاج... انه الطريق السالك على جادة جوعنا الذي لاينتهي...

اما اللسان... فتارة كروان يغنى...واخرى شيطان يصرخ ... وثالثة فيلسوف ينثر حبات فكره على ارضية البشر.

والأسنان.. تلك الحراب المشرعة وسط فوهة الفم... انها سلاح مدافع... ودافع... مدافع حين يكون قضمها صحيا... ودافع حين يكون قضمها افتراسا لاتقوى المعدة على هضمه...

غابة فى رأس الانسان مليئة بالصور...والمشاهد لو ابصرنا من
خلال مرئيات ذاته الخفية..

كرهت اسمي بسببه

لا احد يكره اسمه الذى اعطي له بعد مولده وان كان فينا من يفضل لو ان اسمه استبدل باسم آخر بعد ان شب عن الطوق.. وتعرف على الاسماء..

لذا فانني احد الذين لم يحتجوا.. ولم يكرهوا.. حتى الامس القريب والقريب جدا.

اما اليوم فقد شعرت بضيق.. قد يرقى الى درجة الكراهية.. والاحتجاج والسبب واحد..

«سعد حداد» هذه النقطة السوداء في جبين الانسان.. لم تعكر صفو الكلمة وحدها.. وانما عكرت صفو الوطنية.. والانتماء والامانة..

(سعد حداد) اكثر من عميل.. واكبر من خائن.. واحقر من سمسار.. اذ يطعن وطنه.. ويجهز على بني قومه بالمدية المسمومة التي امدته بها (اسرائيل).. وباركتها..

لاحد يرفض اسمه ولا يكره اسمه.. أما وقد وجد «سعد حداد» فإن بريقا لم يعد يشدني الى اسمي.. وان رغبة لم تعد تربطني به رغم انني لا استطيع عنه مهربا.. ولا فكاكا.

ومع هذا.. سوف اتحرج من ذكره.. الى حين يرحل«الحداد» قتيلا بمديته المسمومة المشئومة.،،،

ايهما الأقــرب ؟!

«الام» أم «الأب» ايهما اقرب الى عاطفة الابناء.. ولا اقول ايهما احب؟.

تساؤل طرح.. واجاب عليه شقيقان.. شاب في العشرين من عمره وطفلة في الثامنة من عمرها..

الشاب اجاب على قسطين.. وعلى مرحلتين.. القسط الاول.. ويعني مرحلة عمره الاولى مرحلة الطفولة.. قال:

«لقد انجذبت الى امي اكثر من ابي — لسبب بسيط هو انني كنت اصحو من نومي على صورتها — وتشدني صورتها طوال الصحوة.. والى حين ان انام كنت احسها مع جرعة كل لبن — مع كل لقمة اتناولها.. مع كل خطوة اتحرك بها.. مع كل ثوب ارتديه».

وحين أتى عِلى مرحلة مابعد الطفولة استدرك قائلا:

«وبعد ان كبرت شعرت انني احتاج الى ابي اكثر من امي فبدأت انجذب اليه لانني احتاج اليه«لقد انتهى دور ببطله.. وجاء دور آخر كان بطله ابي».

أما الطفلة الصغيرة فقد كان جوابها جازما سريعا وواثقا:

«احب امي اكثر»

وحين سؤلت لماذا؟! وردت دون تردد

«لانني احبها اكثر لانها امي..»

ولم يكن انجذابها لامها اكثر من ابيها بالشيء الغريب.. فالطفلة امرأة صغيرة تشعر بنفس عاطفة امها وتحنانها واحاسيسها.. اما شقيقها

الشاب فانه لايخلو من قسوة الرجال.. حتى في نظرته الى الحب.. وتفسيره له.. وانجذابه اليه..

فهل انهن البنات ينزعن الى امهاتهن اكثر من الذكور؟! لانهن بنات؟!

وهل انهم الاولاد ينزعون الى آبائهم اكثر من اخواتهم بحكم التماثل مع آبائهم والحاجة اليهم؟!

لااظن كل هذا ولا بعضه من منطلق واحد هو انني ذكر قضيت الطفولة بتحنانها والرجولة بشدها.. ومدها.. ومع هذا فان جوابي على ذلك التساؤل المطروح يتلخص في عبارة واحدة..

«امي.. ثم امي.. ثم امي.. ثم ابي»

ولا شيء غير هذا عندي.. أما السبب او بعض السبب فلانها حملت بي وحملتني وتحملت واوقفت حياتها كل حياتها من اجلي.. وهذا يكفي..

ايها الزمن ترفق بخطواتي..

ايها الزمن ترفق بخطواتي.. اعطني مهلة الوقوف لكى استريح.. والتقط انفاسي المكدودة لا شيء امامي يستدعي الركض.. والسرعة ولا حتى الهرولة.. كل شيء رابض في مكانه.. كل شيء محسوب لأهله.. انا لن اخاف اللاهثين الراكضين على نصيبي انا لا احب العجلة المسرعة .. بل لا اتمناها فقد تنفجر وتتناثر اشلاؤها ومازالت في اول الدرب..

ان خطواتي محسوبة على.. لا اريد لها ان تتبعثر ولا اريد لها ان تتبخر.. ولا اريدها ان تقفز قبل ان تكون مهيأة للوصول..

ايها الزمن..

ان صباى يشدني اكثر من شبابي.. وشبابي يشدني اكثر من رجولتي.. ورجولتي تشدني اكثر من كهولتي.. انني احب ان استريح راحة الصبا.. لا ان استريح راحة الشيخوخة..

ان الرحلة طويلة .. وان المرحلة اطول.. وان الجادة وعرة.. وان القافلة تجهد كل ما ادلجت في خطاها..

اعطني مهلة للتوقف.. ولو لبضع وقفات لكى استكمل استنشاق الوردة قبل ان تضيع..

بعدها ساكون معك على الدرب الطويل الطويل الذى لا مناص من اجتيازه ولا مفر من عبوره..

الفارق بينهما قرن من الزمان

الصحيفة«اخبار اليوم» في عددها ١٨٥٠ بتاريخ ٤ — ٨ — ١٤٠٠هـ الخبر يقول:

قضت محكمة القاهرة للجنح المستأنفة ببراءة موظفة بوزارة التموين من تهمة الاعتداء بالضرب على والدها الموظف بالمعاش.. والبالغ من العمر ١١٨ سنة بعد ان ثبت عدم وجود اصابات فيه.. وان حقيقة اتهامه للابنة سببها أنها لا تقوم بالانفاق عليه.. وعلى زوجته الجديدة والتي تبلغ ثمانية عشر عاما..

انتهى الخبر.. اما التعليق عليه فحزين حزين لا من حيث الحكم ببراءة المتهمة.. وانما من حيث العوامل الخفية الكامنة وراء الشكوى.. وملابسات الشكوى من ان ابنته لاتصرف عليه وهو البالغ ١١٨ عاما من العمر.. ولا تصرف على زوجته الجديدة البالغة ١٨ عاما.

حكاية اشبه بالاسطورة.. او بالحدوتة.. لا تكاد تصدق لولا ان فصولها جرت في محكمة جنح القاهرة ونشرتها صحيفة اخبار اليوم.

ياللمأساة.. ان المائة وثمانية عشر عاما يتزوج ابنة الثمانية عشر عاما.. مائة عام لاغير تفصل بين عمريهما.. جيل كامل يقف هوة سحيقة بين زوج وزوجته.. بين حطام لا يملك الا الذكريات.. وبين وردة غضة بضة عاشت لأحلامها.. واذا بها تتحول الى سجين يقضي زهرة شبابه بين قضبان الذكريات.. وركام الحطام المفروض عليه.. ليست هى المأساة الوحيدة في عالم اليوم.. انها مجرد نموذج صارخ مفزع لحالات كثيرة مشابهة يتحدث عنها الواقع.. ويكشفها بكل مافيها من تحدي.. وبشاعة..

واين هو الحب في حياة زوجين يفصل بينهما جيل كامل؟! اكاد اقول.. بل اين هو القلب القادر على الحب.. وليس بينه وبين قبره اكثر من بضع خطوات .. ان لم يكن اقل.. ان لم يكن وصل..

وجه للمأساة يطل علينا بين يوم.. وآخر .. لا ادري متى يختفي.،،

النحيف.. والطرير

«النحيف»

و «الطرير»

صفتان للانسان في بنيته.. لا تعنيان شيئا بالنسبة الى قيمته..

قد يكون نحيفا.. ويكون جبارا مخيفا في قوته.. ومدى احتماله.

وقد يكون طريرا مليء الجسم .. الا انه في معناه فرغ من كل محتوى.. هزال بكل المعايير والمقاييس..

الشكل.. او الصورة احيانا تكون خادعة.. نستبين خداعها من استقرائنا لظلالها... وطريقة حركتها.. وحصاد تلك الحركة..

وحكمنا على الاشياء من مظاهرها المجردة خدعة كبيرة.. ومغالطة اكبر.. ذلك ان الاشياء قبل ان تكون شكلا واطارا .. او صورة.. فهي مضمون.. ومفهوم .. ونتيجة..

وعلى قدر تبصرنا للاشياء وتعمقنا فيها تاتي النتيجة دون اضافات كاذبة.. ودون ظلال مخادعة خادعة..

فالنحافة التي لا ترقى الى الهزال تكون احيانا مظهر صحة.. وظاهرة عافية وحيوية..

والسمن احيانا ولو اعجبنا قد يكون ظاهرة مرضية لا نعرفها..

وكما في الصورة والجسم.. ايضا يكون الاطار.. والمظهر الذي لا يصح ان يكون وحده منطلقا للحكم..

ولشاعرنا العربي القديم بيت من الشعر يصح ان يكون تفسيرا علميا واعيا..

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي اثوابه اسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه
ويخلف ظنك الرجل الطرير

يرفعه الله الى اسفل

الفن كغيره من اوجه الحياة الاخرى.. تارة يحلف حتى يصل الى اوجه واخرى يخفق الى ادنى درجات الحضيض.

وأذواق الناس ايضا عرضة لهذا المد والجزر.. انها تتعامل مع ما تسمع مرة بالربط الرائع.. واخرى بالانهيار المريع.. وثالثة بالانبهار الحائر الذى لايرفض.. ولا يأخذ.

ومن سخرية الحياة ان الزمن يتقدم بنا خطوة الى الامام بينما الفن يتقهقر بنا خطوات الى الوراء الى الحد الذى اصبحنا فيه نبحث عن كل قديم ونفتش في دفاتر من سبقونا لأن دفاترنا فارغة فارغة من كل محتوى..

واذا كانت الظواهر الطبيعية تسلم الى التأمل والاستقراء.. فان الظواهر الفنية غير الطبيعية تسلم الى الاستفراغ والاذلال.. والسؤال الحائر..

اين فن هؤلاء مما نسمعه اليوم من عربدة فنية عبر المذياع.. واشرطة الكاسيت ــ ام كلثوم، الاطرش، عبد الحليم، سيد درويش، عبد الوهاب الحامولي، شادية، فيروز سعاد محمد، عبد المطلب ، كارم محمود، وديع الصافي، محمد قنديل، نجيب السراج، اسمهان ، نجاة علي، وغيرهم.. اين فن هؤلاء.. مما نشهده اليوم من تهريج فني عبر الشاشة الكبيرة والصغيرة.. نجيب الريحاني، يوسف وهبي، زكي طليمات ، سراج منير، عباس فارس، حسين رياض، اسماعيل ياسين، عادل خيري، النابلسي، بشارة واكيم، يحيى شاهين، أمينه رزق، سناء

جميل ، صلاح منصور وغيرهم من رعيل رحل.. او قارب على الرحيل..

لعل الاجابة.. تأتي مرة مرة من حنجرة عدوية التي ألهبت بأغانيها ملايين المستمعين في عالم اليوم.. واليوم فقط ممن يتقدمون بخطى حثيثة ولكن الى الوراء،،،

حين تذرف دموعنا على الأمس

البعض ممن ضاقوا ذرعا بأمسهم وبكوا منه.. تذكروا ذلك الامس بالخير.. وبكوا عليه بعد ان واجههم يومهم بما هو اقسى.. واعتى وانكى جرحا..

ومن يدرى فقد يكون يومهم المثقل بمآسيه ومشاكله ارحم من ذلك الغد المنتظر على جادة العمر.. المرهق المكدود..

لقد عودتنا مفاجآت الحياة ان المشاكل في غالبيتها تنتصر على حلولها.. تتراكم المشاكل.. وتنهزم الحلول.. وتتجسم العقد.. وتتضخم المعاناة ويظل الانسان في عالمه اسير ذكراه المرة في الماضي.. واسير ألمه الامر في الحاضر.. واسير خوفه وقلقه من اضافات سوداء مرة تلون باقي صفحة تطلعاته في المستقبل..

ان صراعات البشر داخل الحلبة الكبيرة..وعبر الساحة الممتدة تحتدم يوما بعد يوم حتى لكأن الليل الطويل الجاثم على الافق الحزين قد ثبتته اوتاد طويلة من التحدي الارعن حتى لايجد في الامل منفذا لخيوطه البيضاء.. وتبدو الصورة قاتمة حين يستجمع الواحد شكاوى أمسه.. وتبدو الصورة اشد قتاما حين يغمر شكاوى يومه.. ويلمسها في اعماقه اشد وخزا.. واثقل ايلاما وحملا.. ليرمي بكل ما تبقى له من امل جريح تحت اقدام يوم قادم لا يعرف بماذا سيأتي.. وعلى شفتيه تتدحرج هذه الكلمات البائسة العابسة..

رب يوم بكيت فيـه فلمـا
صرت في غيـره بكيت عليـه

ثرثرة بلا ثمن

لو أن الكلام يباع كما تباع السلع.. ترى كم بلايين الاطنان سوف تتكدس في خزائننا دون ان تجد من يشتريها..؟!

اننا نقذف مع كل يوم بملايين الاطنان من الثرثرة في الهواء.. لتموت فارغة رخيصة.. الا القلة القليلة منها.. والتى تعبر عن دلالة صدق.. وعن مدلول عمل..

ولو ان الكلام سلعة تشترى.. وبضاعة تباع في الحوانيت ندفع من اجلها المادة كالماء.. وكالغذاء.. وكالكساء.. اذا لكان استهلاكها بالقطارة.. وتخزينها بالمطارة.. ولكان لكل كلمة نفوه بها الف حساب.. وألف مراجعة قبل ان تخرج.. ولكن ما لانتعب في تحصيله.. لا نتعب في تبذيره..

وكل شيء يصل الينا دون ثمن.. نسرف في صرفه.. وندمن على اهراقه..

والكلمة لو وعينا رصيد يحسب علينا.. ونحاسب عليه.. وكلما كان الكلام مقلا عاقلا كانت حصيلة المرء من الاحترام.. المزيد من الاستجابة.. والمزيد من القبول والرضا..

حتى الكلام وهو دون ثمن منظور .. فانه حين يتخطى عتبة الافصاح والنطق يعد رصيدا يضاف الى صفحة صاحبه.. رصيد ذكر عطر يتحدث عنه..

أو رصيد نكر وفحش يلون صفحة صاحبه بالسواد..

والكلمة الثمينة هي التي نختارها عن وعي وادراك قبل ان تنفلت من عقالها.. فلنعقلها بحسن الاختبار.. والاختيار..

الزعـل

يقول المثل الدارج.
«الذى لا يزعل حمار».
ونقول نحن في حالات.. ومواقف معينة..
«ان الذى دون سبب حمار».

وسيان اكان الزعلان.. ام الكاظم لزعله حمارا.. ام انسانا في منتهى الوعى والثبات.. فان علم النفس يكاد يؤكد ان الرجل السوي.. القوي في اداركه وحساسيته.. وانضباطه هو ذلك الذى يزعل بسرعة.. ويرضى بسرعة.. دون ان يترك بقايا من انفعالاته داخل اسوار نفسه تشده اليها.. وتلون تعامله مع الآخرين بصباغها.. يقول علماء النفس..

ان انسانا لا ينفعل اى لا يرضى.. ولا يغضب.. هو انسان مريض متخلف في حسه ومشاعره.. ان لم يكن فاقد الحس والمشاعر..

اما ذلك الذى تحكم علاقاته موجة التقبل دائما دون رفض للأشياء.. فان شريحة تعامله تفتقر الى السالب.. او الوجه الثاني الذى يقف بمحاذاة الموجب كقناتين لابد من تواكبها.. وتشابكها مع حتميات العطاء.. والاخذ.. انه مريض ايضا.. ويقول علم النفس ايضا..

ان الرافض.. الدائم لرفضه.. الدائم في سخطه.. هو اخطر لأن التراكمات الانفعالية في اعماقه تشكل بؤرة مرضية من العناد.. والكراهية.. لايقوى عليها استعداده النفسي الذى يعاني هو نفسه تمزقات جداره المقاوم.. والمتداعي بفعل ضعفه وبعامل الضغوط المهيجة المتصارعة من حوله..

وسواء اكنا هذا.. او ذاك.. او ذلك.. فان التركيبة النفسية للانسان تتعامل مع ما حولها بالرفض وبالتقبل.. بالرضى.. وبالسخط.. المهم ان لا يتحول الانسان الى موات لا تقيمه الاحداث ولا نقعده.. والمهم ايضا ان لا يتحول الى بركان ثائر متمرد يلقى بحجمه دون ان يلتقط انفاسه.. ويخمد..

حين تسبق المادة الروح

لك ان تتصور انسانا حصيلته الثقافية على مستوى «الروضة».. ومحصلته المادية على مستوى «الدكتوراه»..

لك ان تتصور كم هي مأساة حين تكون الفجوة مريعة بين مايمثله من نظرة وفهم.. وبين ما يكتنزه من مال وفهم..

اذا كانت الثروة نعمة مع مقياس الوعي في تحريكها واستخدامها.. واخضاعها للانضباط المشروط المتعامل.. العاقل.. فانها دون شك ايضا نقمة مع معيار الجهل الذي لا يبصر الاشياء الا من خلالها.. ولا يتعامل مع الاشياء الا من اجل تكريسها.. وتكديسها.. واخضاع حياته لنهمها الجائع المجنون..

وكم هم قلة اولئك الذين عرفوا المادة وسيلة لا غاية.. فطوعوها لطموحاتهم الخيرة دون ان تنال من اعصابهم.. ومن اخلاقهم.. ومن تواضعهم..

وكم هم كثرة اولئك الذين غرقوا في لج ماجمعوا.. فما اسعدهم مال.. ولا ارتاح لهم بال.. ولا تحقق لهم آمال..

المال لايصنع الرجال.. وانما الرجال هم الذين يصنعون المال..

وبكل المعايير.. والضوابط فان الثروة ليست ذهبا.. فالذهب يذهب..

ان الثروة ان نصنع من مالنا آمالا لنا.. ولغيرنا.. وان نتحرر من عبودية الثروة.. واغلالها.. ان ندفع بها.. ومعها.. وعنها كل عوامل النهم. والشح.. والجوع.. والتكالب المريض البغيض على نزعات(الجمع).. (والنصب).. (والكسر).. (والضم).. الاعمى ليس الا..

ابحث عن حلم

لانوم بدون حلم .. لذا فانني احب ان انام.. لانني احب ان احلم..
ان كثيرا مما افكر فيه.. واطمع اليه ساعات اليقظة ألمسه.. واعيشه وقد استغرقت في سباتي العميق.. وكأنما كانت الاحلام لمسة وفاء لصاحبها.. تمنحه امانيه ولو بضع ساعات.. أو بضع دقائق ليصحو على واقعه.. بعد ان روعت احلامه على انفراجة عينيه.. ولو خيرت .. ولو سئلت..

الى ايهما انزع.. وانجذب..؟! الى صحوة الحلم الهارب..؟! أم الى غفوة الحلم الملموس..؟!

الى اليقظة التي اسرح معها في متاهات الاماني دون ان تتوقف..؟ ام الى الحلم الذي يدغدغني.. ويختصر لخطواتي مسافة الاماني دون ان اصدم..

لو خيرت.. وسئلت.. الى ايهما انزع وانجذب لاخترت غفوة الحلم الملموس.. الذي يربطني معايشة قصيرة بالامل.. حتى ولو مجرد معايشة خيالية لا وجود لها..

كثيرا ما احس بالصدمة حين افيق من سباتي.. واستيقظ .. وتنطوي في لمحة البرق الخاطف كل صور الخيال.. وكل اجنحة الحلم الحالم.. ولا يبقى اما عيني غير صورة واحدة.. هي صورة الواقع بامانيه العاجزة.. وبآماله السرابية وبخطاه اللاهثة التي لا تستريح.. ولا تريح الا مع اغفاءة جديدة.. قد تلد له حلما جديدا يسعد به.. وان كان مجرد حلم ..

بين النظرية والتطبيق

بين النظرية.. والتطبيق..

بين ما يطرحه الانسان من فكر.. ومايمارسه من عمل تحدد مثاليته.. أو مثالياته..

الفكر اثراء لمكتبة الحياة.. اما الممارسة على مستوى الفكر فهي اضافة جديدة في جدار البنية الاساسية للحياة نفسها..

ولا أكاد اصدق ذلك الواقع للانسان الذي يفرض القيمة.. قولا.. ويرفضها ممارسة.. ويفتح هوة عميقة بين محتوى نطقه.. ومغالطة منطقه..

قد يقول قائل:

مالنا من كل هذا التباين..؟ لنأخذ من علمه.. ونطرح عمله.. وهذا صحيح.. فالذي يختار يبحث عن الاحسن.. ويأخذ به دون سواه..

ولكن.. وحتى مع الخيار في كفتي الاختيار.. فان شيئا من العدوى تطال كفة الفكر منتقلة اليها من كشفة الممارسة الخاطئة.. المريضة.. وبالتالي تخلق نزعة رافضة.. أو كارهة على الأقل لكل ماصدر عن ذلك الانسان صوابا.. أو خطأ..

الفكر صورة جميلة معبرة رسمها خيال الانسان الخصب فأبدع خطوطها ولون خيوطها..

والممارسة العملية للانسان اشبه بالاطار الذي يحتضن الصورة ويحميها شر الانكسار..

واذا لم يكن الاطار نظيفا معافى فان الصورة مهما كانت متقنة بديعة تتداعى امام المشاهد.. وتتراجع اكف الناس عن ملامستها خشية من ذلك الاطار الاسود الناقل للعدوى وللأوساخ..

الثالوث المرعب

- الزعل.
- ارهاق العمل.
- القلق... او الخوف.

ثالوث مرعب.. وكابوس مدمر.. يهد الجسم... ويقتل الشهية في كل شيء شهية النوم.. شهية الاكل والشرب.. شهية الوجبة المشتركة مع الزوجة.. كل شيء مع الزعل لا طعم له... الا طعم المر والحنظل.

كل شيء مع ارهاق العمل لا رائحة له.. الا رائحة الموت البطيء البطيء.. وكل شيء مع القلق والخوف لا لون له الا لون الضباب او العتمة التي تسد منافذ الافق.. فما تبرح.. وانما تجرح وتدمى...

والذين يملكون القدرة على الابتعاد عن المنغصات ولا يبتعدون اناس فقدوا القدرة على التمييز بين ما يحيى.. ويفنى... واختاروا الدرب الاصعب والأشقى والاقرب الى حافة النهاية الموجعة...

ان الحياة كلها لاتساوي اكثر من بسمة تصدر عن قلب مفتوح على دنيا الامل ... عن نظرات متفائلة تعانق النجوم.. وتسبح عبر خيال الاماني.. وعن قناعة مريحة تلفظ الاتكال.. وترفض عبودية الأعمال.. وتضم الى حصيلة عيشها معايشة الأمس.. واليوم.. والغد بروح من لايأسى على مافات.. ولا ينشغل بما هو آت... وانما بحكمة العقلاء... التي عبر عنها الخيام في رباعياته حين قال:

لاتشغل البال بماضي الزمان
ولا بآتي العيش قبل الأوان

واغنـــم من الحـــاضر لذاتـــه
فلـيس في طبـع الليالـي الامـــان

ولكن .. هل نحن مسيرون باراداتنا ام مخيرون؟ هل نحن قادرون على فرملة اندفاعنا الساخط المرهق؟! هذه هي الحكاية.

وهذا هو السؤال..؟

الجاهل حين يكون أحمق

ابشع من ان يكون احدنا جاهلاً.. ان يكون جاهلا واحمق.. الجهالة حمم سوداء تسكن في اعماق الجاهل.. اما الحماقة فبركان يفجر تلك الحمم ويلقي بها في وجوه الآخرين..

ولعل من المأساة ان تكون حماقة الجهلاء غير قابلة للاصلاح.. وان تكون فوهات بركانهم غير قابلة للردم والسد.. وان تكون ضحايا تلك الحماقة الجاهلة بعدد الحجارة والشظايا المتطايرة المتناثرة من فوهته..

اذا كان الجهل في حياة الجاهل نقطة سوداء في سجله تتحجب عن بصره نعمة الالتقاط . وعن بصيرته تحسس الاشياء.. والتعرف عليها.. فان الجهل مضافا اليه الحماقة يخلط في بشاعة كل السلبيات الناشئة عن الجهل .. ويخلطها.. ويلقي بها امام اقدام المارة على شكل اشواك.. وشراك.. واشراك وصفاقات مكشرة عن انيابها تعض.. وتدمي.. وتبكي..

واذا كان للجهل دواء.. هو ان يتناول الجاهل جرعات من المعرفة تدفع به نحو الصحوة.. فان الحماقة.. والحماقة وحدها اعيت من يداويها كما يقول الشاعر..

طريقنا الى التربية

مخاطبة عقول الطلاب اجدى من سبر قدراتهم على الحفظ.. والصم.. ان كثافة المادة التي تعطى للطالب .. ويطالب بحفظها حرفا حرفا تعطل شئنا او ابينا الكثير من استعداده واستيعابه.. وقدرته على التصور.. والطرح..

ان مخاطبة عقل الطالب عن طريق المادة التي تعطى له.. وافساح المجال في حرية امام قدراته الخلاقة لكي تفرغ من فهمها... وهضمها للمادة دون شد يقيد الحرف.. لا بوثاق اللفظ.. وانما عن طريق قناة التصور الواعي للمدلول.. والمضمون.. لا للشكل ولا للعبارة المؤلفة.. ان عبء الاكتناز من المواد التي يطالب الطالب بحفظها صغيرا يساهم في تعطيل انطلاقة الحواس اللاقطه لديه.. ويخلخل من ذاتية الشخصية الذهنية التي يمكن لها بواسطة استقلالية الاستيعاب... والتعبير ان تنشط خلاياها.. وان تبرز في وقت مبكر...

ان النظرية التربوية الحديثة وضعت كأهم قواعدها مخاطبة عقل الطالب وتنشيطه.. وابعاده ماامكن عن تراكمات الحفظ التي تسد منافذ تفكيره او تكاد.. وتستوعب الجزء الاكبر من وقته .. والجزء الاكبر من طاقته...

ليس المطلوب ان لا تكون لدينا مواد يحفظها الطالب.. بل هي ضرورة ملحة وواجبة بالنسبة لبعض المواد الاساسية التى تشكل المادة فيها نصا وروحا المطلوب فقط ان نخفف من عبء الحمل... وان نعطي للتصور الذهني مجاله في الطرح بعيدا عن شد الحرف .. وعن وثاق الكلمة المؤلفة.. وحتى لايجهد الفكر.. وتعيا محصلته امام حصيلته.. وفي وقت مبكر..

دون لف أو دوران

«لدريد لحام» عبارة مشهورة اوردها في احدى تمثيلياته.. مفادها:«اذا اردت ان تعرف ماذا في ايطاليا.. فان عليك ان تعرف ماذا في البرازيل».

وهو تصوير دراماتيكي ساخر للخلط بين الاشياء دون تحديد كما انه يعني ايضا البحث عن اشياء بواسطة اشياء اخرى لا تمت اليها بصلة.. الى جانب انه يدفع الى ابعد المسافات للوصول الى اقربها.. وادناها.

وحكاية التركيز على الاهداف.. والابتعاد عن تشتيت القدرات وحكاية اختصار المسافات للوصول الى الاهداف بعيدا عن متاهات الضياع حقائق علمية مازالت مطروحة تؤكد ان القدرات لدى الانسان مهما اتسعت وكبرت فهي محدودة لا تقوى على هضم الاستيعاب المتشعب المتكاثر.. لا سيما اذا كان متباعداً عن بعضه.. ناهيك عن الربط المتنافر بين موضوعين او اكثر لا صلة لاحدهم بالآخر.

ولو ان طاقة الانسان اي انسان اختطت مسلكا واحدا مطلوبا لايصالها الى اهدافها.. لكان تحقيق تلك الاهداف في حكم المسلم به.. الا ان الاهداف دائما تضيع مع تشعب الطرق .. ومع تعرج المسالك الموصلة اليها.. واحيانا مع قفزتنا الى البعيد البعيد من اجل الوصول الى ماهو اقرب.. وما يكاد يلامس خطانا.. وإذا ما اردنا ان نعرف ماذا في ايطاليا فان علينا ان نحط على ارضها.. وان نذرع ساحاتها ومساحاتها.. لا ان انطير الى البرازيل.. لأننا ان فعلنا ذلك عرفنا كل شيء، عن الثانية.. وجهلنا كل شيء عن الاولى.. وباعدنا اكثر وأكثر بين الوسيلة والغاية..

اليقظة الاسلامية

«اليقظة الاسلامية» التي تشغل بال الشرق والغرب في عالمنا المعاصر ليست تعصبا.. وانما حماية وانتصار للحق.

وكما ان التشريع الاسلامي بسماحته.. وعدالته يرفض الاضطهاد الديني لغيره من الاديان.. فانه يرفض ايضا ان يكون هو .. طعمة اضطهاد الآخرين له.. وللمسلمين المنتمين اليه.. ولقد مرت ازمنة تراكم فيها الغبار.. ولحق فيها العار والذل بمسلمين هناك.. وهنالك لمجرد أنهم مسلمون كان من نتيجتها ان تكالبت قوى الشر ومطاياه.. واستشرت.. واعلمت حرابها.. وذئابها لنهش الحقوق.. وسلب الخيرات.. وتكميم الخبرات الى الحد الذي الفى المسلم نفسه غريبا في وطنه.. وعلى ارضه.

واذا كانت صحوة اليوم في العالم الاسلامي جاءت متأخرة بعض الشيء.. الا انها بالكاد تحررت من قلقها.. وخوفها.. وبدأت تتحرك نافضة غبار الأمس.. وعار الامس من فوق هامتها.. منطلقة من وعي حضاري يؤكد ان العقيدة تسبق كل الاعتبارات.. وان الانتصار لها بالمناقشة.. وبالمواجهة أمر يفرضه الواجب.. ونحن نقول لكل الذين يتخوفون هذه الصحوة.. ويشككون في صحة مسارها..

دعونا مما نعتقد.. وبما نعتقد اننا بكل هذا نشارك في بناء عالمكم سلاما.. واسلاما..

اننا بصحوتنا لا نبني الاغلال .. والقيود.. وانما نحطمها عن ايدينا.. وعن ايدي الذين يتوقون الى الحرية بعيدا عن الاضطهاد والعبودية..

الكلب .. ظلمناه

وحملق في وجه صاحبه وهو يكاد يتمزق من الغيظ.. وانفجر لسانه بالسباب..

ــ ياكلب.. ياكلب..

وكان صاحبه داعيا.. عاقلا.. لقد ابتسم.. وفي هدوء قال:

ــ شكرا ايها الصديق لقد منحتني من الوفاء مالا املك.. من الصدق والصداقة ما انا في حاجة اليه..

واردف:

ــ انك لاتعرف الكلب.. لا تعرف انه يتميز بوفاء دونه وفاء الانسان نفسه.. لا تعرف انه الغدر صفة لا وجود لها في قاموس حياته.. لاتعرف ان الجحود في علاقة الكلب بصاحبه امر مستحيل.. يندر ان يقع.. بل انه لا يقع.. وانهى حديثه لصاحبه.. قائلا:

ــ لو اننا نحن البشر كان لنا وفاء الكلاب.. والتزامها بالصداقة.. وتقديرها للجميل لما كانت هناك خصومات.. اية خصومات.. ولكننا نحن البشر لانتعمق الصفات.. وانما نلتزم بالشكليات.. نتمسك بالصورة وحدها دون ان ننظر الى المحتوى الجميل الذي تعبر عنه. اشعر انك اكرمتني بسبابك.. لا لان كلمة كلب امر اتقبله بصفة انسان .. ولكن لان في اخلاقياته التي نتجاهلها امر يسلمني الى الرضى بهذا النعت.

قال لي.. ياكلب.. فانه يوجد في عالمنا من يختار الكلب صديقا وفيا.. ثابت الوفاء اكثر من صديق.. بل ربما اكثر من شقيق.

المهر الفادح

في حياتنا بعض الجوانب المعيبة التي قد لا يسلم منها مجتمع من المجتمعات البدائية... ولعل اخطر هذه الجوانب تلك النظرة التي يفكر من خلالها.. ويتصرف من خلالها بعض الآباء تجاه بناتهم..

وعلى الرغم من انهم قلة الا انهم مابرحوا يتخذون من بناتهم وسيلة للابتزاز.. والاثراء...

في تصور البعض ان من يملك اربع بنات يملك اربع عمارات... ومن هنا فان تزويجه لبناته يخضع لمساومات فجة ممجوجة... إنه يريد بحساباته وتقديراته ان يستعيد كل ما انفق على فلذة كبده منذ ان رأت النور حتى اكتمل نضجها.. انه لايكتفي بذلك المهر الذي يتلاءم وقدرات ذلك الانسان الذي تقدم اليه..

الذي يعنيه فقط هو ان يستعيد كل ريال وكل قرش صرفه وانفقه على ابنته... بل واحيانا يضع في حسبانه عامل الربح وكأنما ابنته عمارة خلص من بنائها وفتح ابوابها للمستأجرين الذين يدفعون أغلى اجر..

ان هذا النمط من التفكير على قلته جريمة اجتماعية واخلاقية تتماثل في بشاعتها مع تلك الصورة الأخرى التي يندفع اليها بعض الآباء... في تزويج بناتهم وفي سن مبكرة على اشخاص يقضون آخر مراحل كهولتهم.. لا مراحل رجولتهم لقاء اغراءات مادية ينتفخ لها الجيب.. جيب الاب وحده.. اما نصيب البنت فكنز ضخم من الحرمان.. والدموع.. والفشل...

ايها الآباء... ايها القلة من الآباء .. ان زواجا تقوم ركائزه على التجارة سوف لن يجد الحب.. لن يكون حيا... لأنه ولد دون روح.

الابراج العاجية

جربت ان أبصر من حولي.. فماذا رأيت؟!

من الدورالثاني والعشرين ابصرت العالم من تحتي يتحرك صغيرا صغيرا كالنقطة السوداء او مادون النقطة السوداء

ومن الدور العاشر كانت الصور اكثر وضوحا واكبر حجما.. ومن الدور الخامس كدت ابصر ملامح وجوه الماره.. اميز بين المراكب والمراكب بين الالوان.. وبين اصوات المارة والعربات، ومن الدور الاول كنت مع العالم الذي يتحرك من حولي.. الطفل بملامحه وبصوته.. الكهل بوقع خطاه المثقلة وبسعلته. الرجل بصوته.بنظراته وبسمته..

المراكب بقرقعة دواليبها وبفرقعتها..

حتى غبار الشوارع الذى اثارته اقدام الماره والعربات المسرعة يكاد يزكم أنفي ويتجاوز الى ماهو اعلى من الدور الاول

ولحظتها ادركت ان الانسان ينفصل عن عالمه كل ما امتدت ــ خطاه ارتفاعا لا رفعة.. وكل مابنى حول نفسه سورا عاليا يفصله عن غيره ويحجب عنه مرئيات الآخرين..

ان الذين يعيشون فى الادوار العالية لايمكن لابصارهم مهما كانت شاخصة الا ان ترى الاشياء فى احجامها الصغيرة المقزمة. بحيث لاتستطيع أن تميز بين راكض وزاحف .. بين باكٍ ومبتسم.. بين ظل الصورة.. وبين الصورة نفسها..

ما اروع الادوار المتواضعة القريبة من الارض.. ان الاطلالة منها على

الاشياء تمنح الصفاء والوضوح للتعامل مع هذه الاشياء وهذا سر روعتها لانها صادقة لاتقزم الاحجام. ولا تضخم الاحجام ايضا وانما تبرزها كما هى دون نقص او زيادة.. وهذا يكفي

البحث عن سلطان النوم

احيانا اخلد الى نفسي في تساؤل غريب بليد مبهم؟

اي شيء هذا النوم الذي يسلبنا اليقظة والحس..؟ ويسلمنا الى مايشبه الاسر دون قيود منظورة؟!.

اي شيء؟ أمحسوس؟ أم ملموس؟!

وحين تفد الينا لحظه تلك.. أكان يفد وقد استأذن.. هل طرق الباب او النافذة..؟ وهل سمعنا طرقا للباب او النافذة..؟ هل اذنا له وسمحنا له بالدخول والتربع..؟ ام انه لايحتاج الى استئذان.. وانما يتغلغل كالجيش الزاحف القوي لتتهاوى امامه القلاع والحصون مستسلمة مرغمة..

حكايتي مع النوم.. وتساؤلى عنه.. حكاية وتساؤل أبله.. ورغم ادراكي لذلك الا انني ابحث مع نفسي لاكثر من مرة.. وفي اكثر من تساؤل..

الا يمكن لاحدنا ان يرى هذا الوافد.. او ان يحسه احساسا ملموسا لحظة اطباقه الجفن والاستغراق في السبات..

سلطان قوي هذا الذى يسيطر علينا.. يسلبنا اليقظة .. ويجردنا من كل اسلحة المقاومة والدفاع.. بل واسلحة الهجوم ايضا.. وهو دون شك مع كل هذا سلطان محبب ورحيم يسلمنا الى الراحة.. والى تجديد الطاقة لاجسامنا ولعقولنا ولاستعداداتنا الفاعلة. الفلاسفة تحدثوا عنه .. والشعراء تغنوا به... ولعل آخرهم واطرفهم شاعر معاصر او متشاعر قال في النوم بيتا من الشعر لم يسبقه اليه احد ولن يلحقه اليه

احد.. لانه نائم او هكذا اظن.. يحبون النوم والنوم زين والله علي كل شيء قدير

السست معي في ان شاعرنا قال شعره وكان يغط في شخير الشعراء والظرفاء معا فأعمته سكرة النوم عن سكرة الشعر.

وجهان لعملة واحدة

وجهان لعملة واحدة اسمها الحياة..

المتشائمون الذين يرون في الليل غمة.. تطبق على القلب بأحزانها وسوادها..

والمتفائلون الذين يرون فيه جنة.. ويبصرون النور من خلاله.. بل لايرون للبدر معنى دون وجود حلكة..

المتشائمون الذين يتطلعون الى كأس افرغ نصفه بالماء .. فيقولون ان نصف الكأس فارغ.

والمتفائلون الذين يتطلعون الى نفس الكأس الى نفس الماء في الكأس فيقولون.. ان نصف الكأس مملوء..

المتشائمون الذين يتوهمون الحب عبودية. وقيودا فيرفضون كل شيء حتى الحب في حياتهم..

والمتفائلون الذين يرون في الصد طعما للحب لا معنى بدونه ومن اجله هم يتحملون.. المتشائمون الذين يعزون لذة الطعام لجودة الطبخ وحده دون سواه..

والمتفائلون الذين يربطون بين جودة الطعام وشهية الجائع. ويقولون «ان للجوع بعض الفضل في لذة ما نأكل»

والمتشائمون من خطوات الغد لانها تقربهم الى القبر..

والمتفائلون من اطلالة فجر الغد لانه يبعث في وجداناتهم عمرا جديدا مليئا بالفال والامل والتجدد..

وجهان لعملة واحدة اليأس .. والامل.

اليأس القاتل المتجهم الصورة..
والامل الباسم الضحوك..
وكلاهما يصبان ويلتقيان في مجرى واحد اسمه نهر الحياة،

الحب لاينطلق من فراغ

ان تملك قلب طفل واحد بالحب خير من ان تملك عالما بأسره بالاغتصاب والكراهية. ان دفعة حب واحدة.. وان خفقة قلب واحدة. انقى وابقى من كل عوامل المادة ومؤثراتها. من كل ربط تحكمه وتمليه مهما كان حجمه

والذين تعاملوا بالحب وحده في علاقاتهم عاشوا سعداء حتى مع فقرهم وعوزهم حتى مع اساءة الآخرين اليهم.. لأن ينبوع سعادتهم ينطلق من ذاتهم.. ويحلق مع تطلعاتهم دون اكتراث بما يعترض سبيل خطواتهم..

ومع الحب وحده تورق الحقول.. وتبتسم السماء.. وتتفجر الينابيع لتروى صحارى الانسان الظامئة العطشى واى حب يحكم العلاقة بين اثنين مصدره رغبة القهر.. او قهر الرغبة يتحول في النهاية الى دراما عنيفة يسدل الستار على فصولها.. ولا يبقى منا للتاريخ الا سواد الصفحات.. والا ركام الماضى..

وفي تاريخ العلاقات البشرية ملايين بل بلايين الصور لذلك النوع الجاف الجارف من الربط المادي الذاتي البحث الذى حكم تلك العلاقات دون ان يترك بعد رحيل ابطالهم مايشير الى انهم اقاموا عشا واحدا امكن له ان يصمد أمام اعصار الزمن.. وهزاته.. وبالتالى امكن له ان يتحدث عن لمحة وفاء واحدة على الاقل..

الحب لاينطلق من فراغ..

والحب ايضا لايؤدي الى فراغ..

الحب ايثار في العطاء تضحية متبادلة.. وقبل هذا كله .. وبعد هذا كله فان الحب فطرة لها معنى البراءة.. ولها ايضا التماثل المحبب الذى لايذوب في الذات وانما يتفاعل مع الحياة من اجل غرس وردة اسمها:«وجه المستقبل» الحانى...

كثيرون .. ولكن..!

كثيرون..!. وهم قلة اولئك الاصدقاء..

كثيرون اولئك الذين يحيطون بك.. يبتسمون لك.. يصفقون في اعجاب لسخافاتك.. وخرافاتك.. كثيرون اولئك الذين يجسدون لك الوهم انك الانسان الخارق الذي لم تلد غيره امك.. لم تلد مثله امهات الآخرين.

كثيرون اولئك الذين ينقلون لك فقط ما ترتاح اليه نفسك.. وما تنجذب اليه عاطفتك.. يقتلون كرامة الآخرين على مذبح رغبتك.. بل ويصنعون من التفاهات اساطير يدغدغون بها انجذابك ليبتزوا من خلفها ضحكتك وانفراج شفتيك.. كثيرون اولئك الذي يضعفهم قدومك بالوقوف .. والتفاتتك بحني الرؤوس وخطاك بالهرولة من حولك.. وخطاك بالتزكية.. وما ان ينسحب من حولك بساط الحظ.. او بسطة الرزق حتى تحس انك وحيد دون متزلفين .. دون منافقين.. دون اشياع واتباع.. وقليلون جدا الى درجة الندرة اولئك الذين تظل لجسور صداقاتهم وعلاقاتهم صفة الاستقرار والاستمرار.. اولئك الذين ينتزعون من اعماقهم نحوك صفاء النفس.. ووفاء الموقف..

وللشاعر القديم حكمة تقول:

وما اكثر الخلان حين تعدهم
ولكنهم في النائبات قليل

بل ازيد انهم اقل من القليل.. وعلمتنا الحياة ان اولئك الذين يهيلون التراب على قبرك بعد موتك اكثر بكثير من اولئك الذين ، يزفونك الى عرسك وانت على صحوة حياتك؟ .. وعلى صهوة حبك؟.

الجوع .. والتخمة

يتساوى في النتيجة«الجوع» و «التخمة»

كلاهما يسلم الى النهاية المحتمة.. الى الموت.. فكما ان الجوع فراغ رهيب يجرد الانسان من مقومات استمراره.. يسلمه الى الضمور والهزال.. الى التقلص والفراغ القاتل.. يأتي أيضا دور التخمة التي ترهق الجسم بأكبر من حمله.. تسد عليه منافذ أنفاسه.. وحركته.. وربما احساسه.. وتدفع بكيانه الى التهاوي وراء وطأة الثقل الذي لاطاقة له به..

والاعتدال امر مطلوب في حياتنا.. يمكن بواسطته ان ندرأ خطر نهاية الجائع.. ونهاية المتخم.. ان يكون لكل منهما قدر متساوٍ عاقل ومعقول لا يفرط (بسكون الفاء) ولا يفرط (بفتحها).

ولعل احدث نظريات الطب الحديث تقول:

«كل قليلا.. وتحرك كثيرا..».

وهذا يعني ان واجبات الانسان يجب ان تكون سهلة ومعقولة بالقدر الذي يستطيع معها جهاز هضمه ان لايرتبك.. وان لايتحول الى كتلة من العجز عن طحن مايلقى عليه من وجبات.. وواجبات..

وما أكثر ما نتنافس على ملء حصيلتنا وفي شراهة شرسة بالارز ومشتقاته حتى لانكاد نجد بعد ذلك راحة في التنفس او الحركة.. بعد ذلك نسلم اجفاننا إلى سبات طويل مفزع.. ولنصحو بعد ذلك على قرقعة صحون جديدة قادمة كاملة الدسم لنأكل.. ونأكل حتى تصيب منا التخمة مقتلا.. اننا وبنسبة ضخمة نستهلك اكثر مما نحتاج..

اكثر من قدراتنا على الهضم والاستيعاب وحبذا لو ان هذه الزيادة منحت لايدي ترتعش جوعا لانها الغير قادرة على ان تجد ما تطعم .. اننا بهذا نفتح نافذة للحياة.. لنا ولغيرنا على حد سواء.. حبذا..

الألف ميل يبدأ بخطوه

لو تعلمنا الحب وعلمناه لاطفالنا لما كانت هناك مظاهر لعداوات واحقاد..

لو اننا نمينا في اعماقهم بذرة الخير.. زراعة الورد. عوضا من ان نشترى لهم المسدسات والدبابات والصواريخ من الالعاب التي تشدهم الى الاثارة صغارا.. والى الاغارة كبارا.. ربما لكانت الحروب ظاهرة نادرة في تاريخ الانسان ومرفوضة في تفكيرة.. لو اننا علمنا اطفالنا كيف يتنسمون نسمات البر والحنان عوضا من ان تشدهم الشاشة الصغيرة المتلفزة.. أو الشاشة الكبيرة الى مشهد مفزع يتصارع فيه اثنان حتى الكسر.. او يتلاكم فيه اثنان حتى القسر.. اذا لكان للعاطفة في وجدان اجيالنا مرتع خصب ملؤه الربيع..

لو اننا اعطينا لاولادنا حكايات الذين زرعوا الايمان والامان في تربة تاريخنا حيث اينعت الثمار بدلا من ان ندفع بهم الى مغامرات ارسين لوبين اوشرلوك هولمز.. اذا لارتاحت النفس.. وطاب لها ان تستطيب الدعة والهدوء. كمنطلق لتفكيرها.. ومنطلق لتعبيرها .. ومنطلق ايضا لممارستها الحياتية. لان بدايات البدايات في قاموسها كانت امانا وايمانا.. كانت اشادة ونشيدا.. كانت طيفا يحلق ويهيم ويصدح بأعذب الالحان

وكما ان طريق الالف ميل يبدأ بخطوة..فان جادة الامل لاجيالنا تبدأ باشارة الضوء الاخضر.. اما الضوء الاحمر فانه مدعاة للخطر يجب ان لانسمح بفتحه ابدا

الانسان(الإنسان)

يكاد لفرط خجله وتواضعه يتعثر في خياله وظله..
يكاد يستأذن الارض حين تطأ قدماه الأرض خشية ان تكونا أثقلتهما الخطى.. فأوجعتا التراب.

تحتار ايهما تختار فيه. عقله .. أم حلمه.. عقله الحالم .. ام حلمه العاقل..

عرفته صغيراً فأكبرت فيه نضج الصغار وعرفته كبيراً اكثر فشدتني اليه خصائص الكبار.. وشرف مواقعهم ومواقفهم..

يكره ان يتحدث عن احد.. لان روحه الكبيرة في خصام مع الاضواء وفي انفصام عن الشهرة..

له قلم مطبوع برز على صفحات « اليمامة» المجلة. ثم اختفى سريعاً دون عذر.. وليته يعود..

نموذج للانسان المثالي الذي نبحث عنه.. والذي قد نقضي زمناً دون العثور عليه.. وبمواصفات المثالية التي يعتمر بها صاحبنا لكأني المح شفتيه وهما تنفرجان بعبارته المعهودة.. وقد قرأ هذه الكلمة عنه.

«وش دعوى.. الله يهديك»

وفي درب الهداية ان تنصف صالح الحصين.. العالم في وعي.. والعامل في صمت.. والعازف عن كل ما يسيل له لعاب الآخرين.. وما اكثرهم..

غيرة الصغار

قال محدثي:

لي طفلتان تغاران من بعضهما.. بل ان غيرة الكبرى من الصغرى وراء كل المضايقات.. فما ان اطلب الى احداهما أمرا حتى يكون الجواب الرفض..

انهما لايطيقان اصدار الاوامر حتى لو كانت معقولة مقبولة..

واحترت في امر الطفلتين .. كيف اعالج هذه الظاهرة.. وهذا العناد المبكر في حياتهما..

قال:

ومرة جمعتني الظروف مع صديق له الكثير من التجارب .. شكوت له حال الطفلتين قلت له:

انني ألاقي الحرج.. ابحث عن مخرج منطقي أحد به من هذا التحدي..

قال:

ماتشكو منه ظاهرة طفولية تعيش مع الكثيرين منا.. ولقد مرت بي مع اولادي وامكن حلها بعد دراسة طويلة لنفسية الطفل.. والنزعات التي تتحكم في هذه النفسية..

قال له:

كيف..؟

أجاب:

جرب أن تعطي اوامرك للكبرى في تشجيع يحملها على

الاستجابة.. ولسوف تندفع الصغرى ملبية تلك الرغبة.. والعكس بالعكس ايضا..

ومن يومها.. كنت اذا ما طلبت الى احداهما ان تعمل شيئا اندفعت الثانية بعامل المنافسة.. والاستجابة.. بل وربما التحدي لرغبة اختها والسباق في تحقيق الغرض..

حتى الأطفال .. ان روح المنافسة تدفعهم اكثر مما ينفعهم أمر محدد يعطى لهم .. تجربة قد تكون ناجحة الى حد ما.

فتن عن المنغصات

قال محدثي:

لقد أدركت سر كثرة الوفيات بالسكتة القلبية.. وجلطة شرايين المخ.. وبالقرحة المعوية..

أدركت سر كثرة الذين يصابون بانهيار عصبي.. انهم اولئك الذين يدمنون على سماع نشرات الاخبار.. يدمنون على قراءة ماتفرغه الصحف.. وما تعرضه شاشة التلفزة من صراعات دموية.. وتقلبات مزاجية.. وتحركات بهلوانية على مستوى السياسة..

إن نشرة اخبار واحدة بما تحفل به من منغصات كافية لاذابة جسم فيل.. ولقتل جيل يعيش بشفافية الروح .. وصفاء الانسان.. لاشيء فيما ينشر.. الا ما يزكم الأنوف .. وما يدمي الضمائر..

القتـل:

الدمـار:

التشريـد:

التجسس..

المكابرة..

الرقص على حبال البهلوانية..

الانحدار الرهيب من اقصى اليمين الى اقصى اليسار.. ومن اقصى اليسار الى اقصى اليمين..

التنكر للماضي..

ثم هز العضلات أمام مواقف لامكان فيها للعضلات..

مشاهد تقتل.. وتقتل.. وتقتل..

نظرة في تربية الطفل

الطفل كالغرسة الصغيرة تشب وتنمو وفق أسلوب الرعاية التي تعطى له.. ووفق التوجيه الذي يمنحه إياه ذلك الراعي لتلك الغرسة..

فاذا ماكان ذلك الراعي حكيماً رافقاً أمكن لغرسته أن تتحرك أفقياً في امتداد سليم لاعوج فيه..

أما إذا كان ذلك الراعي على جهل بشئون الرعاية فان تلك الغرسة بدافع الاهمال أو الارتجال تتضاءل .. وتتأكل عروقها.. بل وتغرق في بحيرة العطش.. أو في فيضان الماء..

وأطفالنا .. البراعم الصغيرة الوافدة على عالمها بابتسامة أمل وحب ما أحرانا أن نساعدها على ترسم خطاها الجمالية وأن نعرفها عبر ما نمنحه لها من توجيه على مواطن الحب.. على لبنات البناء.. أن نعملها وهي صغيرة بعد كيف تنمى الزهور.. لاكيف تجتثها.. كيف تتعامل مع أقرانها فى نقاء الطهر لا فى سلق اللسان.. ولا فى ركل السيقان..

أن نمنحهم شيئا من الحرية فى الاختيار.. لا أن نفرض عليهم ما لا يتفق ومداركهم.. فنسلمهم الى موجة التحدى.. وما هو أشد خطورة من التحدى..

أن نفرغ فى أذهانهم البكر أن الحياة ثقة فى النفس.. واقتدار على مد هذه الثقة كجسور صالحة لاقامة بنية المجتمع..

ان يكون لنا معهم وقفة الأب .. ووقفة الأخ.. حتى لايكون لفاصل المسافة والفهم أي تواجد بين جيل وجيلٍ..

والأكثر وفاء لأولادهم.. والأكثر نجاحا بأولادهم هم أولئك الذين يتعاملون معهم كما لو كانوا فى مثل سنهم وفهمهم واستجابتهم..

إن خصائص الطفل ترتاح الى ذلك الوتر الهادىء من التربية.. الأب لا يعنف.. ولكنه أيضاً لا يتخلى عن مسئولية القيادة والتوجيه.

الحياة مسرح كبير

الحياة مسرح كبير..

الناس ممثلون كثيرون يعتلون خشبته.. مابين هازل ومتشنج.. مابين مهرج ومتفرج.. مابين ضاحك وباك..

وعلى هذا المسرح الكبير تنداح صور كثيرة.. تختلط احيانا بعضها البعض الى درجة الصدام.. وتتباعد احيانا أخرى الى درجة الانفصام.. وما بين الصدام والانفصام تتناثر الكثير من الأشلاء.. على ضحكات الجمهور المهرج.. والمتفرج.. وكما ان الدمعة صدى للاحزان.. وصدى للحب والايمان.. فقد جاءت الدمعة في محاجر وعلى خدود الممثلين منادية مرة.. ونادبة مرة.. وهازئة أخرى.. لايجمعها معنى وانما توزعها معان.. وافتراضات .. واحيانا انسلاخات من الواقع الى المواقع المعاكسة والمضادة لطبيعة الأشياء..

الراكضون دون هدف..

المولولون دون سبب..

المتعانقون دون حب..

المتصارعون دون حاجة..

المهرجون وفي اعماقهم تقطر دماء المأساة..

الباكون.. وفي وجداناتهم الف رغبة ورغبة للابتسامة..

الصغار.. في ادوار الكبار دون ان يكبروا..

والكبار في ادوار الصغار دون ان تتحرك بهم قافلة العمر..

مسرح كبير اسمه الدنيا.. وممثلون كثيرون اسمهم البشر.. ومتفرجون اكثر واكثر اسمهم المشدوهون الباحثون عن مواقعهم ووقائعهم؟

احبك ياوطني

احبك ياوطني.. ومن اجل حبي لك فانني أخاف..
أخشى عليك عيونا ترقبك في طمع..
أخشى عليك ايدي تمتد اليك في جشع..
اخشى عليك السنة تنهشك في حقد..
اخشى عليك حرابا توجه نحوك في ضغينة..
احبك ياوطني.. ومن اجل حبي لك فانني اتمنى..
اتمنى رخاء ينعم به كل بنيك..
سلاما يستظل بفيئه كل مواطن..
وفاء يواكب كل حركة..
ولاء يتعمق مع كل خطوة..
بل وبناء تكون لبناته الحب.. العدل.. العلم..
أحبك ياوطني.. ومن اجل حبي لك فانني أرقب..
أرقب سحب الدخان من حولك في قلق..
أرقب حركة المتغيرات في حذر..
أرقب سماءك الصافية حتى لا يلوثها الدخان الأسود..
أرقب رمالك الحمراء حتى لا تحرثها مناجل التشويه..
أرقب مقدساتك حتى لا يلوثها ضباب الحيرة والردة..
أرقب تاريخك حتى لا تنفصل.. او تنفصم عراه..
أرقبك ياوطني.. ياكل وطني بخوف الحذر.. وبأماني المخلص في خلاصك من كل حبائل الغدر.. والطمع .. والجشع.. والحقد.. يا وطني..

اختيار المشاركة

إرغام الفتاة.. على زوج لا يحبها جريمة.

وارغام الفتى .. على فتاة لا تحبه أيضا جريمة

كلا الخيارين مطلوب بل كلاهما لازم لازب.. إذا ما أردنا أن يكون بناء صرح الزوجية قائما على وفاق.. وتماثل.. وتعاون..

وهم كثرة أولئك الذين قدموا بناتهم قربانا للمهر.. للقهر المادى طمعا في ثروة ذلك الزوج او منصبه..

وهم كثرة أولئك الذين أرغموا ابنهم على القران بقريبته.. وابنة شريكهم في المصلحة والعمل أما الهدف من هذا الزواج فلكى يكون ماؤهم فى عجينهم كما يقول المثل.. وحتى يكون الرصيد المادى المشترك فى مأمن من اى وافد غريب يطاله.. او ينتقص منه..

واخضاع الزواج وهو روحى واخلاقى معا.. إخضاعه للعوامل المادية أمر له خطورته.. وذيوله ومضاعفاته..

وكما انه لايجوز لاحدنا أن يفرض على الآخر الاكل الذى يطعم ونوع اللباس الذى يلبس فإنه لا يجوز وهذا اهم أن نفرض عليه نوع الزيجة.. إلا إذا كان ذلك وفق رغبة مشتركة من الزوج والزوجة.. وتبقى المشورة هنا وحدها عنصر التقبل الوحيد..

ولقد مضى الوقت الذى كان يساق فيه الزوجان الى حتفهما دون اختيار وتقبل .. لان جادة المستقبل المشترك تفترض الرؤيا المشتركة.. والرؤية الصادقة المتوافقة.. وهذا بيت القصيد.

الحب الحقيقي

الحب الحقيقى هو العطاء.. وليس الاخذ وحده..
الايثار.. وليس المقايضة فقط..
الوفاء.. وليس الرغبة في المقابل دون مقابل..

الحب ليس تجارة تقوم على عملة دون عمل أو علم.. والا أصبح بضاعة خاسرة يتحكم فيها القادرون.. ويتعثر فى مسالكها اولئك الذين لا مقدرة لهم على انتزاع الحق..

الحب ينبع من الاعماق يتدفق ليملأ القلوب العطشى.. ليخصب الارض بعد جفاف.. وان تكون ثمار هذا النبع وحصيلته ملكا مشاعا بين المحبين.. الا أنها لا تصح أن تكون وثاقا مسبقا لتفجر هذا المجتمع وجريانه.

الحب أمل نعمل من أجله.. لاعمل نرهن الآمال من أجل مكاسبه الضيقة وحدها..

الحب أكبر من الانانيات.. أكبر من الذات.. أسمى من الملذات.. وأبقى من تطلعات جائعة.. وأبقى من عواطف غريزية تثيرها بهيمية الجسد.. ونهوماته المجنونة..

الحب تجديد متلاحق للقاء من أجل البقاء.. نصنع معه مستقبل أبنائنا.. ونضع فى زواياه لبنات عشنا الهادىء الباسم..

والا..

وبغير هذا فان حبنا لايعدو أن يكون نزوة تغزو جوعنا لتشغله على انقاض الحب الحقيقى الذى نبحث عنه وهو بين أيدينا.. دون أن نراه لاننا لا نبصر ببصيرتنا. لان عيوننا المفتوحة لا تبصر.

بماذا ترد الهدايا؟

يقول المثل الشعبى:

«خير الهدايا ردها بروسها»

وهذا على ما أحسب خطأ في المنطق.. وفى المنطق.. لان إعادة الشيء نفسه معناه في اقسى الحالات الرفض. وفى أيسرها الاعتذار.

والهدايا .. لون من التعامل الاجتماعى بعضه محبب.. والبعض الآخر مشوب بالشبهة.. إن لم يكن موصوفا بها.

والهدايا.. في معظم حالاتها ترضية قد تفرضها ظروف معينة.. أو تدفع اليها ضرورات قائمة.. هى من مهديها خلقا للعلاقة.. أو خنقا للاعتراض..

وايا كانت الهدية.. وايا كانت دوافعها.. فان اثرها المحمود لا يتجسد الا إذا كان تقبلها محمودا أيضا..

وليس برد الهدية المشروعة الى مهديها يكون الحمد..

إن أجمل مكافأة لمن أهدى أن تكون هديته لك ماثلة أمام عينه.. يشهدها فى نظراتك.. في نبراتك.. وعلى حركاتك.. هذا اذا كانت تلك الهدية عطاء نجيلا. ومشاركة انسانية لا شائبة فيها هكذا يقول صاحبى:

لقد أهدى الى صديقى قلما ذهبيا.. أتدرى بم كافأته.. ؟!

قلت : «بماذا؟!

قال :

فى كل مرة القاه.. اتعمد أن أحمل القلم الهدية معى.. لكى أجدد فى نفسه الذكرى بهديته تلك .. إن ذلك أفضل رد»

الانسان تاريخ

الانسان تاريخ.. وافعال.. قبل أن يكون جاها.. ومالا..

وكما أن من الصعب عليه أن ينسى اسمه.. فان من الصعب عليه أيضا أن ينسى فعاله..

ولو منح كل واحد منا لنفسه لحظة تفكير.. لحظة تأمل ذات خلفية فى عمرها. ومستقبلية أيضا في ذلك العمر.. لو أن كل واحد منا منح لنفسه تلك اللحظة.. وراجع فيها ذاته.. وصفاته. واحكم مقص الرقابة الصارم على ماقدم.. وما سيقدم.. لكان ذلك منه درعا.. وردعا.. يقى.. ويزجر..

إن رصدنا للماضى في يقظة ضميرية.. معناه أننا لن نتحمل نقطة السواد على صفحة ماضينا وبالتالى فان أخطاء الماضى أو نقط سواده ستظل تؤرقنا . وتزجرنا وتدفعنا عبر جادة الحاضر والمستقبل نحو نهج سليم يكفر ما مضى.. ويغسل بقع السواد العالقة في صفحة الذكريات..

وحبذا.. لو أن يقظة الذاكرة كانت ذاكرة.. لاتنسى.. أو تتناسى.. لا تضيف الى رصيد بقعها السوداء بقعا جديدة تشين من نضارة الصفحة ومن نقائها..

والضمير اذا كان حيا يتذكر.. إنه أقوى درع واعتى رادع.. ذلك أن الضمير لايمكن أبدا أن يستريح تحت عاصفة الزجر.. والتأنيب.. لانه الصفحة المشرقة للانسان داخل نفسه.

افلاطون المفكر ماذا تعني؟

الفلاسفة والمفكرون والعباقرة -جلهم لا كلهم هم اقل الناس اكتراثا.. وابعدهم نزعة.. عن رتابة الشكل مظهرا.. ومعايشة.. واهتماما..

انهم يقضون حياتهم في شبه فوضى محببة الى نفوسهم.. انهم يطلقون لشعورهم العنان في حرية متناهية.. تشبه حرية الانسان الاول الذى عمر الغابة.. وتآلف مع وحوشها وضواريها حتى في اوكارهم حيث يقضون اعمارهم فان تنافر الاشياء... وتناثرها دون ضابط أمر لازم يكاد يكون صفة لازمة مميزة لهم..

اهو عدم اكتراث لما أملته الحضارة المادية على جيلهم.. وصبغت به لون حياته؟!.

أهو فلسفة تعنى السخرية من ان يخضع الانسان نفسه لضوابط تملى عليه دون ان يكون لها التصاق بأعماق فهمه واستيعابه؟!

أهو انشغال بما هو أهم.. انشغال بأبعاد الفكرة لاجتلاء اسرار الكون.. والحياة.. لايترك في وقتهم المزيد لما عداه؟!

أهو العجز عن بلوغ الكمال.. العجز عن الجمع بين الصورة واطارها الصورة الحية للفكر.. والاطار الجميل المنظم للمفكر..

تساؤلات عدة.. قد تكون صحيحة.. وقد تكون خاطئة. وقد يكون البعض منها خاطئا او صحيحا.. الا انها تساؤلات ستظل مواكبة لهذا اللون المتناقض المتباين في حياة هؤلاء..

الظـل

اخطر ما على الانسان ان يتحول الى آلة صماء يتحرك في بلاهة دون وعى ويقظة او لا يتحرك.. اخطر ما على الانسان ان يطلق تفكيره.. ان يتخلى عن خصائصه الذاتية ليسبح في بحر لا مجداف له فيه.. ولا شراع معه.. وليغرق..

والذين ينسلخون بارادة او بغير ارادة عن شخصياتهم ليتحولوا الى ظلال باهتة تعكس حركات غيرهم او لا تعكس شيئا. اهم ضرب من الفقاقيع التى تتلاشى دون ان يحس بها احد.. او يشير الى وجودها احد.. والانسان في تاريخه ارادة.. وتفكير.. وصنع التفكير يرسم الخطوة..

والارادة تدفع الى تحقيقها..

اما الصنع فهو اداة العمل التى تحققها وتجسدها على مسرح الواقع..

وفي عالمنا الواسع ما اكثر الذين يستغرقون كل حياتهم كل اوقاتهم دون فكر.. دون تفكير.. دون ارادة عمل.. دون طموح.. دون اى شيء.

يربطهم بالحياة فقط انهم يتحركون كالاحياء .. ينامون كما ينام غيرهم.. يتثاءبون كما يتثاءب غيرهم.. يأكلون كما يأكل غيرهم.. يصرخون كما يصرخ غيرهم.. ومع كل هذه الوجبات الثقيلة.. النوم.. التثاؤب الاكل.. الصراخ.. وبين افرازاتها القاتلة تنعدم الرؤية.. ويموت الاحساس.. وتنتحر الاعمار..

وشتان بين من يضيفون لبنة الى صرح الاشادة .. وبين من يتوسدون اللبنة فما يوقظهم من سباتهم الا طارق السبات الآخر.. لان حياتهم كل حياتهم سبات.

الواقعية في الشيء

اساسات الأدوار الخمسة لايمكن ان تقوى على حمل عشرة أدوار.. والسيارة ذات الطن الواحد لايمكن لها ايضا ان تتعدى طاقتها في الحمل.. مثل الاساسات ومثل السيارة يأتي الانسان ايضا.. انه اعجز من ان يظهر بأكبر من حجمه وقدراته..

حتى اولئك الذين يحيطون انفسهم بهالة من الدراية والخبرة وهم دون ذلك انما يتجاوزون مرحلة القدرة على عالم التندر والضحك..

والانسان يظل انسانا اذا كان طبيعيا في قوله طبيعيا في ممارسته.. طبيعيا في نظرته للاشياء دون افتعال يضخم الصورة ودون انفعال يحطمها.. والا تعداها.. وانفصل عنها وبات مدينا لذاته وانانياته..

واخطر مايهددنا ان يدعى الواحد منا مالايعرف.. ان يكابر في اصرار على معرفة مايجهل لا لشيء الا لكي يثبت وجوده ولو على حساب المعميات والركض في متاهات لانهاية لها.. ولاقرار او استقرار.. ان المعرفة الذكية هي التي تحمل صاحبها حين لايعرف على طرق باب السؤال لا على فتح باب الرد الخاطيء.

واكبر الناس ثقافة ودراية هم اكبرهم تواضعا وتلمسا للحقيقة في هدوء واتزان..

اما اولئك الذين يصرخون في كل واد.. ويلقون بدلوهم في كل بئر.. ويدعون أن الدراية بعض مايدرون. فان حكمة واحدة يجب ان تلصق بجدار درايتهم..

«اذا لم تستح فقل ماشئت.. ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه.

الفقود اغلى

أغلى مالدى الانسان ماكان خارج ارادته وسيطرته.. انه دائما يتعلق بذلك الشيء البعيد عنه حتى ولو كان شيئاً عاديا.. حتى ولو كان بالنسبة لما يملك امرا ثانويا لاقيمة له.. ولا أهمية فيه..

ولقد علمتنا الحياة ان المرء يتوق بطبعه الى مايملكه غيره.. او الى مالا يملك هو نفسه.. انه يندفع بكل حواسه.. وفضوله.. بحثا عن ذلك الفالت عن سيطرته.. الخارج عن تبعيته.. وما أن يضم ذلك الفالت الخارج الى حصيلته حتى يتحول الى شيء عادى لايثير فى نفسه الرغبة.. ولا السعادة .. ولا الاهتمام..

غريزة الانسان نفسه في الاكتناز لمجرد الاكتناز دون معنى.. دون وعى للجهد .. ودون فهم للحصيلة.. بل ودون حساب للغنم.. وكم هم كثرة أولئك الذين يجهدون انفسهم فى حصيلة لامردود لها.. وفى جمع لا ارقام فيه.. وفى مكاسب لاتكسب..

وكم هم كثرة أولئك الذين يتعلقون بأهداب السعى.. جريا وراء مايتوهمون انهم فى معزل عنه بدافع الخطر.. او المنع.. وكأن عامل المنع وحده يشكل الهدف.. والعناية.. والوسيلة للتحرك دون ضابط..

وقديما قال الشاعر وكأنما كان يحاكى طباع الانسان.. وفضوله المتواصل:

وخير شيء الى الانسان ما منع.

ماذا تعني الأسماء؟!

قال لصاحبه..

ــ لماذا اطلقت على الوافد الجديد.. اسم« وليد »؟

لماذا لم يكن اسمه مثلا«سعد او صالح او حسن او محمود او سامي» انها اسماء ذات معنى.. ومضامين .. انها اسماء تحمل في طياتها اكثر من فال بالسعادة والصلاح والحسن. والحمد. والخلود..

وكان رد صاحبه عليه.. ــ لقد آثرت ان اطلق على المولود الجديد اسم وليد لأنه اقرب الاسماء الى واقعه.. واصدقها.. انه وليد جديد لم يبدأ بعد مسلكا ولا منهجا في هذه الحياة يحدد هويته.. ومجرى حياته..

كثيرون اولئك الذين يحملون اسماء سعد.. وهم اشقياء. كثيرون اولئك الذين يحملون اسماء صالح وهم غير صالحين..

كثيرون اولئك الذين يحملون اسماء حسن ولهم كل صفات الدمامة والقبح ان لم يكن في شكلهم.. ففي فعلهم..

كثيرون اولئك الذين يحملون صفات الحمد في اسمائهم.. الا ان سمات الجحود تطل من بين ثنايا تصرفاتهم.

كثيرون اولئك الذين تشير اسماؤهم الى السمو.. وتدلل فعالهم على الانحدار.. ومن اجل هذا فان الربط بين الاسم وبين المسمى امر ادعه للمستقبل.. لكي يحدده واقعه من خلال تعامله مع الحياة..

ان «وليد هذا هو اسمه الفعلي.. وحين يكبر فان اسمه الجديد سوف يولد مع تصرفاته.. ومن خلال ما يطبعه على خط سيره من استقامة او التواء.

الضعف العادل.. أقوى

في النفس البشرية جانب ضعف قد يكون مظهرا عادلا.. هو ان لا يستمر القوي قويا.. ولا الضعيف ضعيفا.. وانما تتوزع ادوار الضعف والقوة.. ادوار الغالب والمغلوب.. ادوار النجاح ومادون النجاح بين هذا .. وذاك.

واشعر انني احد الذين يشدهم الضعف العادل إلى وثاقه وقيده.. ان صحت هذه التسمية.. وكثيرا ما اسعدني ان ارى فريقا متواضعا من فرق كرة القدم انتصر على الفريق الاقوى.. وانتزع منه البطولة التي كادت تكون حكرا له.. ووقفا عليه.. فطعم هذا حرارة الانتصار.. وطعم ذلك مرارة الهزيمة ولو لمرة واحدة..

النجاح الدائم.. أو الفشل الدائم أمر يصعب التسليم به.. حتى ولو كان على مستوى الالعاب.. فكيف اذا كان على مستوى المعاناة والاتعاب.

ان عدالة الحياة تعني مشاركة متاحة للبسمة وللدمعة.. بالامل وللالم.. تعني ان لاشيء يبكي دائما.. وان لاشيء يضحك دائما.. ان لاشيء ينجح دائما.. وان لاشيء يخفق دائما..

والمهم في هذا ان يكون سعي المرء ودأبه بحجم طموحاته وتطلعاته.. أن يغتر بنجاحه.. وان يتهيب فشله فيحجم عن السعي.. دائما يتحرك واثقا من انه سيعبر الجسر الممتد بين آماله والآمه ليقفز الى حيث يجد نفسه في مستوى النجاح وفي مستوى الفوز بالكأس حتى ولو كان من فرق الدرجة الرابعة أو العاشرة..

رحيل الفكر قبل صاحبه

ان يموت الفكر قبل رحيل المفكر اشد قسوة وهولا من ان يرحل المفكر حاملا معه مشعل فكره.

بعبارة اوضح..

ان يموت فكر المفكر وما زال حيا يرزق اكبر كارثة.. واكثر ايلاما للنفس من ان يموت وفكره هو هو دون ردة او انعطافة قاتلة..

وكثيرون توارت اجسادهم عنا.. وظلت افكارهم ومعطياتهم تعمر وتثرى.. وتؤكد لحياتهم الخلود والاستمرارية..

وكثيرون ايضا شرقت بأفكارهم الردة فانتحرت ولم تبق لهم الا ركاما وحطاما يؤنب منهم كل خلجة.. وكل حركة.. بل وكل سكون..

وما ابشع ان يموت المفكر حيا.. ان يرتد عن فكره.. ان يركب موجة المؤثرات من حوله.. ان لايكون ملتزما..

ان اذكى الابطال هم اولئك الذين يعتزلون البطولة وقد تربعوا على عرشها ساعة احساسهم بعدم قدرتهم على الاحتفاظ بها..

والمفكر الانسان هو ذلك الذى يحافظ على ما اعطى فلا يغرق فى وحل الدجل وانما يستمر.. ويستمر.. او على الاقل يحتفظ لعلمه وفكره بكرامة الصمت.. حين يحس بانه بدأ يجتاز ارذل مراحل التفكير في عمره أو أرذل مراحله بمعنى اصح..

ان أقلاماً تكسرت.. وان اقداما تعثرت.. فقدت بردتها امسها المضىء لانها طمسته.. وفقدت يومها لانه ليس من عمرها.. وافتقدت غدها لان لا مستقبل لها.. ولم تجد فى حياتها غير بقايا من حطام قلم

تكسر.. ومن ركام قدم تعثر.. ومن تابوت فكر ميت لايشيعه احد.. ولا يترحم عليه احد..

والويل لمن مات فكره قبل ان يوارى قبره..

الدنيا حظوظ

قال محدثي:ـــ

ـــ هل تعرف فلانا.. ان دخله في سويعات من ليلة واحدة يغني فيها ثلاثين الف ريال لاغير؟!

قال:

ـــ وليته يغني فيطرب .. انه يرفع عقيرته الصوتية فيما يشبه الصراخ الهستيري.. وبكلمات ممجوجة سمجة.. ومع هذا فان دخله في سويعات من ليلة واحدة اكبر وأكثر من مرتبي ومرتبك مجتمعين ولمدة شهرين..

قال

ـــ ومع هذا فان صراخ الشكوى من الغبن تتعالى.. ان مبلغا كهذا قد لا يرضى به في مرحلة قادمة نظرا لغلاء المعيشة!! وضخامة التكاليف!! وضخامة الجهد الحلقي الذي يبذل!! ولأن مطربا آخر أو مطربة أخرى تجاوزته دخلا دون ان تتجاوزه صراخا.. أو كلمات..

قال

ـــ لنا الله.. لقد فاتنا ان نتعرف على الباب الذي نلج منه دنيا الواقع لنثري.. دون جهد أو عرق.. فاتنا ان ندخل معهم عبر باب الصراخ.. والكلمات السمجة المجوجة.. لنلملم بكلتا يدينا.. رصات الورق الازرق على نغمات الأكف والحناجر الملتهبة بالنشوة والاعجاب..

قال:

ـــ وبعد ان تحرك القطار.. لم يعد لنا الا كلمة رثاء..
رثاء لمن فاتهم قطار المغنى الدسم..

رثاء لمن يقبضون ثمن صراخاتهم.. ولا شيء في مفهوم الفن..
ورثاء اكبر واكبر لمن يدفعون في غباء وجنون لمن لايستحقون.. الا
أنهم لايعون كل مايسمعون.. ولا مايدفعون..

براءة الاطفال..

وبراءة الأطفال في عينيه.. براءة الطفولة..
عصافير الجنة..

نعوت وصفات نمنحها للبراعم الصغيرة من فلذات اكبادنا الا انها بالقطع ليست صحيحة كلها.. وليست خاطئة كلها.. فالطفل رغم قدراته المحدودة على الحركة..

وعلى المواجهة.. الا ان انفعالاته المبكرة تمثل المؤشر لدوافع الصراع في نفسه.. فهو يغضب.. وهو يعبث .. وهو يتمرد ويرفض.. بل انه احيانا يواجه العنف بعنف.. وان كان في حجم عمره واقتداره..

اذا فان البراءة التي نعطيها لأطفالنا ليست واقعية في بعضها.. الا اذا كنا نعني بالاطفال اولئك الرضع الذين لايملكون الحركة.. ولم يتعرفوا بعد على المرئيات من حولهم..

ان مرحلة الطفولة مرحلة اعداد للخير وللشر.. مرحلة تهيئة واستعداد لما بعدها.. وكما ان الصراع يبدو فيها محدود النتائج والانعكاسات.. الا انه ايضا الدلالة على ان الطفل منذ تملكه للقدرة على الحركة يبدأ في مقارعة ومصارعة الاشياء من حوله.. بمفهومه المحدود.. وبحركته المحدودة..

الطفولة بريئة.. وشيقة.. مثلها الرجولة الا ان الفارق بين العمر الأول والعمر الثاني.. ان الأول يتحرك في قناة ضيقة محدودة الأثر.. أما الثاني فانه يتحرك في دائرة اوسع ابعد اثرا.. واكبر نتيجة.. واكثر احتداما.

كلاهما في صراع مع حياته.. رغم البراءة المطلة من العينين.. رغم تصورنا المتفائل لتلك البراءة القابعة في أحداق الطفل..

مفهوم الحب الواسع

اعطني الحب.. وخذ بعد ذلك ماشئت.. انك لن تجد بعد الحب شيئا يؤخذ..

رضاع من ثدي ام لرضيعها حب..

حنو اب لوالده حب .. دمعة مواساة لمن يستحقها حب..

درء ظلامة عن مظلوم حب الوفاء حب..

اشادة صرح معرفة لبناء المدارك حب..

اجادة عمل وكل الى احدنا حب..

غرس شجرة .. بذر قمحة ليطعم منها جائع حب.. قطف ثمرة من اجل فم ينتظرها حب..

ايدي تتصافح من اجل الوفاق حب..

طوبة نضيفها الى جدار الحياة حب..

قنطرة نقيمها عبر جسر البعاد حب..

مبضع في يد جراح يستأصل به آلام مريض حب..

دين نقضيه عن عاجز حب..

ملجأ نقيمه لمشرد حب.. قطرة من دم نسيلها على تراب الفداء من اجل الوطن حب..

صرخة نلقي بها في وجه الظلامة حب..

شمعة نوقدها لتنير درب السالكين حب..

أعطني كل هذا.. وخذ بعد ذلك ما شئت.. انك لن تجد بعد الحب شيئا يؤخذ... ولا شيئا يعطى..

خاطبوهم بما يعقلون

خاطبوا اطفالكم الصغار بما يعقلون.. وما تتسع له مداركهم المحدودة.. لابما تعقلون انتم..

وصاحبنا خاطب اطفاله بما يعقل ففشل..

وخاطبهم بما يعقلون ويخشون فوصل.

اعلمهم ان الاكل غذاء وضرورة للجسم لان العقل السليم في الجسم السليم فما أدركوا معنى مايعنيه.. وحين قال لهم ان البطن الجائع يشتكيهم يوم القيامة امام ربهم لانهم اجاعوه.. خافوا العقاب فاكلوا..

وحين نهاهم عن الاعتداء على الحيوانات الاليفة الضعيفة.. وتكسير الدمى لم يزدجروا وازدجروا فقط حين افرغ في اذهانهم المحدودة ان هذه الحيوانات وتلك الدمى سوف تحاسبهم امام الله على الاذى الذي علق بها.. وانها سوف تقتص بهم بنفس الصورة التي كانوا يتعاملون بها معها..

وعن القاء الأذى والاوساخ.. وبعثرة الاشياء لم يفهموا شيئا مما كان يحاضرهم به صاحبنا.. عن الذوق السليم.. عن النظافة والصحة العامة.. عن الاوبئة والامراض.. فقط كانت استجابتهم له يوم ان قال لهم:

وكل الاذى والاوساخ سوف يتحول يوم القيامة الى شوك من نار محرق ثم تؤمرون بجمعه من كل مكان القيتموه فيه.. فيكوي اصابعكم. ان علينا ان ننزل الى مستوى مدارك اطفالنا لنرتفع بهم الى مستوى افكارنا عبر الجادة التي تقوى عليها اقدامهم وفهمهم المحدود لا ان نحبسهم وراء جدران شاهقة من ادراك يكبرهم فهما.. ويعجزهم هضما.. ويمنعهم استجابة..

حين يجف الحب تنتحر الحياة

حينما يجف الحب في اعماق الربيع تنتحر الحياة..

ولكن الحب ابدا لايجف مادام هناك عود يورق.. ما دام هناك طائر يغرد.. ما دامت هناك وردة تفتح.. مادامت هناك شمس تنشر اشعتها الذهبية الدافئة بساط الارض.. مادام هناك نسيم عليل يطري الوجود.. ويداعب اغصان الشجر.. مادامت هناك بسمة طفل مادامت هناك دمعة ام حانية.. وما دام هناك بدر يلهم الاحبة.. وما دامت هناك نجوم تعكس المحبة..

ورغم الدمعة الحرى التي تطفىء شمعة الحب.

ورغم الجفوة التي تشين سماء الصحوة..

ورغم الجحود الذي يدمي ويجرح كبرياء الوفاء..

ورغم الدماء التي تسيل وتلعن الظلم.. وزبانية الاظلام..

ورغم الملل الذي تدفع به رتابة الحب الى حين.. ورغم الورود التي تقتلعها الايدي غضة بضة لتدوسها الاقدام..

ورغم الغيوم التي قد تحجب اشعة الشمس.. وهالة القمر.. وعناقيد النجوم المعلقة تحت قبة السماء الزرقاء.. ورغم الرياح العاتية التي قد تمزق السكون.. وتحول نفحات النسيم الباردة الى لفحات جحيم كاوية..

ورغم هذا كله فان موجة الحب في اعماق الحياة لايمكن ان ينطفىء لان وقوده من وجوده الازلي الضارب في اعماق الكون.. وهو الاقوى من كل عوامل التعرية.. ومن كل معاول الهدم.. ولأن خلاياه تتجدد.. وجذوره الاصيلة المتأصلة ضاربة في اعماق اعماق الازل.

الحب موجود.. ما بقي الوجود..

رحلة الخيال

اسرع رحلة في الحياة هي رحلة الخيال.. والفكر.. انها تسبق رحلة الضوء.. تسبق رحلة الصواريخ والمركبات الفضائية..

ان وقفة فكر واحدة.. وقفة تأمل لاتستغرق من صاحبها الدقيقة كافية لان تعبر به عبر اجنحتها الخفية ملايين الاميال.. وآلاف المشاهد كما رآها.. كما قرأ عنها.. أو كما تخيلها..

ان دقيقة فكر أو تخيل تجعلك في عدة نقلات من التاريخ في عصوره المختلفة.. مع الماضي بميراثه.. ومع الحاضر بأحداقه.. بل ومع المستقبل بتوقعاته ومفاجآته.. دقيقة فكر أو تخيل تسبح بك في فضاء القارات الخمس تحس.. وتشهد .. وتسمع وكأن العالم بأسره يبدو كرة صغيرة صغيرة أمام منظار الحس..

ان عظمة الخلق من عظمة الخالق ولو أن الانسان بتميزه على من سواه اخضع هذا الفكر.. ووظف هذا الخيال الواسع.. المندفع دون قيود أو حدود .. لو انه اخضعه.. ووظفه في رسم الصورة المثلى لما يجب ان يكون عليه.. ولما يجب ان يضيفه لأثرى الحصيلة الانسانية بأحسن مايمكن ان يستخلص من صور.. وعبر.. وسير..

ولكن الفكر احيانا يشطح.. ولكن الخيال احيانا يتعثر ويتوقف أمام مشهد من المشاهد فيعجز دون عجز ــ عن اجتياز مابعد المشهد لأن دغدغة الكسل.. وهيمنة الملل بنت مايشبه الحائط من الوهم.. ومن النوم.. وحتى لايستيقظ .. ان الفكر الحي كالخيال الحي يتموج عبر افق الكون فاعلا.. ومتفاعلا.. وسابرا للمجهول من اجل ان يتحول المجهول معلوما.. والمعلوم واقعا.. والواقع حياة وممارسة واعية لا تؤمن بالركود.. وبالانتظار..

الرصيد الذي يبقى

فينا من يركبه الغرور لمجرد حصوله على منصب كبير..
وفينا من يركبه الغرور لمجرد استحواذه على مال كثير..
ان «الانسان» المهزوز في نفسه يتضاءل مع المنصب او المال.. ويتقلص.. ولا يبقى منه غير تلك الواقعة الداكنة القابعة في عتمة الخيلاء والكبر..

ولو ادرك اولئك ان المنصب ليس هو الانسان.. وان الثروة ليست هي الانسان.. وانما الانسان خصائص من الحب.. والتواضع.. والقيم .. والسماحة..

وما اكثرهم اولئك الذين بنى حظهم جدارا فاصلا بينهم وبين المنصب الكبير.. وبينهم وبين المال الوفير.. فكانوا أسعد حظا من غيرهم بعد ان بقيت لهم خصائصهم الانسانية بعيدا عن التلوث والتلون.

وما اكثرهم اولئك الذين طفرت بهم موجة الحظ فنالوا من المنصب اعلاه.. ومن المال اوفره واغلاه.. وكان هذا فقط هو كل حصيلتهم.. ومصدر اعتزازهم.. بل ومطية تحركهم..

لم يقل لأحد بعد موته..
«رحمه الله فقد كان وزيرا.. او وكيل وزارة».
ولم يقل لأحد بعد موته: «لقد ترك لأولاده ملايين النقود.. ولا عشرات العمارات»

كلمة واحدة فقط تقال للميت بعد موته:
«يرحمه الله فقد كان انسانا.. كان برا.. كان شهما.. كان متواضعا.. كان صالحا»..

وما احوجنا الى التواضع في عالم يزخر بالمؤثرات والمظاهر الكاذبة. مااحوجنا.

الضجة في الأعماق

الفيته يتضجر كلما لقيته..

كان مبعث شكواه دائما انه يسكن في الدور الثاني من عمارة مطلة على شارع كبير صاخب الحركة..

كان يقول دائما:

«ان الضجر والقلق يلازماني ليل نهار.. ان الضجيج المنبعث من الشارع يضايقني.. يقتل فى أعماقى كل رغبة للهدوء.. والراحة..»

قلت له:

«ولكن هناك ايضا من هم أكثر منك ضيقا وتبرما وقلقا.. وهم يقطنون دارات واسعة يلفها الصمت .. والهدوء..».

قال:

«كيف؟».

قلت:

«لأن الصخب المنبعث من أعماقهم.. لأن الشكوى المتراكمة داخل صدورهم تملأ صمت دارهم رعدا هادرا لا يهدأ..

ان الهدوء هو ذلك الذي يسكن الاعماق ويستوطنها.. ويظلها برداء من التقبل.. والتعقل...

ان افدح من ضجيج الشارع ان تكون في اعماقنا ضجة مفتعلة.. أو منفعلة تتآكل مع الاحاسيس.. وتتصارع مع الدعة..

انها الضجة التي تقتل رغم بعدها عن الشارع..

الخدعة مفضوحة

هناك حكمة تقول:

قد تخدع كل الناس بعض الوقت..

وقد تخدع بعض الناس كل الوقت ولكنك لاتستطيع ان تخدع كل الناس كل الوقت..

والخداع فى حياة البعض طلاء شفاف له بريق يبدو وكأنه الوجه الطبيعى للاشياء.. يبدو وكأنه الظاهرة.. اذ المسحة الطاهرة تصاحبه.. وما اكثرهم اولئك الذين انخدعوا.. الا ان الزمن اقوي من ان تظل صورة الخداع عالقة به دون كشف.. بل دون فضح .. وقصاص..

والنوايا الطيبة لاتكفى وحدها اسلوبا وحيدا لمد جسور التعامل بين الناس.. فلقد تاهت الثقة عبر دروب الخداع والتزييف.. واصبح الذين يتعاملون بحسن النوايا هم اولى الضحايا واكثرهم تضررا بحسن تلك النوايا..

وقديما قال الشاعر.. افطن شرا.. وكن منه على حذر..

واليقظة فى عالم اليوم مطلب لابـد من حضوره فى كل اشكال التعامل الفردية والجماعية.. لاننا نعيش مرحلة تعدت فيها المطايا.. وتكاثرت فيها الضحايا.. فمن خداع مستتر مقنع.. الى نفاق فاضح مفضوح.. الى مغالطة مكشوفة او مغطاة..

وعلى الدرب لابد من فتح العيون.. وفتح العقول لان العيون وحدها لاتكفى..

احق الناس بالحياة

احق الناس بالحياة هم اولئك الذين تطفح نفوسهم حباً.. ونقاء.. وتواضعاً..

الحب ارضية للتعايش..

والنقاء مجهر للابصار والرؤية..

اما التواضع فملامسة رافعة للانصهار في بوتقة الحياة..

الذين يحبون سعداء بدموعهم.. وسعداء بابتساماتهم.. لان دموعهم وابتساماتهم. تلتقي في نقطة يقظة الضمير وتأثره حتى ولو كانت جارحة مؤلمة احيانا..

والذين يبصرون المرئيات من حولهم بمجهر النقاء ينفذ إبصارهم.. وتنفذ بصيرتهم عبر افق لا عتمة فيه.. ولا هواجس حوله.. ليصل ولتصل الى الحقائق.. كما لو انها المحصلة التي ولدت معه.. واستقرت في وجدانه.. وامتزجت بشرايينه..

اما التواضع وهو القمة في خصائص الرجال فانها اولا وليس آخراً تمثل الربط الانساني والاخلاقي لكل انفعالاته.. وارتباطاته بما حوله..

ولو اننا احببنا في نقاء وتواضع.. لاقفلنا ابواب المحاكم.. ولهجرنا زنزانات السجون.. ولاقفلنا مصانع الذخيرة.. ولاذبنا حواجز الحدود .. ولملأنا الارض من حولنا وروداً.. وجداول.. ولما كانت هناك آلام.. ولما كان هناك صدام..

ولكن تأبى الحياة الا ان تكون غابة للتجربة.. وللتآكل.. يطعم هذا من ابتسامته.. ويطعم ذلك من دموعه.. ويتيه الثالث بين ابتسامة باكية.. وضحكة هازئة حزينة..

وتبقى احقية الحياة للاحياء مجرد امنية تغفلها الحيرة.

الصرعة الذاتية

الويل لانسان تحكمه الصرعة..
فما يتصرف الا عن هوى وعاطفة..
وما ينطق الا عن نفاق واختلاق..
وما يعطي الا على مضض. وفي شح..
والويل لانسان ينتصر لقوة الخطأ على ضعف الحق..لأن طاقة الخير في نفسه موثقة بقيود الضعف والرهبة.

الويل لانسان تحكمه المادة فما يبصر الا من خلال ما يقبض.. ولا يعطي الا من خلال ما يستبعد.. ولا يمد يده الا من خلال ما يعصر ويهصر.. الويل لانسان يسبق شكه يقينه.. يسبق عجزه اقتداره.. يسبق ليله نهاره.. يسبق يأسه أمله.. تتعرى اغصان حياته ومازالت غضة بدافع الوهم.. وبدافع الهروب من مواجهة عوامل التعرية المنكرة المبكرة.

الويل لانسان لايبصر الا نفسه وحدها.. ومن اجلها فان كل شيء سواه لايهم.. لايهم اكان احترق.. ام كان غرق.. ام كان شرق بدموعه في متاهة الدرب.. وفي ضباب المأساة..

الويل لانسان يتخلى عن انسانيته .. عن عدالته.. عن رحمته.. عن تواضعه.. وعن مشاركته للآخرين.. وعن مباركته للآخرين..

الويل له.. وحتى لو كان محصنا من الشكوى.. ومن البلوى .. لأن صرعة الذات في اعماقه اكبر من كل شكوى.. وأمر من كل بلوى..

جيل الكفاية

قالت لي جدتي:

نحن يابني افلح منكم حالا.. واسعد بالا.. نحن لم نمتط السيارات ولا الطائرات وانما الدواب .. واحيانا نعتمد على سواعدنا.. ونحن لم ناكل الحلوى ولا الشيكولاتة.. وانما(التمر) مسامير الركب.. نحن لم نشرب المياه الغازية ولا الكحول.. وانما شربنا اللبن الحليب.. والماء النقاح.. نحن لم نلتهم ارزا وقمحا استوردناها ..انما طعمنا ذرة وقمحا بذرناها وحصدناها..

نحن لم نلبس الفراء.. ولا احذية الجلد المستوردة من باريس ولندن وانما لبسنا الخام الذي نسجناه.. والعباءة التي غزلناها وحذاء الزرابيل الذي احكمنا صنعه..

قالت جدتي..

نحن يابني افلح منكم حالا واسعد بالا رغم كل المظاهر التي تعيشونها.. ورغم كل وسائل الترف التي اخضعتموها لحياتكم.. فانتم تحبون ما يعطيه لكم الآخرون اما نحن فنعيش ما نصنع.. انكم تعتمرون خوذة فارس وفد اليكم من البعيد.. اما نحن فنعتمر خوذة من داخلنا..

قالت جدتي..

انني اتحسر على زمن مضى كان كل شيء في حسابنا من ترابنا... كان كل شيء في سلوكنا من تراثنا.. اما الآن فقد انفرجت الستارة.. وتاه النظارة بين مقاعد المشاهدين والمستشهدين.. لانهم تخلوا عن مقاعدهم.. وتاهوا في لجة الزحام لما تأتي به انجازات الآخرين صحيح انكم ارق مظهرا الا اننا اعرف مخبرا.. وهذا هو الفارق بين جيلين جيل مضى ينتج.. وجيل أتى يستهلك..

قلت لجدتي.. ولكننا اتينا في عالم متغير مفتوح الابواب والشبابيك.. نتعرف على مواضع اقدامنا بخطوات انتاج مستقبلية ومفتوحة على ما حولنا.. سوف تستبين ملامحنا قريبا.. انتظري..

ضحكت جدتي.. وحركت شعيرات راسها البيضاء وقالت..

ليس بالضرورة ان انتظر فانا راحلة.. ويكفيني فقط ان تعيشوا مع آمالكم بخطوات اعمالكم وهذا يكفي..

سعادتك!!

قال محدثي:

كنت مغموما ساعتها.. كانت سحب من تراكمات المشاكل تكاد تغرقني بسيلها.. وكنت اشبه بذلك الشارد الذي تحس انه معك وليس معك كانت نظراتي تسبح عبر خضم متلاطم من الافكار لا تستقر على صورة.. ولا تقف عند مشهد.. ورغم انني اجلس على الكرسي المتحرك امام مكتبي الا انني اتحرك بعيدا.. بعيدا عنه..

وفجأة دخل المكتب.. والفيته منصبا امامه يطرح سؤاله

سعادتك!! فلان..؟

وسألني للمرة الثانية..

سعادتك!! المسئول عن ...؟

وبما امكن جمعه من شوارد اجبته ايضا بنعم.. وللمرة الثالثة يطرح سؤاله.. او بمعنى اصح سؤله ــ اريد من سعادتك!!!...

واحسست ان كل ما لملمته من شوارد قد شرد على وقع كلمة«سعادتك» التي لا اعرف لها طعما .. واجبته...

ان سعادتي!! في اجازة قد تطول.. وما عليك الا انتظار سعادتي!! حتى ترجع.. ويومها سيبحث سعادتي! في طلبك..

وشعرت انني سددت له حساب السعادة!! ثلاث بثلاث.. ولا شيء غير الكلمات التي تفتقد مضامينها في اغلب الاحيان.

الركض من المشوار الأخير

نحن نشيخ.. ونهرم.. وبمقدار ما نقترب من حافة القبر يزداد رعبنا.. يتضاعف فزعنا.. بل ومحاولة الابتعاد عن شبحه الجاثم في الزوايا.. المعشش في التصورات..

ان اكثرنا عناداً.. ومغامرة.. وبعدا عن الخوف هم اولئك الذين مابرحوا في منتصف الجادة الموصلة الى النهاية من اعمارهم.. انهم يندفعون كما لو كانوا اسرى آمالهم البعيدة البعيدة عن تخيلات المنية.. وتوقعات الموت..

تذكرت كل هذا ومشاهد الناس عبر الشارع الطويل المكتظ ترسم خطوطها.. وتفتل خيوطها.. مابين مندفع في خطاه الشابة.. ومتردد مرتعش في فرائصه الكهلة..

شاهدته.. اكثر من طاعن في السن تستمر خطاه على الرصيف دقائق .. يتطلع يمنة ويسرة لكي يعبر.. وما هو بعابر.. ان خشيته على نفسه تفوت عليه فرص العبور في مسلك آمن لا خطر فيه..

ولا انسى ذلك المشهد لذلك الهرم الذي تجاوز السبعين من عمره وهو يكيل الشتائم والسباب يوجهها الى قائد دراجة مر على بعد متر بها.. وكان يقطع طريقه الى الرصيف الآخر.. لقد كان متشنجاً.. غاضباً.. خائفاً.. كانت الكلمات من فمه مذعورة.. مبهورة.. مشدودة الى وثاق خوفها من الخطر..

صحيح انه بمقدار ما تطول بنا الاعمار.. يزداد تعلقنا باهداب الحياة.. تحسبا للنهاية.. خوفاً منها.. وتعلقا بالماضي حتى ولو كان فارغاً من اية حصيلة.. وحتى ولو كان فراغاً..

اكرموا عزيز قوم

قال محدثي:

ماعهدته منذ عرفته الا شامخ الهامة كريم النفس.. سخي الوفادة.. تتمثل الرجولة في كل تصرفاته.. كان له الفضل على الكثيرين.. منهم من اعطى.. ومنهم من احتضن لحظة حاجة.. بل ومنهم من قطع دربه التعليمي بعامل مامنح.. وبفضل مابذل..

وتدور الايام.. وتمر الاعوام مخلفة وراءها ركام الماضي.. وحطامه.. وكان صاحبنا هذا من بين ذلك الركام والحطام الذي بقي شاهدا على غدر الزمن وفجيعته..

لم يعد يملك المال.. وان كان يملك ماهو اعظم من المال.. يملك اخلاق الرجال وشهامتهم.. وكبرياءهم.. وعزت عليه نفسه.. عظمت ان تهون عليه.. فظل في موقعه مترفعا يعاني.. ويعاني..

الا أن الحاجة بكل ما فيها من قسوة ومرارة أملت عليه ان يطرق باب صاحبه بعد رحلة شاقة قطعها نحوه..

قال محدثي:

ولاول مرة التقت عيناي بعينيه ادركت هول الفاجعة..

وجهه الذي تغطيه التجاعيد..

دمعته التي اخذت مجراها في سرعة فوق خديه..

رأسه الشامخ بدأ ينحني قبالة الأرض لاعن صغار.. وذلة.. وانما عن حاجة كريم قوم ذل..

وعرفت منه كل شيء بعد الحديث.. عرفت مقدار الجحدان من

اولئك الذين كان له عليهم كل الفضل وهم في حاجة اليه.. بعد ان امسى في حاجة اليهم..

عرفت منه ان الغنى بعد فقر موجة قد تسلم صاحبها الى انتحار الفضيلة في نفسه وعرفت منه ان الفقر بعد غنى توقف المجداف.. بل توقف الدم في شرايين لا حياة لها الا بهذا السائل الحيوي الذي اعتاد التدفق عبر الشرايين.

لاشيء يرضي

قال محدثى:

ـــ جربت نفسى فى كلتا الحالتين..

الصمت..

والكلام..

ولم افلح، لم ارض احدا.. حتى نفسى باتت تعانى نتائج ذلك الرفض الاجتماعى الظالم..

قلت:

كيف..

قال:

ـــ جربت ان الزم الصمت.. ان اكون مستمعا لغيرى.. فقيل عنى اننى انطوائى.. مغلق.. غامض..

وجربت ان اتحدث وان ادعو لغيرى السماع فقيل عنى اننى مهزار.. ثرثار يريد ان يلفت الانظار اليه..

لم افلح وقد لذت بالصمت..

ولم افلح وقد تحدثت..

ولم افلح فى ان اقيم حائطا يقينى على الاقل تقولات الناس.. ونقدهم.. ولدغاتهم الجارحة..

قلت له:

الصمت دائما قد لايكون من«ذهب»كما أن الحديث دائما قد لايكون من فضة ايضا وما عليك ان يقول عنك الناس ماشاؤوا ان رضاهم غاية لن تدرك.. وما اظنك تنسى قصة جحا وحماره وابنه..

لقد ركبا الحمار فاتهمهما الناس بالقسوة.. وركب الاب وحده فاتهمه الناس بعدم الرحمة.. وركب الابن وحده فاتهمه الناس بالعقوق.. وحين تركا حمارهما طليقا خالى الحمل قال عنهما الناس انهما مغفلان ..

تلك حكاية الانسان مع اخيه فى كل زمن ايها الصديق..

لون التعامل

بماذا تحب ان تكون معاملتك للناس؟
أبما يعاملونك به؟!
أم بما تحب ان يعاملوك به؟!

اذا كان الاول فان الفعل يتطابق مع رد الفعل.. ويكون التعامل لونا من التبادل الفعلى بكل ما فيه من حسنات ومساوىء.. من وفاء ونقيصة.. ذلك ان الخيار انتفى.. ولم يعد لتقدير الضمير اى دور فى املاء المسلك.. وبالتالى فان كفتى ميزان التعامل تتقارعان.. وتتصارعان ايهما ابتدأت الهبوط.. وايهما ابتدأت الارتفاع..

اما الوجه الآخر للتعامل حيث لايخضع الفعل لرد الفعل.. وحيث لايكون الرد حصيلة انفعال عصبى.. فان وجه التعامل ينطلق من اطار السلوك العقلانى الذى يبصر بعين مفتوحة يقظة.. ويتحرك بأقدام مرسومة الخطى بعيدة عن قيد المواجهة النفسية الرازحة تحت تأثير الذات..

ولو ان تعاملنا مع انفسنا ومع الآخرين كان عقلانيا لما كانت هناك محاكم.. لانه لا توجد بالتالى خصومات او صراعات .. وحتى لو وجدت فان ضوابط التعامل تعطى لها الحل والبديل..

الا ان مانشكو منه مر الشكوى فى تعاملنا هو اننا نتعامل مع بعضنا تحت شعار«اعامله كما يعاملنى» فاذا شتم شتمت.. واذا ضرب ضربت.. واذا غدر بى غدرت به.. فالجزاء من جنس العمل..

ومن هنا تضيع صمامات وضوابط المسالك العقلانى.. ولا يبقى الا الفعل ورد الفعل.. الصراخ والشكوى .. وصدى الانفعال بالصراخ والشكوى.. ويبقى العقل وحده اسير وحدته وعزلته..

العدل.. او الواحدة

لا اعتراض لاحد على تعدد الزوجات فقد اباحه الاسلام السمح.. ويسمح به.. الا ان التشريع وضع العدل شرطا لمن يطمح في اكثر من زوجة.. واكثر من زيجة..
(فان خفتم الا تعدلوا فواحدة).. صدق الله العظيم..

ومظهر العدل في الزواج لمن يبتغي عدة زوجات ان لايظلم واحدة على حساب الاخرى..ان لايكون في سلوك الزوج وتعامله مع زوجاته جنوح مدمر.. تسعد به واحدة.. وتشقى به اخرى.. وتندرج نتائجه العكسية على اولاده من هذه.. وتلك على هيئة خصام.. وتناحر.. وفجوة في العلاقات يصعب ردمها..

واذا كان مظهر العدل شرطا اساسيا للزواج من ثانية او ثالثة او رابعة.. فان عامل القدرة ايضا على تحمل اعباء الزوجة امر مهم وضروري سواء اكان ذلك ماديا.. او سلوكيا حتى لا تتحول الحياة الى جحيم لا يطاق..

ان تعدد الزوجات يعني تكاثر الاولاد.. يعني ان مسئولية الرعاية والعناية باتت تشكل عبئا ضخما.. وحملا ثقيلا لا يقوى عليه الا ذو حظ عظيم ..

من هنا فان تبعات المسئولية تتسع وتتشعب باتساع دائرة الانجاب .. وكم هم كثيرون اولئك الذين تكاثروا.. ملأوا حجرات بيوتهم نسلا وذرية.. ولكنهم فشلوا في ان يصنعوا مناخا صالحا لاولادهم فتلقفهم الطريق وجرفهم في تيار احداثه..

وما احلى العدل ـــ مع اكثر من واحدة.. والاحلى منه ان واحدة وكفاية.. والاحلى ان نكون قادرين على توجيه ابنائنا.. وتنشئتهم النشأة الصالحة.. ولن نكون قادرين مهما حاولنا اذا طفح الكيل.. وتدفق الاناء بعد ان ضاق بما فيه.. فلنق الكيل الطفح.. ولنق الاناء النضح.. ولنمد ارجلنا على قدر لحافنا كما يحكي المثل..

حين يحب العقل

اسمى انواع الحب ان يسبق عقل المرء عاطفته بالنسبة لم يحب..
ان نختار امرأة لجمالها أمر مألوف وعادي.

ان نختار امرأة لمالها أمر مألوف وعادي ايضا. ذلك اننا في اختيارنا للمال.. والجمال انما ننزع في اختيارنا الى دغدغة العاطفة والقلب وحدهما..

اما ان نختار امرأة عادية الجمال ولا اقول دميمة.. فقيرة الحال ولا اقول معدمة متواضعة الانتماء ولا اقول وضيعة الانتماء فأمر يخرج عن دائرة المألوف لما درج عليه الكثيرون والكثيرون ممن يرون الحب وليمة دسمة.. وخزينة ادسم..

واقعة واحدة خرجت عن دائرة المألوف المتعارف عليه ذكرتني بأن العقل حين يختار ينسى الجسد.. وينسى المال ليختار ما هو اثمن من الجسد والمال.. يختار الروح التي تفتدى. والمشاعر التي تذوب من اجله..

قصة ذلك الشاب الوسيم.. الثري الناجح الذى اصيبت كليتاه بعطب وبحث له ابواه عن كلية بأى ثمن لتزرع لوحيدهما.. وكادت تفشل كل تلك المساعي لولا تلك الشابة المتواضعة الجمال.. والمستوى.. التي آثرت ان تفتديه باحدى كليتيها ردا لجميل قديم اسدته الاسرة لوالدها ساعة حاجة..

قدمت نفسها امام مبضع الطبيب ليستأصل من جسدها جزءا غاليا دون ثمن.. فقد رفضت ان تنال على ماتفعل جزاءا ولا شكورا..

واستعاد الشاب الوسيم الثري الناجح حياته من جديد واستعاد مع حياته حبا جديدا طرق عقله في عنف.. اوصله في النهاية الى ذلك البيت الصغير القابع في احدى الزوايا لزقاق متواضع ضيق.. ليختار من افتدته دون ان تطمع فيه..

لقد اختارها بعقله الواعي لأن من يفتدى بما هو اغلى منه.. لابد وان يختار شريكا للحياة بعيدا عن سحر الجمال.. وعن رنين المال

الأجنبي.. والجدار

اعتاد احدنا في الماضي حين تفوته صلاة.. الجماعة.. يسأل هل صلى؟ اعتاد حين يسأل ان يجيب..
لقد صليت..

وحين يطلب اليه ايراد الشهود يكون رده..

ــ كان بجواري.. اجنبي.. والجدار...

وهذا يعني ان شهادة الشهود غير واردة.. فلا الاجنبي معروف ليسأل.. ولا الجدار ناطق ليستنطق.. وفي الحاضر تتكرر الحكاية ولكن على نحو آخر.. وعلى مستوى الاسى يضعون انفسهم في عداد قائمة من غيروا مجرى التاريخ..!!

حكاية الاجنبي والجدار عرفناها. اما الحكاية الثانية وهى الاخطر فتتمثل في ادعاءات ومواقف كل شهودها من الموتى..

والذين يحتفظون بشيء من الذاكرة يعون مواقف خطابية مشهودة تتكرر على اسماعهم.. منسوبة الى هذا.. وذاك ممن احتواهم القبر.. ودفن معهم السر..

ان الذين يتعمدون ان يكون شهودهم.. كل شهودهم من الموتى لايختلفون في نتيجتهم.. وفي هروبهم من الصدق عن اولئك الذين لايعرفون عن جيرتهم في المسجد الا(الاجنبي) و(الجدار) لأن هؤلاء.. واولئك يعوزهم الدليل.. وهم غير قادرين على ان يستنطقوا الاحياء خوفا من ان يقال لهم:

انتم كاذبون انتم تدعون ما ليس بصدق وحق.. انتم ادعياء...

ووجدت المعالج الببغاء

(الفيروس) جرثومة زرعت حبوبها على وجهي.. ذقت منها الامرين قرابة العامين..

كويتها لدى اكثر من معالج.. وكنت كل ماكويت اكتويت بتكاثرها وتناثرها على صفحة وجهي..

قال لي الاطباء: لايمكن استئصال المجموعة الا باستئصال كبير عائلة الفيروس.. ولكن اين هو كبير العائلة..؟ اين يوجد؟ لااحد استدل عليه وقررت في النهاية ان ابقى كل شيء على حاله.. ان ارضى من الغنيمة بالاياب مادام كي الواحدة من الحبوب يفرز اثنين او اكثر وعلى الطريقة التوأمية.. وعملت الصدفة وحدها عملها.. ذات يوم كان طير(الببغاء) يقف على كتفي.. وفجأة احسست انه يحصي بعينيه زخات الحبوب المتناثرة.. او انه يبحث عن اكبرها ليقتنصها.. وكان ان قضم بمنقاره المدبب اكبر حبة.. لقد خفت.. خشيت مضاعفات القضم.. وهدأت نفسي بعد ثائرة خوف.. وان هي الا يومين حتى جفت.. وتساقطت وانمحى اثرها.. وقلت في نفسي.. مافشل فيه حكماء من البشر نجح فيه حكيم من الطيور.. فليكن ذلك اشارة الضوء الاخضر لحقيقة العلاج..

وهكذا تصرفت.. لابمنقار الببغاء المدبب.. وانما بمنقار مقص صغير مدبب لقد فصلت عن كل حبة رأسها.. فمات الجسد.. وذبلت العروق وذوت.. ومرت ايام كان الطير يحتل مكانه على كتفي من جديد.. احسست انه يبحث عن شيء مفقود.. عن نتوءات صغيرة

كانت متناثرة على وجهي.. ولما لم يجد شيئا اطلق ما يشبه الصفير المتقطع المجهول..

أكان من ذلك حسرة على عدم وجود مايقضم من حبوب ناتئة كانت تغطي صفحة الوجه قرابة عامين مضيا..؟

ام انه صفير فرح لان ماكنت أكوي وأكتوي منه.. قد مضى.. وانقضى وكان له فضل السبق في اطلاق اشارة الضوء الاخضر للتقدم نحو العلاج الذي لا يحتاج الى حجز او روشتة.. او كي.. بنار.. وانما نقرة خاطفة ناجعة بمنقار..

الحظ .. والعقل

هناك مثل يقول:

(اللهم اعطني حظا يخدمني به أولو العقول.. ولاتعطني عقلا اخدم به أولو الحظوظ).

فهل هذا صحيح ؟!!

هل الحظ يسبق العقل في مجال اختيارنا لو اننا خيرنا؟!

لاظن .. لو اننا فكرنا بالعقل وحده مجردا من شهوانية المادة ومؤثراته فالحظ دون عقل كارثة بكل المعايير والمقاييس المتعارف عليها.. حتى ولو كان هذا الحظ يسبق الريح امتدادا وشمولا.. واحتواء..

ان الحظ المجرد وليد صدفة قد تذهب به صدفة اخرى يفيق صاحبه على هول الصدمة فما يرى من حوله مايمكن ان يعتد به.. او يتسلح به.. لأن الموجة التي ركبها فترة من زمن جرفته وارتطمت بالصخور الناتئة ليكون هو اول ضحاياها.. بل كل ضحاياها..

اما العقل وان أبطأ بصاحبه النقلة في مجتمع مادي.. فإنه على الرغم من تحركه البطيء يشكل صمام أمان.. ودرع وقاية لايلبث ان يقود صاحبه الى جزيرة وارفة الظلال يطعم من ثمار نضجها بعيدا عن متاهة الدرب.. وضباب الحيرة

لو خيرت لاخترت العقل والحظ معا..

ولو خيرت احدهما لاخترت العقل وحده.. ولو خدمت بالعقل كل اصحاب الحظوظ.. وسأكون الاسعد دونهم جميعا،،،

السماء لاتمطر ذهبا

السماء لاتمطر ذهبا.. وعلى الذين ينتظرون الدولة ان تستكشف المطالب وتدعو الى تحقيقها ان يفتحوا اعينهم على مطالبهم.. وان يتحركوا من اجل تحقيقها..

اقول هذا وانا اتطلع الى مدن ..كبرى.. ومدن صغرى.. بل وقرى صغيرة بعضها يسابق الزمن في مشاريعه.. وبعضها يتحرك في بطء.. وبعضها ينتظر ان تصل اليه امانيه وهو مستريح على فراش التواكل والعجز.. ويمكن الحكم على تقدم اي بلد من زاوية الذين في اعماقهم مستوى الحركة والبناء.. فالبلدية وحدها وحتى لو كانت نشيطة الطموح فان عزلتها عن مواطنيها.. وعدم تعاونهم معا لايمكن ابدا ان يستوعب الاماني.. ولا يحقق الغايات .. اكثر من هذا فان اي بلد تحكمه صراعات بنيه لابد وان يقع فريسة تلك الصراعات.. وبالتالي يتحول الى ضحية لاحول له.. ولا طول.. ولعل من ابشع صور ذلك التخلف على مستوى مدننا الصغيرة.. وقرانا ان البعض يرفض ان يتقدم مواطن منا في بلده بدافع حقد او حسد لذلك المواطن.. يرفضه.. ويقف حجر عثرة في طريقه.. لانه جاء من فلان.. ولم يأت من الدولة..

ان في مدننا الكبيرة.. والصغيرة.. وقرانا من تحرك بهم الواجب فقطعوا شوطا في مضمار البناء والتطور.. لان المسؤلين عن بلدياتهم كانوا على مستوى المسئولية.. ومستوى المشاركة مع مواطنيهم ولا زال في بعض مدننا الصغيرة وقرانا من ينتظرون ذهبا من السماء يهطل عليهم

دون حراك او جهد.. بل ان فيهم من يسد منافذ المطر حتى لا يتساقط لانهم يفكرون بعقلية القحط والخريف..

ان الآمال وحدها لاتكفي.. لا بد من اعمال تجسدها.. والا تحولت الى اماني سرابية يصعب ان تلامس ارض الواقع..

اعطني الحب

اعطني حبا ـــ بفتح الحاء ـــ اعطيك حبا ـــ بضمها.

تلك كانت حال لسان ذلك الطائر القابع في قفصه.. الرابض خلف قضبان سجنه الحديدي..

ولقد صدقا مع بعضهما.. اعطي له الحب ـــ بفتح الحاء ـــ ليأكل.. وكان الرد من ذلك الطائر الحاد المخلب والاظافر ان وارى مخلبه.. وقلص اظافره وارتمى في حجر صاحبه يبادله حبا بحب.. ومساعدة بمسالمة.. نموذج للتعايش بين طير جارح وانسان طفحت الرحمة بين جنبيه.. ترى اية نماذج للتعايش نتعامل معها نحن البشر.. فيما بيننا..؟ حتى ومع مواقف الوفاء والصفاء ان وجدت؟! وهي موجودة دون شك.. اننا ننسى كثيرا المواقف الخيرة التي تقف معنا في لحظة من لحظات الحاجة.. بل اننا في احيان كثيرة ننكرها.. ولا نريد ان نستذكرها حتى بكلمة شكر.. او همسة عرفان.. او لمسة وفاء.. ونحن القادرون على ان نشكر.. وان نعترف.. وان نفي..

ولكنها صلافة الجحود الكافر وصفاقته.. التي ما فتئت تشدنا بقيدها الغليظ وتباعد بيننا وبين انسانيتنا.. بل وتترك لنا المقعد الاخير المتخلف بعد الحيوان.. والطير بعيدا عن مسرح السباق الانساني.. والاخلاقي شكرا لذلك الجارح الذي لملم جراحه.. لأنه منح الحب عطاء للحب.

الانسان مشاركة

الانسان هو ذلك الذي ينفعل لمشاكل غيره بنفس الحماس.. بنفس الاثر والتاثر والمشاركة التي ينفعل بها لمشاكله الخاصة باعتباره واحدا من وحدة انسانية موصولة الاهداف.. متشابكة المشاعر..

الانسان الانسان هو ذلك الذي لايطيق ان يرى مظلوما يذرف دمعة.. ولا بائسا يجتر مرارة بؤسه.. ولا حتى دابة تلهبها السياط في وحشية وقسوة من جلادها ولا اقول صاحبها.. ولكن فينا نحن البشر من لم يطعم مرارة الظلم.. فجاءت حياته خلوا من الاحساس بآلام غيره.. خلوا من كل رحمة..

ولكن فينا نحن البشر ايضا من طعم تلك المرارة فلم تمنحه الاحساس بالالم.. ولا الرحمة.. وانما اندفع في حساب الثأر ينكأ جرحا بجرح يسيل دما بدم.. وكأن العقاب وحده بوابة التعامل الامثل الموصلة الى الرضى..

ولو ان الذين يحكمون بعذاب غيرهم ذاقوا ولو مرة واحدة ما يدفعون به من عذاب لكانت حساباتهم مع الآخرين اكثر عدلا.. واكثر تعقلا.. ولما تكررت قصة ذلك الاعرابي الذي حكم عليه بمائتي جلدة.. دفعة واحدة.. فما كان منه الا ان التفت الى صاحب الحكم وعلى فمه ابتسامة ساخرة مذعورة.. قائلا..

اما انك لاتعرف الحساب.. او انك لم تذق بعد طعم السياط.. والرحماء من البشر هم اولئك الذين يعرفون الحساب.. ويعرفون قبل.. وبعد.. كيف تكون الرحمة في ميزان التعامل بين الكبار.. وبين الصغار على حد سواء.

هل الحب اناني؟!

هل الحب اناني؟

انت تحب ابنك لأنه ابنك.. انت تحب قريبك او صديقك لأنه صديقك وقريبك.. لأن ما بينكما من دم.. ومن اواصر تشدكما الى بعضكما البعض.. انت تحب امك.. وتحب اباك لأنهما يرعيانك.. يمنحانك حنانهما وعطفهما ورعايتهما.. اذن انت تحب نفسك في حبك لابنك .. لأنه ابنك..

تحب نفسك في حبك لقريبك وصديقك.. لانهما قريبك وصديقك..

تحب نفسك في حبك لأبويك.. لأن التحنان كان من اجلك.. ولأن عطفهما كان لك.. ولأن رعايتهما كانت تحوطك..

ولو ان شيئا من هذا اختلف لتغير كل شيء.. حتى الزوجة، انك تحبها لأنك تحب حبك لها وحبها لك.. وحين يتلاشى ذلك الحب تنفرج ستارة البعاد والطلاق والنسيان..

ومع ان انانية الحب قد تكون صحيحة او قد تكون افتراضاً.. الا انها لون لايملك المرء ان ينفصل عنه.. ولا يتهيب منه.. ولا يحاسب عليه.. لانه لا يستطيع ان ينفصل عن ذاته.. وبالتالي لا يستطيع ان ينفصل عن علاقاته مع الآخرين.. والا لسادت المجتمعات فوضى العلاقات .. ولتحطمت على صخرة التنابذ.. والجحود.. والخلافات.. والصراعات..

حتى انانية الحب لو صح هذا الوصف انها بالضرورة شريحة

ومطلب من اجل ان يظل الانسان مرتبطا بغيره حتى ولو كان من اجل نفسه.. والحياة مصالح واذا انتزعت المصالح من دنيا الناس فماذا يبقى؟.. وماذا يعطى..؟ وماذا يؤخذ..؟ بل وماذا يوجد..؟!

العجز عند التطبيق

قال صاحبي..
ــ قرأت له.. كنت ألهث راكضا خلف سطوره الواعية.. الداعية الى الانعتاق بدل الانغلاق.. التطور بدل التخلف..
كنت اشبه بالطفل الذى يركض وراء فارس واسع الخطى سبقه الف خطوة وخطوة .. وكنت اهمس داخل اسوار نفسي متسائلا..
ترى اية حياة يحياها صاحبنا؟!
اى تعامل خلاق يربطه بأسرته..؟! لاشك انهم سعداء محظوظون بهذا الولد الرائد.. بهذا النموذج الحى الذى سبق عصره بعصر..
ولم يطل هذا التساؤل كثيرا.. فقد لعبت الصدفة لعبتها.. والتقيت به.. تعرفت عليه.. وكان لي معه اكثر من لقيا.. واكثر من زيارة..
وبدأ الانبهار يتبخر رويدا رويدا من رأسي.. احسست انني اعيش مع شخصيتين متضادتين مع شخصية مزدوجة ذات وجهين.. وجه للتصدير وللتفكير يلامس ابعاد السماء.. ووجه آخر للمارسة والمعاملة يتكفن بتراب الارض..

ادركت ان حاجزا ضخما يقف بين معتقده الفكري.. بين فكره النظري .. وبين واقع حياته مع اسرته التي يتعامل معها بأساليب القرون الوسطى.. وقلت في نفسي وانا لااكاد اصدق..
وماذا يجدي الفهم لصاحبه ان كان عاجزا عن ترجمته الى واقع على الاقل بالنسبة لحياته؟!
قلت له:

لندع كل هذا.. فمفارقات حياتنا كثيرة.. ولنأخذ منها الاحسن سواء اكان فكرا.. ام ممارسة اما ماعداه فوزر يتحمله اصحابه وحدهم دون سواهم..

حين نكره مانحب من أجل ما نكره

من اجل عقد الليالي كره عقد اللآلي..
ومن اجل الاثرياء ضعاف النفوس هانت الفلوس..
والربط بين شيئين يؤثر فيهما الواحد على الآخر.. قفز الى ذهني.. عبر معادلة غير عادلة.. الا انها لاتخلو من صحة في بعض جوانبها.. اذا ما سلمنا ان الشيء يؤثر في بعضه..بل ان قليله يؤثر في كثيره.. ويحكمه من حيث القبول أو الرفض.

فالذين عانوا من عقد الظلام.. عقد الليالي المعتمة.. تجسمت في نفوسهم عقدة الرفض حتى للاشياء التي تذكرهم بما يكرهون.. وان لم تكن هي نفسها لعبت دورا ظالما في حياتهم.. والمرء حين يكره او يخشى بيتا في شارع ممتد فان كرهه يتسع ليشمل الشارع كله حتى لايكاد يطيق ان يعبره.. ان يذكره.. او يتصوره.

ومثله النظرة الى جوانب اخرى كثيرة.. الاغنياء(الاغبياء) مثلا.. ان نظرة الى واقعهم تجعلك تزهد في المال.. وتسترخصه دون ذنب فيه.. فهو حصيلة جاءت دون محصلة فهم او وعي لقيمته.. وبالتالي تحول الى ذنب.. والى عيب في رصيد صاحبه لأنه كفنه برداء الغباء فمازاد من سعته.. ولا اسعد من حاله.. ولا مد جسرا من الخير لغيره.. وانما اشقى.. وابقى..

قد نرفض اشياء لا لذاتها.. وانما لصفاتها.. او لقرائنها .. او لذكرياتها.. او لواقع الذين عاشوها في بلاهة وبلادة.

وتلك بعض طباع البشر.. بعض طباعهم التي يجوز عليها الحكم بالخطأ.. او الصواب.. لأنها تحتم في واقعها الخطأ والصواب معا..

الرجل المناسب في المكان المناسب

الرجل المناسب.. في المكان المناسب..
معادلة موضوعية متعارف عليها علميا.. ومطلوب منا ان نتعارف عليها عمليا.. ان الكثير من الطاقات والكفاءات العلمية تهدد اذا ماأتخذت منحى مغايرا لتخصصاتها.. وعملت في حقل لايمت بصلة الى ماتختزنه من قدرات علمية امضت في تحصيلها الكثير والكثير من الأعوام..

الطبيب مثلا يجب ان يكون عمله في نطاق الصحة والصحة وحدها..

المهندس الزراعي يجب ان يجد ارضية لعطائه في وزارة الزراعة فقط.

رجل التربية يجب ان يكون ملكا للجامعة.. وللمدرسة.. ولوزارة التربية والتعليم دون غيرها..

الجيولوجي يجب ان يعمل فى سبر خيرات الأرض وثرواتها المعدنيه.

الاقتصادى يجب ان يأخذ دوره في الاقتصاد او التجارة.. لأن عطاءه وحده لايكون الا حيث تخصص.. حيث درس..

رجل التخطيط .. رجل الادارة.. رجل الهندسة المعمارية.. مثلهم مثل ضابط الأمن.. ومهندسي الورش لايمكن ان يكون لعملهم حصاد الا اذا احتلوا الموقع الذي يتناسب وحصيلتهم العلمية والعملية.. والا فما معنى ان ندرس.. وان نتخصص.. اذا لم يأخذ كل دارس ميدانه.. وارضيته،معطياته وانتاجه وحدهما..

الرجل المناسب في المكان المناسب معادلة موضوعية متعارف عليها علميا.. وعلينا ان نتعارف عليها عمليا لكي نعطي القوس باريها.. فيصطاد السهم في حلبة القنص.. وفي حساب النتائج المربحة.. المريحة.

مسافة العمر

من بطن الام الى بطن الارض تمتد قنطرة قد تطول وقد تقصر.. هي مسافة العمر.. ومساحة الحياة وما بين الحضن الاول.. والحضن الثاني يتحرك الجنين تارة عاقلا.. وتارة مجنوناً.. وهو مع عقله.. وهو بجنونه يتداعى ثم يأفل ويغيب تاركا لغيره المساحة.. والمسافة. و«كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر» على حد قول الشاعر..

وقصة الدخول الى الحياة.. والافول منها قصة متجددة مع كل ثانية.. كالزرع الذي ينبت ثم يحصد.. ليخلفه نبات جديد وحصاد جديد..

وبين ميلاد الانسان.. وموته.. عبر قنطرة حياته تتدافع آماله طموحه تارة.. وجريحة تارة.. وطريحة اخرى..

مع الاولى ترتسم ابتسامته.. ويتسامى حبه..

مع الثانية تتدافع دموعه.. ويتعرى قلبه..

ومع الثالثة تشده لحظة الانتظار الطويل القاتل.. فلا هو مع امله.. ولا هو مع المه.. وانما طعمة قلق.. وضحية انتظار مجهول النتيجة.. وغامضة النهاية..

وبين ميلاده وموته.. حيث البسمة.. والدمعة.. ولحظة الانتظار القاتل تطل شريحة العمر ذات الالوان الثلاثة.. الابيض بصبحه.. والاحمر بجرحه.. والاسود بغموضه.. تطل هذه الشريحة ردحاً من زمن قد يطول وقد يقصر .. ثم تختفي كما يختفي شهاب هوى عبر الافق الواسع ليعقبه في ميلاد جديد شهاب آخر لا يلبث ان يلحق بسابقه في سباق ازلي طويل لا نهاية له.. والى ماشاء الله.

اطفال اليوم.. واطفال الأمس

قالت جدتي:ـــ

بون شاسع بين اطفال جيلنا.. واطفال جيلكم .. اطفالنا يتسمون بالصلابة.. واطفالكم بالرخاوة.. اطفالنا يتصفون بوقار الصغار بينما يتصف اطفالكم بشقاوة الكبار..

كان الصغير فينا يحسب الف حساب لحديثه مع ابويه.. او مع من يكبره.. كان لايثرثر.. وحين يتحدث ففي أدب وهدوء.. أما اطفالكم فان اطول ما فيهم السنتهم.. ولجاجتهم.. والحاحهم حتى بحت حلوقهم.. يطلبون فما يشبعون.. ويعطون فما يقنعون.. لكأن كل طلباتهم مستجابة حتى ما قد يصل منها الى درجة الاعجاز.. ونقطة العجز..

اطفالنا يشاركون في حمل العبء وهم صغار.. اما اطفالكم فانهم يزيدون في عبء الحمل وثقله وهم كبار..

اطفالنا يدينون بالبر وبالصلة يستظلون بفيئهما يورثونهما وقد كبروا لمن يأتي.. أما اطفالكم فان عمر علاقتهم بأبويهم برا وصلة لايلبث ان يخور ويخر بعد ان يشبوا عن الطوق..

قالت جدتي:

ليس كل اطفالنا ملائكة.. ولا كل اطفالكم شياطين.. ليس كل اطفالنا اتقياء.. ولا كل اطفالكم اشقياء.. ففي بعض اطفالنا بعض ما في اطفالكم .. الا ان الحكم للكثرة.. والكثرة في اطفالنا تفوق الكثرة في اطفالكم تحملا.. وتعقلا.. واستعدادا لمواجهة الحياة بكل

متطلباتها.. قد يسبق اطفال جيلكم اطفال جيلنا اقتداراً في الحصول على ما يتمنون ويرغبون. الا ان اطفال جيلنا يسبقونهم دون شك اقتداراً في تحقيق مايوكل اليهم بوعي النضج المبكر الصابر الصامد.

الوجه القاتم للتقليد

كانت مفاجأة ان ذلك الطائر الناطق الجميل الذي افرغت في حصيلته كل عبارات الرقة ليتحدث بها.. لم يعد يصدر لي مما أفرغت الا الاسوأ.. فلا الموسيقى التي يسمعها على مقربة منه ألهمته التغريد او(الصوفره) ولا الكلمات الهامسة الحلوة التي ارددها على مسامعه كل صباح.. وعند كل مساء ايقظت في حواسه روح الاستيعاب.. ومن ثم روح المناجاة.. والمناداة..

أبداً فلا شيء من كل هذا.. وانما كانت المفاجأة.. لقد صدر لي من كل هذا..

لقد صدر لي من كل ما استوعب لونين باهتين هما اسوأ ماسمع مني وعني..

صدر لي السعلة الطويلة الحادة كما لوكانت تخرج من جوفي..

وصدر لي ايضا قهقهة بلهاء لاطعم لها تماثل قهقهتي التي اطلقها بمناسبة.. وبدون مناسبة..

وادركت من يومها اننا ايضا نحن البشر ننقل عدوانا الى غيرنا من المخلوقات الأخرى لتؤثر فيها.. حتى فيما تجود به وهو سيء وما تبخل به وهو حسن.. ادركت ان «بوبو» تشبع بمناخ القهقهة المسعورة الحادة.. وبمناخ الضحكة الباكية الباردة.. ولم يجد المتسع لان يقلد الموسيقى الحالمة.. ولا العبارات الهامسة.. ذلك ان كل ماحوله يقهقه ويسعل.. ويرفس بأقدامه الأرض .. دون شيء.. دون اي شيء.

تفاوت الطباع

قال محدثي..

ــ ما تجاوز السماع المقبول فهو نشاز غير معقول ترفضه الاذن.. ويمجه الذوق.

قال

ــ عندي طفلة لسانها طويل .. ولا تقبل في سماعها الا ماهو صلف ومؤذي.. وصاخب! وعلى النقيض منها شقيقتها التوأم فهى هادئة الطباع.. مرهفة السماع ترى في الضوضاء ضربا من الفوضى التي لا يمكن القبول بها.

موقفان متضاربان لتوأمين.. في حديثهما مع بعض.. وفي سماعهما لجهاز الراديو.. وفي مشاهدتهما لبرنامج تلفزيوني.. بل وفي تعاملهما مع ابويهما.. ومع اطفال الجيران.

لا احد يدري ــ والحديث لصاحبي ــ لم كل هذا الخلاف.. ولم كل هذا الاختلاف بين شقيقتين ولدتا من بطن واحد في يوم واحد.. بل في ساعة واحدة الا ان يكون التجسيد للحياة بشقيها الصاخب.. والهادىء.. المتزن والمندفع .. الوديع المتمرد.

قال:

ــ لم اجد لذلك من معنى الا ان الطبع الذي يولد مع الانسان مندفعا مع دمه عبر شرايين.. لا ذلك التطبع الذي يعلق به بعد ان يولد ويمكن نفضه كما ينفض الغبار العالق بالثوب.

قال مختتما حديثه:

ـ الناس يتفاوتون.. ويتمايزون.. وحتى لو كانوا من نطفة واحدة.. وتحت سقف واحد .. تلك هى المحصلة والنتيجة التي ادركتها.. وربما ادركها غيري.. وتلك سنة الحياة..

حكمة الطعام

«نحن قوم لانأكل حتى نجوع.. وإذا اكلنا لا نشبع»

تحت مظلة هذه الحكمة يمتد شريط رفيع يفصل بين التخمة والجوع.. التخمة.. موت قوامه الاكتناز الى درجة الاختناق.. والجوع موت قوامه الفاقة الى درجة الاملاق..

ولو ان الذين ينالون من طعامهم اكثر مما يحتاجون تخلوا عن شيء من الزيادة القاتلة الى اولئك الذين لا يطعمون شيئا لانهم لا يملكون شيئا.. لتوزع نبض الحياة المشبوب في اعماق هؤلاء واولئك ولتوزع نبض الحب في آفاق هؤلاء واولئك.. ولكن في عالم غريب النزعات فان فوضى العلاقات البشرية اغرقت في اعماق النهر من تكفيه جرعة ماء منه.. بينما اطبقت على الثاني في حمى عطشه ليموت دون ان يشتم رائحة الماء.

وكم هم ملايين الجياع الذين يموتون عبر رقعتنا الارضية كل عام بل كل شهر.. بل كل يوم.. ان لم يكن كل ساعة.. ومثلهم ولكن على مستوى اقل ضحايا التخمة..

وحتى لا تشطح بنا الفكرة بعيدا عن الفكرة وحتى لا نتيه بين سراديب التخمة والجوع فان علينا ان نتذكر ان الامعاء وعاء الداء.. ومصدر افرازه.. اذا ما نضح اناؤها اختناقا.. واذا ماجاء وعاؤها املاقا وتبقى لها السلامة مابقى لها الاعتدال.

تقاعد المفكر

ليس بدعا ان يحال احدنا الى التقاعد وقد تخطى السبعين عاما من عمـر قضاه.. او قضى الجزء الاكبر منه في عمل وظيفي استنفد منه الكثير من الجهد.. والكبير من الطاقات..

وليس صحيحا ان الاحالة الى التقاعد معناه الاحساس بالنهاية.. والعزلة.. في مدلولها تكريم يمنح الفسحة من الراحة والوقت لانسان اجهده العمل واصبح في حاجة ماسة الى الراحة.. والهدوء..

يجرني الحديث عن التقاعد للموظفين.. الى التقاعد للمفكرين.. وهو مطلب ضرورى لكل مفكر يحترم نفسه.. ويحترم قراءه..

وكما ان السبعين عاما تعد نهاية المطاف بالنسبة للوظيفة.. فانها ايضا قد تكون وبشكل كامل نهاية المطاف بالنسبة لافكار المفكر.. ونضجه..

ان العد التنازلي يبدأ بالسبعين ليصل الى الصفر.. الاما ندر..

بعبارة اوضح ان الافكار تشيخ مع صاحبها في مرحلة متقدمة من عمره.. لتمثل ارذل أفكاره.. لانها خليط من تشنجات الماضي.. وهلوسة الحاضر.. وتخاريف المستقبل..

والحاضر اثبت لنا ان مفكرين انهوا حياتهم الفكرية وقد شاخوا بوصمة من الهذيان.. وحمى الاستفراغات.. وكأنهم لم يعلموا من بعد علم شيئا..

ان احالة التقاعد للمفكر ضرورة يجب ان يتخذها المفكر لنفسه حين يحس ان خطواته تهوي الى اسفل غير قادرة على الاحتفاظ بمواقعها الثابتة.. لان فرائصها المرتعدة باتت عاجزة عن السير عبر جادة الفكر الخلاق.

حين تتسع دائرة التدخل

لاشيء يكبر المشاكل ويضخمها الا التدخل فيها..

المشكلة بين اثنين اسهل حلا من المشكلة بين ثلاثة.. يمكن حل الاولى بسهولة.. ولكن اذا اتسعت رقعة المشاركة فيها فان اخماد جذوة نارها يكون اصعب..

ان الانتصار لاحد الخصمين يجر الى مخاطرة كبيرة تضاعف في تعقيدها..وتضيف الى نارها المزيد من الهشيم.. والمزيد من الاشتعال..

ونظرة منا الى مشاكل اليوم وتعقيداتها نجد ان معظم المشاكل ولدت صغيرة صغيرة.. الا ان تدخلات اطراف أخرى معارضة أو مؤيدة اعطت لها الاتساع.. ومدت لنارها البعد.. وسكبت المزيد من مواد الاحتراق والانفجار فيها..

من هنا فان وقفتنا أمام اية مشكلة بين اثنين مطلب موضوعي.. هذا اذا لم يكن لنا الدور الموضوعي المحايد الذي ندفع به في حلبة النزاع من أجل حله.. وتطويق آثاره..

«قل خيرا.. أو اصمت».. حكمة في ظلها يجب ان يتجسد فهمنا لعلاقتنا مع الآخرين.. في حل مشاكلنا.. وفي حل مشاكل غيرنا.. ايضا.. معنا .. أو معهم..

ومع كلمة الخير ابدا لاتكون فتنة..

كاد الاسلام ان يورث الجار

كاد الاسلام ان يورث الجار..

ونحن لانطلب من جيراننا ارثا.. لانطلب منهم مشاركة في المال.. وانما نطلب منهم رفعا لعبء الاذية.. والاذلال..

ان حرية الشخص تنتهي عند بداية حرية الآخرين.. ولكن الكثيرين منا يرون ان حرياتهم تتجاوز حدودهم.. وتتعداها الى الجار والى ما هو ابعد من الجار..

وحرياتهم لا تمثلها تصرفاتهم المعقولة او المقبولة.. الى الحد الذي لا يؤذي.. وانما تجتازها وراء هستريا من الضجيج.. والصخب .. والايذاء المتعمد.. او اللا مبالي..

وكثيرون اولئك الذين لا يرعون لجيرانهم حرمة.. يطلعون للاصوات النافرة وللقهقهة المجنونة كل ما يمكن ان تطالبه من مضايقة.. وعنت.. بل واحيانا الردح الذي يشبه الزلزال في هزه لجنبات الدار.. دون اي اعتبار لراحة الآخرين حتى ولو كان ذلك في الهزيع الاخير من الليل..

بعض مظاهرها ما برح بعضنا يمارسها بعيدا عن المسؤولية.. وعن ادراك حق الجار في ان يخلد نهاره او ليله على الاقل الى هدوء هو في حاجة اليه.. بل في ضرورة له.. ناهيك بالمرضى.. وبالاطفال الذين لاتقوى اعصابهم على الصخب.

رحمة ايها الجيران بالجار.. انه لايطلب ارثا.. يكفيه الهدوء حتى يخلد الى فراشه..

الشيخوخة التي تخاف

البشر يرهبون الشيخوخة.. ويخافونها..

وقليلا ان لم يكن نادراً ما يبوح كهل بعمره في امانة وصدق .. ولكي ندفع بخرافة المغالطة فاننا نتعمد محو بصمات الشيخوخة العالقة على رؤوسنا على الاقل حين تنشر رداءها الابيض على شعرنا.. وتحول ليله إلى نهار..

ان خوفنا من الموت يدفع بنا الى الخوف من مقدماته.. وحين نخاف الشيخوخة كنهاية لمطاف العمر فاننا نتعمد الهرب كما لو كانت المصيدة تلامس اطراف اصابعنا..

والشجاع منا هو ذلك الذي لا يتصنع عمره بمساحيق تغطي تجاعيده.. او تحجب شيبه.. ذلك ان الشجاعة في مثل هذه المرحلة تمثل نقلة للنضج.. وللوقار.. والهيبة..

ان بياض الشعر على راس كهل تاج وقور يشعرنا بايمان صاحبه.. وثقته في ان الاعمار لايقصرها تجاعيد او بياض.. ولا يطيلها سواد مصطنع .. او مسحوق مصنوع..

الاعمار جميعها بيد الله.. والاعمار مرحلة نتخطاها ونتجاوزها.. منها ما يطول ومنها ما يقصر.. ومنها ماهو بين بين..

واشعر ان شعيرات الشيب وقد اشتعلت، صبح يضيء هامة صاحبها.. وكما ان الثلوج البيضاء تزين هامة الجبل الأخضر الشامخ فان شعيرات المشيب البيضاء تضفي وقارا جميلا على هامة صاحبها..

وكما يقول المثل..

(بيض الله وجهك) لاسود الله وجهك..

فليكن بياض هامتنا ايضا مدعاة لليقين.. والشجاعة..

دون دموع امام مرضاكم

نضاعف احيانا في آلام مرضانا.. بل وفي هواجسهم ونحن نقوم بزيارتهم.. دون ان ندري.

ان اكبر غصة في حلق مريض هو ان تذرف امامه دمعة حتى ولوكانت دمعة حب لاخوف.. دمعة أمل لا يأس..

ذلك ان بكاء على مشهد منه يضاعف في نفسه التأثر.. ويثير في اعماقه انفعالات تتراكم فوق كومة معاناته المرضيه.. فتركبه.. وتتركه فريسة الهواجس.. والوساوس.. والخوف..

ان مريضا يرقد فوق فراش مرضه يحتاج اول مايحتاج الى ابتسامة واثقة هادئة تمتد الى دخيلته.. ملامسة في حنو جراحه.. مصافحة في ثقة آماله نحو الغد.. ان البسمة بالنسبة اليه رافد جديد.. بل اضافة مهمة في قائمة العقاقير والأدوية التي يتناولها..

انها بالنسبة اليه جرعة لابد منها.. لابد من ان نقدمها الى كل مريض نقوم بزيارته لأنها اجمل هدايا الأماني الى قلبه..

ابتسموا لمرضاكم حتى وهم في اشد حالات المرض.. حتى وانتم في اشد حالات الكرب.. واياكم والدموع انها على مشهد منه بمثابة تذكير برحيل او وداع.. بل انها رغم قلتها تمثل في ناظريه طوفانا من القلق.. والعذاب تتساوى مع مايحس به من شكوى.. وآلام..

امنحوهم البسمة.. اما الدمعة فاحتفظوا بها في اعمقاكم حتى ولو كانت دمعة حب .. او شكر.

ثرثرة الطرب

نحن نثرثر في كل شيء.. حتى في اغانينا..
نحن نجتر كلماتنا بالمئات والآلاف.. حتى في اغانينا..
دون حصر فان ربع مليون اغنية عربية تتقاذفها محطات البث الاذاعي والتلفزة.. وتتوازعها اشرطة الكاسيت.. كلها تتحدث عن الآهات والحرمان.. عن الهجر والوصال.. عن الجحود والخصام.. عن الشكوى.. والبلوى.. عن اللقاء.. والبعاد.. عن الدموع وعن الجراح..
ربع مليون اغنية تضرب على وتر واحد متشابه النغمة والمضمون.. متماثل الكلمات والحكاية.. قتل كلمات.. واغنيات وترديد ثرثرة طويلة.. وتكرار ممل قاتل يكفي منه النذر اليسير.. يكفي من سيله المتدفق الجارف بضع زخات تغني وتروي..
ولكن..
في عالم تحكمه حمى الثرثرة والاسهال والاستفراغ في كل شيء.. فان كلمات اغانينا سوف تتراكم مع تراكم الجليد الذي يحجب كل تجديد.. سوف تتراكم مشدودة الى كمها دون كيفها.. دون ان تنزع الى الصور الجمالية ذات المضمون الانساني.. والمحتوى الانساني ايضا بما فيه مواقف الحب الخالد بوفائه وفدائيته.. بعطائه وتسامحه.. بجلاله وجماله..
ان الف اغنية نرسمها في لوحات غنائية خصبة الألوان والخطوط افضل من مليون أغنيه تصرخ وتصرخ في واد مليء بتناقض الكلمة.. وهزال الصورة.. وحشرجة الصوت..
وعزاؤنا ان فيروز مدت لنا جدولا فينا غنيا ننهل منه بعيدا عن الصخب.. بعيدا عن الثرثرة والتكرار.

«الاحداث» والاحداث..

«الاحداث» .. والاحداث.

مواقع خطى احداثنا تتكاثر.. وتتعاظم على سلم درجات الانحراف .. والجريمة.. يوماً بعد يوم.. دون ان نعيرها ما تستحق من دراسات.. وضوابط تصنع لها الحلول.. او تخفف على الأقل من انحرافها.. وانجرافها نحو الهاوية..

○ حوادث السرقة.

○ الاتجار بالمخدرات..

○ المشاركة في عصابات القتل..

○ الجنوح الأخلاقي..

وحين نحاول ان نضع اصابعنا على مواطن الخطأ.. نجد ان الثغرات التي يتسلل من خلالها عامل الانحراف كثيرة لعل اخطرها وأهمها:

○ التسيب.. والتشرد.

○ عدم أحكام الرقابة في التوجيه.. والرعاية.

○ المشاكل الزوجية المتفاقمة التي تجعل من البيت لدى الأبناء جحيماً لايطاق..

○ الوسائل الاعلامية المسموعة.. والمقروءة.. والمنظورة التي لا تتحرى الدقة والحذر فيما تقدمه من برامج ومسلسلات.. بل إنها احياناً تساعد على زرع بذور الجريمة لدى الطفل بما تقدمه من مشاهد عنف تذكي لدى المشاهد الرغبة في المحاكاة.. والتقليد.. ولعل قصة ذلك الطفل الذي لم يتجاوز من عمره العاشرة.. والذي نشرت عنه الصحافة المصرية اخيراً اكبر مصداق على ذلك..

لقد حاول ذلك الطفل وبعد ان خلت به الدار مع شقيقته البالغة من العمر اربع سسنوات حاول أن يقلد مشهداً رآه لأكثر من مرة على الشاشة الصغيرة. مشهد انسان ينتحر بحبل معلق.. وكان له ما اراد.. وكتم الحبل انفاسه في لحظات..

إن زخم الاحداث المؤسفة في دنيا «الاحداث» لن يتوقف مادمنا نتفرج دون اكتراث دون ردم الهوة السحيقة في فوضانا الاجتماعية.. والسلوكية. والتربوية..

ولابد من تحرك سريع قبل ان تتحرك عجلة القطار المجنون.. ولا يتوقف.

الأمية.. الاخطر

وكما ان مكافحة المرض واجب جسماني .. فان مكافحة الامية واجب انساني ذلك ان الجهل مرض عقلاني يسلم الى ضمور الفكر.. وتشوهات الصورة.. وتداخل الخطى.. وتراكم الخطأ..

والجهل ببشاعته.. وان لم يكن عاهة منظورة.. فانه عاهة وآفة مستورة تنهش باظافرها السوداء كل طاقات العقل.. وتطبق عليه..

من هنا فان مسئولية البناء للانسان«العقل» تتجاوز حدود المسئوليات الاخرى اهمية واستعجالات.. ذلك ان المناخ الصالح تحت رواق الفهم والعلم والدراية هو وحده المناخ الذي يستوعب كل عوامل الدفع الاخرى.. ويدفع بالانشطة المختلفة الى البروز والتعامل مع ما حولها..

وحيث لايوجد جهل او جاهل لا يوجد تخلف..

وحيث لايوجد امي لايمكن لعنكبوت الخطر ان يعشش او ان يفرخ.. ان أميا واحدا نفتح عينه على آفاق المعركة.. ان ذلك بمثابة ضم جندي مدرب الى ميدان المعركة من اجل البناء.. والانتاج .. والعطاء.

والثالوث البشع.. الجهل.. والفقر.. والمرض.. حلقات مترابطة مشدودة الى بعضها..لا يمكن كسرها الا بالقضاء على اولها.. ذلك انه هو المدخل وهو المخرج ايضا من كل آفاق التخلف والمعاناة..

وحين نقضي على الجهل.. فإننا بالتالي نسارع الى الاجهاز في وقت واحد على الفقر.. وعلى المرض.. لاننا بنشر العلم نزيح كل ظلال الفقر.. وكل ظلال المرض.. لاننا ندفع بالانسان الى رواق اليقين والايمان والممارسة الواعية.

الذين يتصنعون العاهة

تعطيل القدرات والقوى دلالة مميتة على موت الاحساس بالحركة والسعي..

وظاهرة الذين يتظاهرون بالعاهات وشلل القوى مازالت تجثم على بعض ارصفة الشوارع مادة يديها تستجدي.. وتجمع المال من ايسر الطرق وأهونه واشده مهانة.. وذلة..

ورحمة المنكوبين في قدراتهم أمر تفرضه كل الشرائع السماوية.. وتلح على علاجه بالايواء والاحتواء.. الا اننا وبحسن نية.. وبدافع من الاشفاق المغرق في التغفيل لا نميز احيانا بين من يستحق.. ومن لايستحق.. بين من يعاني العاهة.. ومن يختلق العاهة ويمثلها في دور دراميكي لاستجداء العطف.. ولاستدرار العطاء..

وكثيرا ما ينكشف الغطاء فيبدو أن اغلب من نعينهم لايستحقون العون.. وكثيرا ما تنزاح الحجب فتظهر لنا تلك الضمادات واللفائف المغطاة بها سيقانهم أو رؤوسهم لاتعدو ان تكون ضمادات ولفائف كاذبة لاكسور ولاعاهات خلفها..

وتحضرني قصة ذلك الصديق الذي شاهد مواطنا يمد يده في جيبه ليمنح ذلك القاعد على قارعة الطريق بعض نقود بحجة انه مشلول.. فما كان منه الا ان ردع ذلك المواطن.. ومنعه بحكم معرفته لهذه العينة من المتسولين..

اكثر من هذا وحتى يزيد في قناعة صاحبه صفع ذلك القاعد.. وكانت المفاجأة حين اطلق المتسول ساقيه للريح يحركهما في سرعة

مجنونة مذهلة خشية من صفعات اضافية تلحق به.. وبساقيه السليمتين..

ان فينا من يستحق لأن قواه معطلة.. ولكن ايضا فينا من لايستحق الا الصفعات لأنه هو دون عاهة عطلت قواه.. وآثر عليها ان يستجدي .. وان يستمطر دموع المشفقين الذين تخدعهم ضمادات .. او لفائف كاذبة .. ومزيفة..

قبر النسيان

لو ان الذين يجهدون انفسهم دفنوا همومهم واجهادهم في قبر يومي اسمه« النسيان » لاستراحوا.. ولكان لهم مع كل يوم خطوة جديدة تباعد بينهم وبين هوة الانفعال الحسي.. والجسمي المدمر..

ان ارهاق الذهن يسبق ارهاق الجسم بمسافات.. ومساحات.. والثقل النفسي الذي نحسه أكبر خطرا من الثقل الجسمي الذي نلمسه.. ذلك ان صرعة الذهن من جراء التراكمات تفضي الى ماهو أبعد من الاعياء.. وربما الى ماهو ابعد خطرا من الموت نفسه..

ان صرعة الذهن انتحار بطيء يتحرك على ارضية مجنونة لاقرار لها.. ولا استقرار معها..

والذين يقبرون مشاكلهم.. ويلقون بها في هوة النسيان.. ويستقبلون يومهم الجديد بأمل جديد.. وبطاقة متجددة نشيطة لم تعلق بها هموم الأمس .. ومشاكله.. انهم الاكثر قدرة على مواكبة الحياة.. وعلى استيعابها.. بل وعلى اخضاعها لمنطق الفأل.. والبسمة..

انهم الأكبر ثروة.. والأوفر حظا.. حتى ولو كان رصيدهم من المال النذر القليل القليل..

ان راحة البال اغنى.. واثمن من المال.. ولكن هل في استطاعة كل منا ان يتجنب مافي امسه ليستقبل يومه بفكر بكر..

بالقطع.. لا.. ولكن تبقى المحاولة منا بحثا عن مقبرة النسيان امرا مطلوبا حتى لايصرعنا اجهاد النفس.. وتراكمات همومها..

وعلى حين غرة منا.. وغفلة.. أو لامبالاة..

ليسوا معياراً

قال القادم من بلده..

ــ كيف حالة الطقس لديكم؟

وكان رد القادم..

ــ الطقس جميل..

وما ان انفض اللقاء حتى التفت اليه زميله الذي كان برفقته ضاحكا..

وقال.

ــ كيف تسأله هذا السؤال؟

وتساءل..

ــ اي غرابة في ان اسأله عن الطقس

ورد عليه زميله..

ـ الغرابة في ان تسأل شخصا يوزع وقته بين سكن مكيف.. ومكتب مكيف.. وسيارة مكيفة عن الطقس.. ان مثل هذا لا يحس ان هناك حرا.. ولا غبارا.. ولا سموما.

اذا ماأردت ان تعرف الطقس فابحث عن عامل قادم.. او عن انسان يقضي جل ساعات نهاره ساعيا على الرصيف.. او قابعا تحت مظلة لا تغطي اكثر من رأسه.

ان قساوة الطقس لا تخترق زجاج السيارة المكيفة. ولا نوافذ المكتب او المنزل المكيف.. ومن هنا فان قاطنها لايحس بدقة عما حوله لأنه لايعانيه.. اما أولئك اللاهثون الراكضون تحت أشعة الشمس المحرقة فانهم وحدهم الذين يتعاملون مع الطبيعة حرا او قرا..

انهم المعيار الذي يجب ان تبحث عنه.. لأنهم الترمومتر الذي يحدد بدقة قيظ بلادك وشتاءها.

العمر الثالث

العمر الثالث للانسان ماذا يعني! وقد احيل الى التقاعد..؟!

بماذا يفكر انسان الخمسة والستين عاما وقد اعفى من مهام وظيفته وعمله؟.

ان النظرة الخاطئة التي تقول ان الاحالة على المعاش معناها الاحالة الى الموت مازالت تجد من يصدقها.. بل وتجد من يكتوي بنارها في غمرة الوهم الكاذب القاتل..

العمر الثالث معناه الاعفاء من القيد الرسمي.. معناه الحركة للشيخ وللكهل دون قيود عمل اعطى فيه الكثير.. وكان عليه أن يستريح دون ان يتوقف.. ودون ان يستسلم لأوهام الخرافة الكاذبة بأنه بات على هامش الحياة..

في العالم المتحضر جامعات لمن يقفون خارج دائرة الوظيفة بعد ان فرغوا منها.. في العالم المتحضر نوادي.. ومعاهد لاشباع ميولهم وهواياتهم.. ولكي لايحس من تخطى مرحلة العمر الثاني انه تحول الى نسى منسي في نظرة مجتمعه.. بل وفي نظرة نفسه ذاتها..

وما علينا الا ان نأخذ وفق ما تمليه ظروفنا ومجتمعاتنا من تجارب ناجحة نحو اشباع ميول من تخطوا مرحلة السن القانوني للوظيفة وللعمل.. بدلا من ان ندعهم فريسة الاحساس بالعزلة.. وبالوحدة.. والملل القاتل.. أو قتل الفراغ في مقهى.. أو على زاوية طريق..

بل ان من تخطى به العمر مرحلة العمل أمامه مسئولية ذاتية في أن يطلق لهوايته وميوله حرية الحركة باعتبار ذلك الامتداد الأمثل والافضل لعمر اعطى.. وما برح قادرا على العطاء تحت مظلة الحركة الذاتية المستقلة.. والعمر حتى آخر نفس لامكان لليأس فيه للاحياء..

كلاهما متعب

كلاهما متعب...

الذين ينجبون.. والذين لا ينجبون..

الذين ينجبون اطفالا متعبون من مسؤولية اولادهم.. ومن تراكمات مشاكل اولادهم صغارا وبعد ان يشبوا عن الطوق..

والذين لاينجبون اطفالا متعبون من العقم.. من الوحدة.. من الفراغ الذي يخيم على بيوتهم فيحرمهم صراخ الصغار.. وضجيج الكبار.. فلا الواجد ارتاح الى ما يجد..

ولا المعدم اقتنع بشكوى الآخرين.. وارتاح الى وحدته..

كالمال.. وكالفقر..

الذين يملكون اشقتهم خزائنهم.. وتطلعاتهم الى ماهو اكثر دون هدف .. فراحوا في معاناة مرة مع حساباتهم.. وتقديراتهم.. واوهامهم.. واحلامهم دون ان يكون لهم قسط من الراحة.. ونصيب من السعادة فيما تكتنز به خزائنهم.. وارصدتهم..

والذين لايملكون يتحسرون.. ويغبطون .. بل ويحسدون اولئك الاشقياء بثرواتهم

كلاهما متعب.. ومجهد.. الذي يملك الاولاد.. والذي لايملك ..

والذي يملك الثروة.. والذي لايملك الا الفاقة.. وليس كل هؤلاء ولا كل اولئك سعداء.. وليت شعري هذه الدنيا لمن؟!!

العتب وقود الحب

لابد للحب من وقفة ساخنة هادئة تجدد خلاياه.. وتمنحه دفعة جديدة للاستمرار والاستقرار..

الحب الرتيب ممل..

والشجار المتواصل مدمر..

وبين رتابة الحب.. وشجار المحبين المتواصل.. المدمر تأتي الوقفة الساخنة الهادئة.. انها اشبه بالملح للطعام تزيد في شهيته.. وتساعد على هضمه.. هكذا حدثني صاحبي وهو يتحدث عن نفسه..

قال:

انني اشعر بأنني من اسعد خلق الله في بيتي.. احب زوجتي الى ابعد حدود الحب وتبادلني هي نفس المستوى من الحب.. انجبنا اطفالا.. وبنينا عشا نهرع اليه.. ونلوذ به..

ومع كل هذا الوفاق والاتفاق.. فان وقفات طارئة صغيرة تقفز على مسرح عشنا الهاديء.. تدفعنا الى العتاب الذي لايرقى الى درجة العقاب.. نقضي معه الساعات.. واحيانا الايام لا يكلم احدنا الآخر.. نشعر معه بعد ذلك ان جذوة اللقيا تدفعنا دفعا الى ان ننسى كل ماحدث..

قال:

انها وقفات ساخنة هادئة لابد منها على جادة الحب لكي تتجدد خلاياه.. ويستعيد نشاطه.. انها ضرورة الحب.. كضرورة الملح والطعام..

المهم ان لاتكون وقفات تحد تؤدي الى ماهو ابعد من النقلة السريعة على جادة العودة.

العصا والعصيان

لم تعد العصا اسلوبا صالحا من اساليب التربية.. وتقويم الخطأ في النشء.. ان العصا تدفع في احيان كثيرة الى العصيان والتمرد.. والى الهروب.. والانحراف.. واتساع رقعة المسافة وهوتها بين المربي والطالب.. الى درجة اللاعودة..

من هنا فان الأخذ بنظرية الاقناع والمجادلة الحسنة.. تدفع الى الاقتناع والاستجابة واختصار المسافة الموصلة الى الغاية..

وصرح التربية لم يقم ابدا على قواعد القسوة والجفوة.. والخوف ذلك ان التقبل لدي الطفل أمر تحكمه وتضبطه الملامسة الرافقة والكلمة المشجعة.. حتى ولو كان لدى الطفل نزق مبكر.. أو نزوة وليدة اذ مع زرع الثقة.. ومع الأسلوب الحازم العاقل الرافق يتخطى عتاب نزقه ونزوقه في استجابة مقنعة غير مفروضة عليه بتهديد أو وعيد.. وانما معروضة عليه في تسامح.. وحب..

وما اكثر الذين الهبت اكفهم وارجلهم العصا فباعدت بينهم وبين جدران مدارسهم.. بل وبين استعدادهم لتقبلهم مايملى عليهم..

حتى الأطفال فان في اعماقهم توجد بذور العناد والتحدي.. انها تستيقظ مبكرة لتولد متفجرة اذا لم تجد من يتعامل معها في رفق.. وحب

وصدق الله العظيم..

«ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك»

للصبر حدود

للصبر حدود.. كما تقول كوكب الشرق أم كلثوم..

والانسان مهما كانت طاقة احتماله فانه لايقوى على مقاومة انفعالاته في حدود المواجهة.. والمجابهة..

والحلم مظلة تحتمي بها المشاعر ساعة انفعال.. الا ان الحلم احيانا في مواقف كثيرة يعد ضربا من الذلة والتخاذل.. وافتقاد القدرة على الدفاع..

بل ان الاحتماء والركوع امام مظلة الحلم قد تدفع بالخصم الى المزيد في امعانه بعدم الاكتراث .. والاندفاع في اذاه ظنا منه بان الصبر دلالة ضعف.. وافلاس في معركة الصدام.. بل وتأكيد لادانة افترضها.. او شبهة لوح بها..

والقليل القليل النادر هو ذلك الذي ينيخ دابة حواسه لكي ترقد وتغمض عينه وسط زوبعة من التحدي.. والزحام.. ذلك ان النفس البشرية جُبلت على الجذب.. والدفع.. ولكن في توازن لايخل بكرامتها.. ولا يخدش كبرياءها.. ولايفقدها القدرة على الدفاع عن النفس..

ومهما امتدت مظلة الصبر.. وتفيأ صاحبها ظلالها.. فان اعاصير المواجهة لابد ان تحركها لتسقطه لحظة الصدام.. وليتحرك هو بكل نبضه دافعا ومدافعا حين لايجد للصبر حصادا.. وحين يصل الى نهايات حدوده.. وللصبر حدود كما تقول كوكب الشرق«أم كلثوم»..

المال وحده لايكفى

قال محدثى:

«كثيرا ما رأيته قبل ان اتعرف عليه.. يشدني اليه هندامه.. مظهره.. سيارته الفارهة الطول.. سائق سيارته الذى يسارع بفتح الباب له.. دارته الانيقة ذات الحديقة الواسعة.. كنت اتخيل فيه السعادة كل السعادة.. فلا المال يعوزه.. ولا الجاه يعوزه.. ولا حتى الشباب ايضا فر من عمره..

وجاءت الصدف.. وتعرفت عليه.. وتحولت المعرفة الى صداقة متينة.. وذات يوم قلت له وما زالت افكارى تهيم على السطح:

ــ دعنى اهنئك.. كم اتمنى للكثيرين ان يعيشوا مثلك.. الحياة المنظمة البيت السعيد.. الاستقرار النفسي..

ولحظت على عينيه وانا اتحدث غمامة حزن لم اكن الحظها من قبل.. وطفرت من عينيه دمعة متسللة هاربة.. وكاد ان يشرق بريقه وهو يتحدث:

ــ هكذا يخيل اليك ايها الصديق .. ولكن؟

وسكت هنيهة ثم اردف:

ــ تزوجت منذ اثنى عشر عاما بمن احب.. ومازلت.. ولكن الذى يؤرقنى ويقض مضجع زوجتى اننا لم ننجب.. وكنت السبب.. اكثر من طبيب راجعت واكثر من دواء تعاطيب دون اية نتيجة.. اننى اتعذب من اجلى.. ومن اجلها.. من اجلى لاننى اطمع فى اولاد.. ومن اجلها لاننى السبب فى حرمانها..

قلت له:

ــ امر محير فعلا الذين يملكون الاولاد يتأففون من كثرة مشاكلهم.. والذين لايملكون يتأففون من الحرمان من صانعى المشاكل..

قال وهو يتصنع ابتسامة لا تخلو من حزن:

ــ لاتصدق.. فالاولاد نعمة دونها المال.. ودونها الجاه.. لا يعرفها الا اولئك الذين حرموا منها.. وما علينا ان يكونوا اشقياء.. ان سعادتهم فى شقاوتهم..

واردف:

ــ انك باولادك السبعة رغم شكواك تملك اثمن خزائن الأرض.. ان رصيدا ضخما من المال.. وان رصيداً ضخما من الجاه لايحركنى بمقدار ما تثيرنى حركة طفل يزحف على ركبتيه.. وعلى شفتيه عبارة «با.. با»

وسكت..

قتل من نوع جديد

قتل من نوع جديد..

ــ الواقعة نشرتها صحيفة الاحرار القاهرية في عددها رقم ١١٠ بتاريخ ١٤٠٠/١٠/٢٢..

تقول احداثها:

ادعى طبيب بني سويف ان الرجل حامل فمات الرجل بالسكتة .. وحاول ابنه الانتحار.. اما التفاصيل فقد سردتها الصحيفة كالآتي:ــ هذه العملية جرت في المستشفى العام ببني سويف وانتهت باخراج جنين ميت كان على وشك اكتمال النمو من بطن مواطن عمره ٤٥ سنة..

قال الطبيب المعالج:

ان المريض الذي اجريت له الجراحة في حالة صحية جيدة بعد استئصال الورم الخطر الذي تبين انه جنين تكون في ظروف نادره.. وفور نشر هذا الخبر قرأه المريض فأصيب بالسكته القلبية.. اما ابنه فقد حاول الانتحار بعد ان انتشرت الهمسات والشائعات في ارجاء المدينة..»

اما الحقيقة فقد كانت بعيدة تماماً عن هذا الخيال او الوهم الذي توصل اليه طبيب اراد الشهرة فاحتال وغالط في تشخيص حالة ضحيته..

ماذا قال التقرير العلمي الموضوعي عن هذه الحالة بعد فوات الأوان؟

قال:

«ان المريض كان مصاباً بورم خلقي من خلايا بدائية قد تكون كامنة بالجسم ثم تكبر وقد تتحول الى ورم سرطاني وقد تكون هذه الخلاياأي اجزاء او اعضاء تماثل اعضاء جسم الانسان المختلفة مثل الشعر أو الاسنان او العظام.. والعضلات دون تناسق.. وهذا الورم شائع الحدوث ومعروف طبيا .. ويحدث للرجال.. والاناث.. وهذا الورم بعيد جدا عن ان يوصف بأنه جنين او شبه جنين..»

وخلص التقرير الى ان ادعاء الطبيب كذب.. ووهم اساء الى المريض والى سمعة اسرته.. انتهى برفع دعوى قضائية عليه..

ولكن.. ماذا تجدي المقاضاة بعد افتقاد الحياة.. ان روح الميت لن تعود مع كسب القضية.. لقد انتهى كل شيء.. وبقيت الأخطاء وحدها هي التي تتحرك.

حين نبالغ في الوصف

احاديثنا المبالغة الغير معقولة.. والتي تتجاوز في ابعادها حدود التصور والمنطق..

امثلة كثيرة على تلك المبالغات الشاطحة الى اعماق الخيال والضاربة فى متاهاته.. منها:

- احسن مليون مرة
- اذكى من العطر
- اشهى من العسل
- ارق من النسيم
- ازكى من العطر

مجرد نماذج لما نطرحه من اوصاف مبالغ فيها.. تصطدم بالمعايير.. وترتطم بالمقاييس..

وعلى الرغم من ان هذه المبالغة قد لا تحمل ضررا لاحد.. بل وربما تسعد عاطفة صاحبها حين تقربه من رغائبه وامانيه السرابية.. الا انها في نفس الوقت جنوح من الواقع المحدود التصور.. الى الخيال المطلق الذي لا تطاله تصورات المتصور.. ولا رؤياه او رؤاه المحدودة.. والمبالغة وحتى لو كانت غير جارحة او ضارة الا انها جنوح قد يسترسل مع صاحبه فيسلمه الى متاهات قد يرفضها العقل وقد يلفظها المنطق لانها حصيلة اسراف لا مبرر له.. حتى حين نتحدث.. فكما ان للتصرف عقالا وكلاهما العقل والعقال لازمان للحركة.. وللكلمة.. كما اتصور..

في بيتنا مشكلة

في بيتنا مشكلة..

في كل بيوتنا مشكلة من الخطورة بمكان..

لايكاد يخلو بيت من بيوتنا من عدة فتيات شارفن مراحل الزواج او اجتزنه.. يحكم مصيرهن القلق.. والخوف.. من ان يعبر قطار الزواج عن حياتهن دون توقف ودون عودة.

وتبقي المأساة مطلة من حدقات العيون المترقبة للنصيب والحانقة عليه ومنه..

ولا ادري ماذا اعددنا لمجابهة هذه المشكلة على الصعيد الاجتماعي.. بل والاخلاقي اذا ما استفحل الحال.. وظلت هذه الظاهرة الخطيرة تراوح مكانها. ان اسبابا عدة تساعد على استمرار هذه المعاناة الأسرية الصعبة..

المهور

مشكلة السكن..

تحكم بعض الآباء في مصير بناتهم..

وقوع بعض البنات ضحية خلافات قائمة بين الام والاب.. ومالاترغب الام

اذاً فنحن امام تحد سافر يضعنا امام اختبار صعب لاخيار فيه..

ان نقوى على حل هذه المشكلة..أو نحني رؤوسنا امام العاصفة. وندفن رؤوسنا في الرمال لندفن معها آمال واحلام فلذات اكبادنا.. وبالتالى يطالنا العقاب. وندفع الثمن.،

التواضع .. والصنعة

العظيم يزداد تواضعا كل ماعلم.. يزداد ايمانا بما حوله والتصاقا به كل ماقطع من مسافات في جادة الحصيلة العلمية..

واكثر الناس غباء. واكثر الناس جهلا هم اولئك الذين تفصل شهادتهم العليا بينهم وبين مجتماعتهم.. تمنحهم اسوارا من العزلة والتعالى على غيرهم.. وكأنما كانت تلك الشهادات صكوك تمييز وفرز بين انسان يملك شهادة تفوق.. وآخر لايملك تلك الشهادة.

ومن المحزن جدا ان البعض فينا يتعالى على تواضعه.. وعلى واقعه وعلى مجتمعه لمجرد انه نال شهادة ما.. ويتخذ نهجا يميزه الغرور.. ويباعد بينه وبين ثقة الناس فيه.. وتعاملهم معه..

وظاهرة التعالى ظاهرة خطيرة بين بعض اغنيائنا الا أنهااخطر واخطر اذا ماوجدت بين صفوف طلائعنا المتعلمة التي ينظر اليها كمقدمة لصفوف جيلنا المعاصر الذي يتحمل ويجب ان يتحمل عبء المشاركة في بناء الاجيال القادمة.. ..

ومستلزمات الحياة المقبلة ان تواضع العظيم يزيد في حب الناس له.. وتعلقهم به .. وادراكهم بقيمته..

والعكس بالعكس فان التعالى والترفع من اي موقع كان.. يبني سورا من العزلة.. حصاده الجفوة.. وثماره الفشل في تحقيق اي لقاء او تعاون.. وهنا مكمن الخطورة.

دماغ لم يستعمل

لاتريد ابدا ان تصدق علينا نحن العرب تلك الاكذوبة الخبيثة الماكرة التى يتفوه بها خصوم العرب عن العرب.. والمتمثلة في خرافة ذلك التاجر الذي تخصص في بيع ادمغة البشر الموتى والذى وضع سعرا محددا لكل دماغ.

الدماغ الالماني بدولار الدماغ الياباني بدولارين
الدماغ الامريكي بثلاثة دولارات
الدماغ الفرنسي بأربعة دولارات
الدماغ الانجليزي بخمسة دولارات
الدماغ العربى بمائة دولار

والذى سأله احد رواد متجره عن السر في تفاوت اسعار هذه الادمغة حيث قال له..

ان الدماغ الالماني استنفد بواقع تسعة وتسعين في المائة
والدماغ الياباني استنفد بواقع خمسة وتسعين في المائة
والدماغ الامريكى استنفد بواقع تسعين في المائة
والدماغ الفرنسي استنفد بواقع خمسة وثمانين في المائة
والدماغ الانجليزى استنفد بواقع ثمانين في المائة

اما الدماغ العربي فانه لم يستعمل بعد.. انه مازال كما كان منذ ان وجد لانريد ابدا ان نصدق ادعاء خصومنا بأننا تجار كلام في الحرب تجار التهام في السلم تجار خصام في العشيرة نبدأ من حيث بدأ الآخرون.. وننتهي ايضا من حيث بدأوا

لانريد ابدا ان نصدق ادعاءهم الكاذب من اننا نراوح مكاننا تبهرنا الشمس.. وينهرها النهار..

لانريد ابدا ان نصدق ادعاءهم بأن ضعفنا في قوتنا.. وقوتنا في ذلك اننا ككل أمم الارض لنا خصائص الاحياء.. ولنا مقومات الحياة لنا الفكر.. والاستعداد لنا القدرة.. وفينا القدوة..

لانريد ابدا ان نصدق مايقولون.. مايزعمون. لاننا امة عرفت مكانها على الخريطة.. وحددته وجددته.. وعرفت موقعها تحت الشمس.. ومن اجل رسوخه سوف تتحرك في وعي وثبات واصرار رغم مايدعون.. رغم كل مايدعون.

الانحسار الاجتماعي

اعتدت مع كل زيارة لوطني ان اتوجه الى عميد اسرتنا الذى يفتح دارته كل مساء لزواره من الاسرة والاقارب..

زرته منذ اعوام ستة كان مجلسه حافلا نابضا بالحركة..

زرته منذ اربعة أعوام.. كان مجلسه أخف حركة عن ذى قبل.

زرته منذ عامين .. وكان نصاب زواره لم يكتمل.

وزرته منذ عام واحد ولم أجد من الاسرة والاقارب الا واحدا فقط ربما عذره فى الزيارة أنه طاعن فى السن.. شب عن طوق مشاغل الدنيا..

وسألت عميد الاسرة.

اينهم؟! اين فلان.. وفلان.. وفلان..

ورحت اعدد عليه ابناء عمومتى.. وهم كثر..

قال:

ـــ لقد شغلتهم الدنيا عنا.. لم نعد نراهم الا لماما.. وحين نراهم فانهم معنا باجسادهم فقط أما افكارهم فتلهث وتركض فوق رمال خريص والعليا والسليمانية.. ومكاتب العقارات.. حتى فى هذه الساعة من الليل لم يعد لهم قرار او استقرار

لقد حمت بهم العدوى حتى مع بيوتهم.. حتى مع أولادهم.. كل شاغلهم.. وكل مشاغلهم كيف يجمعون ويجمعون دون تقدير للراحة.. ودون حساب للروابط الاجتماعية التى أخذت تتفكك عراها.. وتتباعد اطرافها..

واحسست معه اننا مقبلون بحكم قصورنا فى الفهم.. وتصورنا للمادة على أنها جمع فحسب.. احسست اننا مقبلون على عتبات انزلاق تهدد كياننا الاجتماعى.. ان لم اقل تقضى عليه بالرمى

وليد.. الوليد

«وليد»

ايها الوليد الجديد الذي استقبلته منذ ايام.. على غير العادة استقبلت دنياك مستدبرا وكأنما كان ولوجك اليها قسريا ضاربا في ابعاد التشاؤم.. وعدم الاكتراث.. بل والازدراء.. لم يطل رأسك كما هي الحال بالنسبة لكل طفل وافد.. لم تكن صرختك هي الحركة الاولى في مسار حياتك.. وانما كانت منك ركلة قدم سبقت صوتك.. وسبقت عينيك.. تحديا.. ان لم تكن تحديدا لفهمك الصغير! نحو عالم جئت اليه يستوعب العكسيات ويتقبل التناقضات.. ويستقبلها..

جئت يا وليد الى دنياك باقدامك مؤثرا ان لاتراها قبل ان تلمسها .. ان تركلها قبل ان تعانقها بابتسامتك الصغيرة الصغيرة.. ان تهزأ من دنيا لا مكان فيها الا للصراخ .. للخداع.. للركض المجنون.. للنهم.. للاستجداء..

ومن يدري فقد تكون اطلالتك عليها من الباب الخلفي هي الاطلالة التي تستحق ان تكون مؤشرا للتوافق الطبيعي بين خطوتك الاولى واخطاء عالمك اللاهث وراء خيالات سرابه..

لقد جئت.. واحتضنك عالمك.. وربما دغدغك بضع سنوات.. وربما القى بشراك احلامه وامانيه في وجهك ليبهرك بضعة اعوام.. ثم ليقهرك بقية العمر.. ولكن.. وغيرك الكثيرون الكثيرون ممن يقطعون الدرب ذاته.. وغيرك الكثيرون والكثيرون ممن تجهدهم المسافة والمساحة والزمان فان تعداد الزوايا المعتمة وتكاثرها لايعني ان الحياة

كلها ليل.. وان الدروب كلها تيه.. ان هناك دربا اسمه حقيقة الوعي يجب ان تتلمسه حين تعي.. دربا لا تنتزعه من ذاتك الضيقة.. وانما من كل شيء حولك.. من الحب.. من الايمان.. من الطهر.. من الابتسامة.. ومن صنع الخير ايها الوليد الجديد.

نشرات الاخطار

من عيوبي.. وعيوبي كثيرة انني مدمن نشرات أخبار .. فما ان تنتهي نشرة حتى اسارع بمؤشر الراديو الى اذاعة اخرى لعل فيما ستسوقه خبرا واحدا على الاقل يعطي الثقة في مسار تحرك هذا العالم.. وانضباطه الحسي.. واكاد .. ولعمر طويل.. ولاستماع اطول.. ولانتظار اطول لا اسمع مع كل نشرة اخبار تصدر من هنا او هناك الا العناوين التالية:

— انفجارات قنابل..

— اغتيالات .. اعدامات.. انقلابات..

— لاجئون .. مسحوقون..

— زلازل.. ومهازل..

— هز عضلات .. وتقاسم مصالح على حساب اصحاب القضايا..

مما يوحي لاي مستمع ان عالمنا يعيش فوق فوهة بركان او على كف عفريت.. وكم تمنيت.. لو ان بلدا واحدا في هذا العالم على الاقل خصص نشرة اخبار تعنى بالوجه الآخر لهذا الكون.. وجه الحب.. والجمال.. والبناء.. ان كان لهذا العالم وجه حب وجمال وبناء..

انا لا انفي ان مايذاع ان هو الا الانعكاس المنطقي لتطور الاحداث.. التي تواجهنا كل لحظة.. بل وتفاجئنا كل دقيقة.. ولكن ومن باب فتح نافذة الامل.. والامنيات فان وجود نشرة لاقرقعة فيها

للمتفجرات.. ولا دماء فيها للاغتيالات.. ولا اشباح فيها للمشردين.. ولاهزات فيها للزلازل او المهازل.. ولا صراخ فيها مع اقتسام المغانم المحرمة.. ان وجود هذه النشرة على الاقل استراحة قصيرة للعقل وللوجدان تمنحه فرصة التحدث عن مايجب ان يكون عليه غده.. ومستقبله.. ومستقبل الامل الذي يولد مع كل وافد على هذا الكون المجنون المجنون.

ذكي.. وغبي

كما ان الانسان ذكى. وغبي .. ضعيف وقوى يأتى الحيوان نفسه وبنفس صفات الذكاء والغباء الضعف والقوة..

الانسان فى تصرفاته ينزع الى امكانياته العقلية واحيانا الى امكانياته الجسمانية.

واحيانا الى ارهاصاتة النفسية..

مع عقله يبدو سلوكه معقولا.. ومقبولا..

ومع جسمه يبدو سلوكه اشبه بالمصارع والملاكم فى حلبة مصارعة الثيران

أما مع ارهاصاته النفسية فان مؤثرات ومؤشرات تصرفه تبدو احيانا متضاربة.. فيها الضعف

وفيها الانتصار للضعف، والحيوان بطبيعته لا يبعد كثيرا عن الانسان فى تصرفاته مع نفسه.. ومع غيره.. انه يخضع للانقياد.. واحيانا تتمرد عليه..

إنه احيانا يقف مع خصمه نداً للند يصارع ويقاوم..

و فى مراحل ضعفه فإنه كالانسان الضعيف يقتنص ممن هو دونه ضعفا ولا تغيب عن ذاكرتى قصة ذلك الحمار الذى يثأر ممن يقرص على ذنبه، فيثأر بعضة مماثلة على اقرب من يحاذيه..

شيء واحد يميز بين الانسان والحيوان..

الانسان يطلب المزيد وهو متخم..

الحيوان يكتفى بما يأكل بالكفاية.

الانسان كالمسعور يبحث عن ضحايا وهى فى غير حاجة الى تلك الضحايا

أما الحيوان المفترس فانه لايبحث عن اية ضحية الا فى حالة الجوع..

وليس كل إنسان مسعور وليس كل حيوان عاقل ولكنها قضية النسبة

المعايير المعكوسة

اعرفهم.. بل اعرف نماذج منهم يستصعبون الحبة فيغصون بها.. ويستسهلون القبة فيبتلعونها دون شكوى..

حضرت لبعضهم مواقف متباينة.. ومضحكة.. ومؤسفة..

احد المشاهد كان لوقفة صاحبنا مع احد العمال لديه.. لقد طلب اجرا معقولا ومقبولا لعمل أداه.. ورفض ذلك التاجر الكبير هذا الاجر الزهيد. وراح يساومه ويخاصمه من اجل بضعة قروش لاتستحق المساومة ولا الخصام..

وفى وقفة ثانية من صاحبنا كانت يده تمتد الى جيبه مملوءة بالنقود ليمنحها لمن لايستحق.. لمن لا أجر له.. ولا اجر فى عطائه..

وقلت له:

من اجل بضعة قروش كانت اصابعك ترتعش شحا وانقباضا..

ومن اجل من لاحق له ولا ثواب فى عطائه كنت تغرق جيبه بالنقود.. اليس فى هذا كل المفارقة وكل التحدى لابسط عوامل التعامل..

وكان جوابه:

أن الاول طلب اكثر مما يستحق ــ وهذا غير صحيح.

أما الثانى فكانت خدماته الغير جديرة بالتقدير وراء العطاء بدون حساب.. نماذج من التعامل الغير عادل بالنسبة للكثيرين. فيها الظلم.. وفيها الإظلام.فيها بخس الحقوق.. وفيها العقوق للقيم التى بدأت تهتز متآكلة فى اعماقنا.. وعلى مشرحة تعاملنا مع الغير..

فهل نعدل؟! وهل نعقل عواطفنا بالعقل

ونكبح جماحها . هذا هو السؤال؟

مشاكلنا بعددنا

لو قدر لك وانت تعبر الطريق ــ اي طريق ــ أن تتعمق في ملامح المارة من حولك.. ان تبصرها بحسك الباطن لتراءى لك على كل صورة تشاهدها ملامح مأساة.. او ملامح مشكلة.. او ملامح قلق دفين.. او ملامح حيرة تبحث عن قرار..

حتى تلك الملامح التي تعلوها ابتسامة.. انها فقط تتعامل مع صدفة حظ لا يكاد يطل حتى يختفي مخلفا بعده الكثير والكثير من التهجم.. او التألم.. او التبرم..

واذا كانت رقعة كرتنا الارضية تتسع اليوم لثلاثة بلايين من البشر يتوالدون ويتوافدون.. ويتراكضون في موكب الزحام.. وعبر غباره الخانق.. فان ثلاثة بلايين مشكلة على الاقل تتقمص حياتهم.. وتتدافع مع انفاسهم ومع خطاهم دون ان تقوى قدراتهم المادية على انتزاع فتيلها.. ومن ثم انفجارها.. ولعل هذا يعني ان ميلاد الانسان هو ميلاد وضع تشكل السلبية احد جوانبه بكل ما تعنيه من معاناة.. ومواجهة.. ومجابهة..

صحيح ان قدرات الانسان تتفاوت بالنسبة للصراع نفسه.. والسلاح الذي يمكن ان يعده لمقاومة هذه المشاكل.. والتعامل معها.. الا ان الصحيح ايضا ان المشكلة خميرة مستقرة مزجت بها بذرة تكوينه.. فجاءت ملازمة.. وان احتجبت بعض فصولها في مرحلة من حياته.. الا ان انسدال الستار لابد ان ينتهي مع انتهاء فترة استراحة قد لا تطول.. وقد تكون قصيرة جدا..

كل من لاقيت يشكو دهره

ليت شعري هذه الدنيا لمن؟

ولعلي اجد الجواب في صميم تساؤل الشاعر.. مستدركا ان الدنيا للشكوى.. لان الشكوى احدى مظاهر التعلق باهداب الامل.. وباهداب الالم ايضا.

خائفة من الامتحان

والتفتت الصغيرة الى والدها وعلى خديها مسحة من حزن مشوبة بقلق..

قالت له:

ـــ انني خائفة يا ابي.

وسألها.

مم تخافين بابنيتي؟!

اجابت في نبرات خافتة خائفة:

ـــ من الامتحان.. من الامتحان .. خائفة ان لا انجح الى الصف الثالث.. ان اقضي عاما جديدا خسرته متخلفة عن رفاقي في الصف..

واحتضنها والدها.. وربت على كتفيها الصغيرين وعلى عينيه دمعة حانية باكية.. وقال.. وكأنما كان يخاطب نفسه.. وكأنما كان يعني بكلمته كل من حوله..

ـــ ان العالم العربي.. بل والعالم الاسلامي كله يواجه اليوم امتحانا صعبا قاسيا دونه امتحانك وامتحان رفاقك..

امتحان لا اعادة فيه اذا ما فشل او سقط.. امتحان وجود لا امتحان مادة او بضع مواد مقررة.. امتحان مصير يتقرر على ضوئه مكانه تحت الشمس وانا واحد من هؤلاء الذين يعانون الامتحان القاسي الرهيب يابنيتي.. كلنا تلاميذ انت في فصلك الصغير.. وانا في مدرستي الكبيرة.. مدرسة الحياة..

واذا ما قدر لك الفشل فان إعادة تنتظرك.
اما انا.. اما امتي كلها فاذا ما قدر لها الفشل فان ابادة تنتظرها..
وصمت.. وصمتت الطفلة.. كلاهما ينتظر نتيجة الامتحان القادم الصارم.

وفي الصلاة صلاح لأسقامنا

احدث صيحة في عالم الطب اطلقها برفسور غربى منذ أيام تناولتها الصحافة على نطاق عالمى ماذا قال ذلك الطبيب؟! كان يتحدث الى بنى قومه عن افضل علاج لآلام الظهر..

قال:

إن على الذين يشكون من اوجاع في ظهورهم أن يصلوا خمس صلوات كل يوم كما يفعل المسلمون.

ومن يومها ومجموعات منهم تشد بأنظارها الى المسلم وهو يصلي.. لكى تصلى مثله.. بحثا عن الشفاء مما تعانيه وتكابده

ما اروعك ايها المسلم وما انقاك. وما اعظمك لم تكن للآخرة فقط.. وانما كنت ايضا للدنيا. لم تكن للروح وحدها .. وانما كنت للجسد ايضا.

تعطى جرعاتك وهي كثيرة.. تعطيها قيما. واخلاقا.. تمنحك سلوكا وتعاملا.. تهبها نقاء. وبناء..

ما اروعك ايها الأسلام انك تبنى في اعماقنا جذور الحياة.. والحب.. جذور الايمان.. والعافية.. عبر فلسفة عميقة اطارها بناء الانسان الروح.. بناء الانسان السليم المسالم..

ولسوف تنطلق صيحات وصيحات تكتشف ان عقيدتنا دستور متكامل للحياة كل الحياة

ضريبة المادة

قال:

هل تصدق اننا اخوة اشقاء نسكن دارات متجاورة. مطعمنا واحد ومع هذا تمضي اسابيع واحيانا شهر لايرى احدنا الآخر..

قلت..

لم افهم بعد..

قال:

ان لكل واحد منا مشاغله واعماله.. وفي ساعات الاستراحة ايضا لكل منا شلته واصدقاؤه

يأتي احدنا الى حيث وجبة الغداء الساعة الواحدة ثم يعود قافلا الى داره او الى عمله.. ويأتي الثانى الساعة الثانية والنصف.. ويأتى الثالث الساعة الرابعة.. ويمضى نمط حياتنا على هذا المنوال لانكاد نرى بعضنا الا لماما..

قلت له..

والحصيلة من كل هذا

قال:

حفنات من الملايين يتحرك كل واحد منا خلفها ويركض وراءها وبشكل متواصل

قلت له:

ولكن الاهم من الملايين.. ومن البلايين ايضا روابط الاسرة ووشائجها التى كادت ان تنقطع.. روابط القربى التي اوشكت ان

تنفصم بحكم مؤثرات المادة وطغيانها على كل شيء.

نعم اننا نربح المادة. ولكن احيانا نخسر ماهو اهم.. وأهم من المادة. وهنا مكمن الخطورة على مستقبلنا وعلى حياتنا، على وشائجنا الاسرية التي يهددها التمزق.

الكيف قبل الكم

الأغنية لاتقل تأثيرا على الذوق العام من الاثر الفكرى.. بل لعل الاغنية اخطر فى تأثيرها بحكم ولوجها الى كل سمع ابتداء من الطفل الصغير.. وانتهاء بالشيخ الطاعن في السن

الاثر الفكرى وتأثيره لايتعدى محيط المتعاملين معه.. وعلى مستوى طبقة مميزة متعارف عليها بالطبقة المثقفة.. وهى تشكل نسبة ليست بالكبيرة فى العالم النامى

اما الاغنية فان تأثيرها يتجاوز كل الطبقات.. كل المستويات.. ومن هنا فان واجب وزارة الاعلام.. وواجب اجهزة الفنون المختلفة ان تراعى الدقة التامة في اختيار كلمات الاغانى بحيث لاتسمح بأية كلمات مهما كان مصدرها ان تأخذ طريقها للاجازة مالم تكن لكلماتها مقومات التقبل لفظا ومعنى..

وكما ان الكتاب حين يتجاوز العرف. ويتعدى اطار المقبول تتم مصادرته كذلك الاغنية يجب ان تخضع ايضا للمصادرة ومنع دخولها. فضلا عن تداولها واذاعتها..

يجب ان نحمى اذواق المستمع.. نحميه من مجموعة هائلة من الاغانى المسفة.. من الكلمات الركيكة المعادة.. بل ومن بعض الذين ركبوا موجة الفن وهم يفتقرون الى كل مقومات الفن.

قبل ان نطلب الكم يجب ان نبحث عن الكيف.. والا فاننا سنجد انفسنا في موجة من الصراخ المسجل او المذاع تؤذى به حواسنا... ونقتل به اذواقنا والويل لعالم لاضابط للفن فيه.

الحب شمعة تنطفىء لتولد..

القلب.. كالزهرة يتفتح مرة واحدة ثم يموت..

انه لا يملك اكثر من حب صادق واحد.. لأنه لا يقدر على اكثر من حب واحد.. والا تحول الى ممثل فاشل على مسرح العشق يؤدي ادواره امام جمهوره.. في تلوين لنزعاته .. وتباين لتصرفاته..

واذا كان عمر الزهرة المتفتحة قصير.. فإن عمر الحب في القلب ايضا قصير اذا ما تعرض للصدمات في خطواته الأولى.. وحيل بين خطاه وبين الجادة الموصلة الى دنيا الاماني.. وسيان اكانت تلك الصدمات مفتعلة بحكم ارادة قهرية ظالمة.. او بحكم مؤثرات لا ارادية لاسلطان عليها.. فإنها تتساوى نتائجها.. وفي لون حصادها.. وتكون النهاية واحدة تناثر اوراق زهرة الحب في القلب.. والجفاف في اعوادها ولن يعيدها أي موسم ربيع آخر يأتي، لأن الخريف المبكر أجهز عليها.. واطبق على انفاسها.. واجتث منها الجذور الموصلة بنهر الحياة..

ومأساتنا اننا غير قادرين على فهم الحب لكي نحتفظ بالقلب بعيداً. عن ويلات الصدمة وآثارنا.. لذا فإن رياح القسوة تحصد الآلاف .. آلاف القلوب الغضة البضة مع كل مرة تتحرك فيها على دنيا الواقع.. وكأنما كانت خيمة الامل بمثابة خيمة المستقبل المهترئة امام مهب العاصفة.

قد يبدو الحب افلاطونيا بالنسبة للكثيرين عاشوا معه أحلاما واصطدموا به على ارضية التعامل والمواقع.. الا انه مع هذا جزء من التكوين

للإنسان له كل خصائص النمو..والارتقاء متى وجد من يرعاه.. ويترك لخطاه سبيلها الى التحرك في حرية الاختيار.. وفي اختيار الحرية.. ومع هذا «فلا شيء يبقى على حاله.. لأن كل شيء نهاية وبداية حتى الحب.. فإنه يرحل مع زهرة ليولد مع اخرى.. يولد من اجل ان يرحل.. ومن اجل ان يولد ان الحب شموع تنطفىء.. لتولد من جديد.

الشريط الرفيع

شريط رفيع يفصل بين حب العاطفة.. وعدم الكراهية.
الاول انجذاب عاطفي يطغى على الصورة فيحسنها.. حتى زواياها المعتمة تبدو مضيئة..
حتى ملامحها الغير جذابة تبدو جميلة اخاذة
اما عدم الكراهية فانها الاكثر اتزانا واعتدالا. والاكثر واقعية وضبطا.
حين احب لا ارى فيما حولى إلا مااشتهي وارغب لا اشهد من منظار حبى الا ما اطمع في قطافه وضمه دون ان يجد عقلى السبيل الى غربلته.. واجتلاء زواياه..
وحين لا اكره فان حركة الوعى هى التى تتحرك عبر خطوات مدروسة لا تخلط بين الجميل والقبيح.. بين المضىء والمعتم.. وانما تميز بين هذا وذاك فتعطي الحكم هادئا رافقا لا تحمل فيه.. ولا تحامل معه.
والذين يحبون بعواطفهم المجنونة يخلطون الحسنة والسيئة في عجينة واحدة تتحول مع غريزة انجذابهم الى حسنة ليس الا.. حسنة ترفض كل احتجاج وتلفظ كل ممانعة.
والذين لايكرهون.. انهم يتحسسون بمشاعرهم المفتوحة حركات الانجذاب فلا يرتمون دون وعى.. ولا يتهمون دون دليل.. وانما يؤثرون.. ويؤثرون.. ويستأثرون بالدوافع الحية للحب الحقيقى..
جرعة مں عدم الكراهية تساوى جدولا من حب لايبصر الا من خلال العاطفة المتعصبة العمياء او هكذا احسب.

اطلقوا للميول حرية الاختيار

التسلط اغر مقيت نكرهه حتى ولو كان دافعه الحب.

وفى علاقات بعض الآباء بأبنائهم لون من التسلط الجائر الضار يتمثل فى اصرار الاب على ان يكون ابنه طبيبا.. او مهندسا.. او رجل اعمال.. دون الاخذ بعين الاعتبار رغبات الابن وميوله واتجاهاته.. وكثيرون اولئك الذين اخضعهم تسلط الاب لرغباته.. وفشلوا.. لان الطبق العلمى الذى فرض عليهم دون رغبتهم طبق غير مستساغ ولا مهضوم.. وبالتالى فهو مرفوض فى نتائجه وحساباته.. وكم اود لو ان الآباء تركوا لاولادهم حرية اختيار التخصص الذى تنجاب اليه نفوسهم.. وتتمشى مع رغباتهم.. بل ومع استعدادتهم النفسية والمستقبلية.. ذلك ان الانسان قدرات وطاقة موجهة لايمكن عكسها.. والا تناثرت امام عقبات الفصل الدراسى.. وتبخرت.. وانتهت الى لاشيء..

اعطوا لاخواننا الضوء الاخضر فى حرية اختيار ما يريدون من تخصص حتى ولو كان هذا التخصص فى تقديرنا اقل مما نطمع فيه لهم..

لان ما يختارون ان هو الا التكملة لاستعداداتهم الفطرية.. وملكاتهم الشخصية.. وقدراتهم على الهضم.. والفهم.. والاستيعاب.. ان مجرى الميول كمجرى السيول من الصعب تحويله نحو اتجاه مضاد والا توازعته الشعب الكثيرة.. وفقد حماس سيره.. وربما فائدته المرجوة..

دعوا الميول تأخذ مجراها دون تسلط.. اللهم الا من كلمة توجيه مخلصة تطرح.. تعرض ولا تفرض.. تقبل او لا تقبل..
فالاستعداد اولا..

آفاق القرية المحدودة

قال محدثي:

«وقد كنت صغيرا لم ابرح بعد قريتي.. كنت ارى طرقاتها.. ازقتها.. دورها.. اسوارها.. ضخمة عالية.. ممتدة فسيحة.. كنت اتخيل سكانها الالف وكأنهم العالم باسره.. بل ان العالم بأسره اذا كان هنالك عالم خارج اطار قريتي.. انما وجد ليقوم على خدمة هذه القرية.. يسبح في فلكها كما تسبح الاجرام الصغيرة حول الشمس.

وقد كنت صغيرا كنت ابحث عن اي شيء اقرأه.. كنت اتلهف على صحيفة ما .. او على كتاب ما.. كنت اقرأ.. وكنت اقف مشدوها بحكم القصور في التصور والفهم.. اقف مشدوها امام عظمة وعبقرية هذا الكاتب.. او ذلك الشاعر.. او ذاك المؤلف..

وكبرت مع الايام.. تلقفتني مدينة.. ثم اخرى اكبر منها..

وكبرت مع الايام.. بدأت اعي ما أقرأ.. وحين عدت الى قريتي زائراً تضاءلت الاحجام امام عيني.. دنت.. المسافات.. تلاصقت الحيطان حتى كادت تتناطح.. والذين كانوا يزحمون الازقة بخطاهم لم استبينهم وحين تطلعت الى ما كنت اقرأ.. حين تعمقت.. لم آلف تلك العبقرية.. ولا ذلك الاعجاز الذي بهرني وقد كنت صغيرا .. بل ان الكثير ممن كنت اقرأ لهم دنت قاماتهم نحو التراب.. لان افكارهم ومنطلقات افكارهم كانت قصيرة قاصرة.. كقصري الطفولي في التصور.

واستطرد محدثي يقول:

وصحيح ان الانسان حين يكبر تصغر امامه احجام الاشياء.. وصحيح ان الانسان حين يكبر تدنو من عينيه ملامح الصور.. يراها فلا تبهره .. ويعرفها فلا تغرقه في وحل الانبهار الاعمى.

على جائزة نوبل للسلام ! السلام

قال محدثي:

لم اعد استغرب بعد اليوم اى شيء يجرى في هذا العالم رغم افراطه في الغرابة..

لم اعد اكذب مايقال .. وما اسمع.. وما اقرأ حتى لو كان ذلك الخبر يدعو للغثيان والتقزز..

كنت الى وقت قريب اشكو من صداع رأسنا في الشرق.. اما اليوم فانني اشكو من صداع الرأس هناك في الغرب.. في العالم المتحضر ! المتحضر جدا!!

وصداع الرأس الكثير المثير جاء الينا هذه المرة من «اوسلو» عاصما النرويج.. عبر جائزة نوبل للسلام.. ليزيح آخر ستار من المجاملة الاخلاقية.. عن مسرح تعاملنا.. وليبقى على عقدة الخطأ المتعمد تنهش ضمير العالم الحضارى ان وجد..

ولك ان تتصور ــ قال محدثي:ــ لك ان تتصور اكبر ارهابى في التاريخ المعاصر يمنح جائزة نوبل للسلام.. نعم للسلام! وليس للفيزياء .. او الآداب مثلا!!

بيجن منحته مؤسسة نوبل للسلام صك الغفران ليطل من وراء قضبان محكمتها بطلا.. ورمزا لسلام هذا العالم الموبوء في موازينه..»

قال محدثي:

وماذا بعد هذا!؟

جائزة نوبل للسلام اصبحت تباع في سوق نخاسة المحاربين.. تمنح

للمنشقين.. وللمتشدقين .. وللضالعين في فلك الصهيونية العالمية ــ والدائرين فيه.. تمنح عن هوى لاعن هوية... تمنح عن سياسة لا عن كياسة.. تمنح عن تبعية لاعن ارضية صالحة معطاء..»

وصمت محدثي برهة. وختم حديثه قائلا:

«لم يعد في هذه الجائزة مايرفع الرأس بعد الذى جرى.. وعلى جائزة نوبل للسلام السلام.

يارب

يارب..

يارب منحتني البصر لكي احدد سيري فلا ارتطم مع فوضى الحركة..

ومنحتني البصيرة لكي اعي ماهو حق.. وما هو باطل ..

ومنحتني اللسان لكي يكون منطلق افصاح مباح..

ومنحتني السمع لكي استوعب به كل صدى حولي فأتعامل معه..

ومنحتني اليدين..

ومنحتني القدمين..

ومنحتني الصحة..

ومنحتني الرزق .. وما اكثر وما اعظم تلك المنح..

يارب..

فليكن بصري اشراقة وعي ترفض الظلمة.. وترفض الظالمين.. ولتكن بصيرتي قافلة حب وحياة لاتحيد عن جادة الامان والسلامة..

وليكن لساني ذلك الصدى الضارب في اعماق الصدق.. والوضوح.. والجرأة..

وليكن سمعي تلك النافذة المفتوحة التي تستقبل كل ماهو جميل.. وكل ماهو نبيل..

يارب..

ويداي.. ابعد عنهما قيود الذل.. واذلال التشنج والعداء.. وحركة الاعتداء على ماليس بحق..

وقدماي .. ليكن وطؤهما عى الارض واثقا لا رعشة فيه.. خفيفا لا خيلاء معه.. نظيفا لا التواء في مسالكه ودبوبه..

وصحتي لتكن يارب مدعاة للشكر.. ولرحمة الذين يعانون من اسقامهم..

ورزقي ليكن يارب مائدة تطالها الايدي التي لاتجد ما تطعم..

يارب..

ومع اول يوم من شهر صومك وعبادتك فليكن امساكي صياما عن كل ما يرفضه العقل.. واستجابة لكل ما يدعو اليه..

يارب.

ضريبة ما نملك

البليونيرات في بلادي بالعشرات..
انصاف البليونيرات في بلادي بالمئات..
اما اصحاب الملايين فانهم والحمد لله آلاف وآلاف..

ترى لو ان هؤلاء.. كل هؤلاء دفعوا حق الله فيما يملكون.. لو انهم طهروا ثرواتهم زكاة.. وصدقة.. هل سيكون في بلادنا فقير واحد.. ان لم اقل معدوم واحد..؟!

اكاد اقطع بالجزم ان فيض هذه الثروات يشكل رافدا قويا وثابتا لسد احتياجات اولئك الذين لهم في اموالنا حق معلوم.. للسائل والمحروم..

ولكن.. ودون اشارة الى احد بالاتهام.. فان الواقع يكاد يشير الى ان نسبة كبيرة من أغنيائنا لا يتحرجون عن مغالطة انفسهم وبعدة اساليب ملتوية.. منها ان جزءا كبيرا من زكاتهم تعطى لأقاربهم.. بل وربما اقرب الاقارب ممن لا يستحقون.. تعطى لهم بمناسبة العيد.. او باية مناسبة.. على انها جزء من الزكاة.. وهذا على ما احسب امر يجب تلافيه.. ونسبة ثانية تابى عليها غوايتها ان تدفع حق الله.. كل حق الله فيما وهبه .. فما تعطي الا في منة.. وما تنفق الا في شح.. وما تزكي الا في النزر البسيط مما تملك..

ان مطلبا ملحا يدعونا الى ان نطهر اموالنا.. وان يكون توزيعنا لهذا الحق بشكل عادل ونزيه يحقق الفلسفة التي جاء من اجلها تشريع الزكاة.. للقضاء على مظاهر الفقر والحاجة في مجتمع يملك سلاح الغنى.. وسلطانه.. وما نقص مال من صدقة او زكاة.. وانما تزيده.. وتزيده.. وتزيده..

الخيار الصعب

ان يطلق الزوج زوجته لانها لاتنجب أمر عادي في مجتمعات كثيرة شبت على هذا اللون من التعامل..

أما ان يهدد الزوج زوجته بالطلاق لانها على وشك وضع مولودها الاول بعد ستة اعوام فهذا امر لايصدق.

الحكاية واقعية.. وفي بلد عربى..

اما السبب فلأن الابوين لايحبان الزوجة يريان انها غير صالحة لزوجها.. ربما لانه تزوجها دون موافقتهما. او لانهما احسا بأنها استحوذت على زوجها. وامتلكت كل شيء فيه لقد حجبا منافذ الفرحة عن قلب ابنهما وقد بشرتة زوجته بأنها حامل بعد طول انتظار.

وحين هرع الى والديه يزف اليهما البشارة واجه منهما موقفا صارخاً صعبا يقول له..

ـــ اما ان تسقط مافي بطنها.. واما ان تطلقها اذا ما اعترضت على هذه الرغبة.. واما ان نطلقك نحن...

وجن جنونه... فهو بين نارين نار تكويه من أبويه. وأخرى تصهره من جانب شريكة حياته وطفله المنتظر.. ولم يقرر بعد ماذا سيفعل. هكذا تجري وقائع القصة كما نشرتها احدى الصحف منذ ايام..

اما الزوجة المسكينة فقد قررت ان تلد طفلها حتى وهى مطلقة. لانها ستلد انسانا جديدا..

الصداقة المصلحيـة

نمط غريب يحكم جانبا من علاقتنا الاجتماعية قد نطلق عليه اسم «الصداقة المصلحية أو الصداقة الوقتية المشروطة..

ويتمثل هذا اللون من العلاقات بين طرفين يرتبط احدهما بالآخر ارتباطا ماديا بحتا.. ينتهى بانتهاء السبب الفاعل لهذه العلاقة..

فمثلا الزيارات الكثيرة لغير حاجة اليها

ومثلا الاستقبال او التوديع لغير ضرورة اليه..

ومثلا الدعوات بمناسبة او بغير مناسبة.. كل هذا وغيره يتلاحق ويتسابق ويتشابك في عمر المصلحة.. وفي عمر الرغبة او الرهبة.. وما أن يترك العنصر المؤثر مركزه حتى يختفى كل شيء.. فلا احد يزور.. ولا أحد يستقبل او يودع.. ولا احد يقيم الدعوات. بل ولا احد يسأل..

ان هذا الضرب من السلوك المادى يقوم على ركائز وقتية لاجذور لها.. ولا أصالة فيها. ومن هنا فانه سرعان ما ينهار ويتلاشى كظل عاجلته الشمس..

إن أنقى الصداقات وابقاها ذلك الرباط الذى يشد الواحد منا بالآخر بعيدا عن الاطماع...

وبعيدا عن النفاق...

وبعيدا عن قتل الكبرياء فى نفس صاحبها..

إن أنقى الصداقات وابقاها هو ذلك السلوك المتجرد عن كل رغبة او رهبة.. هو ذلك الذى يبرز فى سويعات الشدة وحين يكرب الكرب ويبتعد الطفيليون عن مسرح الصداقات الزائفة

ان مظاهر التصنع بالصداقة.. والاخذ بالشكليات لها لون من زيف العملة فى التعامل كزيف النقود لايمكن صرفه.. ولا الركون اليه.. وهذا ما يجب ان نبتعد عنه.

الخلط المشين

ظاهرة وددت لو اختفت في اسلوب تخاطبنا.. وهي الخلط احيانا بين لغة ولغة أخرى في مجال الحديث دون داع أو ضرورة..

يحدث احدنا.. تبدأ عبارته عربية فصيحة مسلسلة.. وتنتهى بكلمات انجليزية أو فرنسية.. وكأنما يخيل الى المخاطب أن محدثه لم يجد في قاموس لغته الضخم العبارات الكافية لاتمام الجملة..

يقول البعض انها عقدة الثقافة العصرية التي مزجت بين المفاهيم... والحضارات وابت الا المزج بين الكلمات والعبارات.

ويقول البعض الآخر انها عقدة المتحدث نفسه الذى يرى ان مزجه للحديث بكلمات من غير لغته احدى المظاهر التي يبرز عن طريقها نفسه كمتحدث مثقف عصري خرج من نطاق دائرته. وتعداها الى ماهو اوسع

ولايعنيني في هذه الكلمة الى اي المنحيين يكون هذا المتحدث.. وانما الذي يعنيني هو ان لغتنا كلغة تخاطب يجب ان نحتفظ لها بكرامتها وهي القادرة على طرح كل التعابير والصور..

إن الخلط بينها وبين اية لغة أخرى في مجال الحديث وعلى مستوى اشخاص تجمعهم لغة فهم واحدة ضرب من الاهانة لها.. أو الحاق تهمة العجز بها..

والشعوب الحضارية هي التي تحترم لغتها كلغة تخاطب نقية لايشوبها شائب.. لانها العنوان الحي.. ولانها الرمز الواعى لديمومتها وانتمائها.. اكرموا لغتنا.. أكرموها سيدة مستقلة .. ان ذلك حقها علينا.. ولكي لاتضعف او تندثر.

بيت.. بلا نظارة

ضاعت نظارته.. الا انه احتفظ ببيتها في جيبه خاويا خاليا.. لاادري أكان ذلك على أمل ان يجدها.. ام لمعنى آخر في نفسه.. ولطالما اثار هذا تندر الكثير من اصحابه عليه.. الا انه لم يأبه لذلك التندر.. كان يضحك في قرارة نفسه عليهم.. وعلى نفسه.. واصر احدهم على ان يعرف معنى هذا الاصرار على ابقاء البيت الخالي الخاوي في جيبه بدون نظارة.. وكانت هذه النكته..

لقد قال مذكرا صاحبه..

ــ هل تعرف قصة جحا والسمكة.. لقد ذهب جحا واشترى سمكة، ولعدم معرفته بطبخها طلب من البائع ان يكتب له طريقة طبخها على ورقة.. وكان ان استجاب البائع ومنحه ورقة بذلك.. وانطلق جحا الى داره.. وهو في طريقه مر به كلب والتقط السمكة من يده. وفر بها هاربا..

فما كان من جحا الا ان ضحك ضحكة ساخرة قائلا للكلب.. ان ورقة طبخها في يدى ايها الغبى واردف قائلا:

وانا بدوري اقول كما قال جحا للكلب: اقول لواجد النظارة الضائعة

وماذا تفيدك النظارة ان خباءها في جيبى.. ايها الذكي.. تصور مرح.. ذكي.. وساذج

اجمل مافيه أنه يمزج بين الجد والهزل.. حتى على مستوى الفراق بين النظارة وخبائها.. اليس كذلك.

وجه الخير

في أحد الشوارع الممتدة والمكتظة لفت نظري طفل لم يتجاوز بعد العاشرة من عمره.. كان يطبع قبلة حانية على جبين بغله الواقف الى جواره والذي افرغ لتوه نقلته مما حمل..

كان الطفل يردد وبصوت مسموع وكان يعنى بغله الوفى:ـــ

ـــ ياوش الخير..

أي ياوجه الخير..

بهذا الاعتراف المبكر، بل بهذا الشكر وقف صغيرنا امام دابته لاليسومها سوء العذاب ويلهب ظهرها بسوطه.. وانما ليقبلها وانما ليحملها بصوته الشاكر على المزيد.... والمزيد... والمزيد.

وقفة رائعة من طفل صغير ادرك ان العطاء لايقابل الا بالامتنان حتى مع دابته ان لم تكن تفهم كلامه فهى لاشك تفهم معنى قبلته الوادعة الحانية..

وليت الاطفال في عالمنا بهذه الكثرة من هذا اللون..

بل وليت الرجال في عالمنا بهذه الكثرة من عطاء هذا البغل الذي يدك بحوافره الارض ليمنح أهله مايطعمون.... ومايلبسون..

إن حيوانا يعطى افضل من انسان لاله رصيد في حياته الا الاكل والشرب والشخير..

حتى في عالم الارقام فان بغلا كهذا يزيد في خانات الحساب.. وعلى العكس منه اولئك الكسالى من البشر انهم أصفار صغار في خانة اليسار لاتزيد.. ولا تنقص .. لان احدا لايحس بوجودها لانه لاوجود لها.

روافد الفن الثلاثة

الفن.. مجرى.. الفن نهر ممتد تتفرغ منه وعنه روافد تعكس الوانها حسب نوع الارضية التى تجرى عليها مياهه..

الصخري..

الترابى..

الطحلبى..

والفن .. صوت دافق يعكس اوجه الحياة.. ومشارب الناس.. صخبا ورفقا.. تبتلا.. وتوسلا.. حنانا وانينا. وفي عالمنا الفنى العربى روافد اربعة على مااحسب تسبح عبر موجاتها اطياف ورؤى مختلفة

★ الرافد الذي يعكس الآهات.. والحرمان.. يعكس الظلال.. والاطلال يعكس الشموع.. والضراعة.. والتصوف والحب الذي لم يجىء..

★ الرافد الذي يتسلل في حياء.. وخفر ليشكل جدولا رقراقا تتعانق معه اشعة الشمس دون ضباب او غيوم.

★ الرافد الذي يعكس الامومة بكل تحنانها... بكل ايمانها..

★ والرافد الرابع الذي يغازل النجوم.. ويداعبها في صفاء وعذوبة.. كأنه لوحة اقتدت من نور.

في الأول تطل كوكب الشرق أم كلثوم..

وفي الثانى تبرز فيروز شامخة في ارزها .. وعلى قمم جبالها البيضاء المثلجة..

وفي الثالث تهيم شادية في احضان حبها.. وفي تجاويف قلبها النابض بالحنان والحس..

اما الرابع فتتحدث عنه نازك كقطعة من بللور شفاف ابيض هكذا احسب.

على قدر الحال

القرش الواحد بالنسبة للفقير.. اكبر قيمة.. واغلى ثمنا من الالف بالنسبة للموسر..

اذن الاشياء نسبية.. تقاس بالنسبة لاحجامها لا بالنسبة لمعطياتها..
ولقد مرت بى كغيرى تجارب جعلتنى أهزأ احيانا من نفسى.. ومن ترددها.. بل ومن بخلها فى مواقف صغيرة..

ولقد مرت بى كغيرى تجارب ايضا جعلتنى أهزأ احيانا من نفسى.. ومن اندفاعها.. بل ومن اسرافها فى مواقف اكبر..

ولأضرب لذلك مثلا:

فى إحدى حافلات الاتوبيس نقدت المحصل قرشين.. وكانت الاجرة قرشا ونصف القرش.. ولم يهدأ لنفسى قرار حتى أعيد لى النصف قرش الباقى.. لانه في معايير حساباتى شىء ضخم يساوى ٢٥٪ من اصل مادفع .. ومرة ثانية وفى احد المطاعم الراقية كانت مناسبة.. كان الطعام شهيا.. وكان الحفل حفيا.. ولكن الثمن أيضا كان بنفس الوزن.. ومن الثمن كانت الاكرامية ايضا تكفى لركوب حافلة اتوبيس لمدة عام كامل ومع هذا لم اعرها اى اهتمام.. لم اكترث.

المناسبة وحدها.. او النسبة وحدها هى التى تحدد الافتراض.. بين مايدفع.. وما يمنع..

فكما امسكت فى الاولى بنصف قرش وهو قليل تافه.. لم اتمسك فى الثانية ببضع جنيهات وهو كثير اذا ما قيس لنصف القرش.. ولكنه قليل قليل اذا ماقيس بالمناسبة التى دفع من اجلها.

موقد الحب الدافىء

أطول أنواع الحب عمرا هو ذلك الذى يستوى على نار هادئة.

والنار التى أشير اليها هى تلك التى تمنح الدفء وحده ولا تسلم الى الاحتراق بعده..

فالحب إذا كان عنيفا في أوله.. كان ضعيفا في مرحلة مبكرة من عمره. وربما تلاشى قبل أن تورق سنابله..

وقوة الاحراق في الشيء ايذان بسرعة الانطفاء كذلك الحب الذى يبدأ عنيفا جارفا أن مراحل نموه.. ومراحل اشتعاله تعجلان في نهايته.. أو على الاقل، تسلمانه الى التآكل والفتور.. ربما للتبرم والضيق..

من هنا.. فان العاطفة الهادئة في الحب هى اسلم مركب موصل اليه.. واطوع مطية مقربة له.. ومبقية عليه.. انها توزع دفئها عبر مسافة واسعة شاسعة هى العمر كله.. توزعه في هدوء.. بعيدا عن الانفعال والاضطراب بعيدا عن المقالات التى تمتص ذخيرة العاطفة. وتسلمها الى فراغ قاتل

والنار الهادئة فى الحب.. كالنار الهادئة في المطبخ .. انها تبقى على وقودها لاطول فترة ممكنة.. بل أنها مع هذا تستبعد فى نتيجتها خطر الاحراق والاحتراق.. انها تمنح الوقود.. الدفء .. توزعه على قدر الاحتمال المطلوب.. وعلى قدر التقبل المطلوب أيضا..

وما أكثر من أحرقتهم نار الحب الطاغية.. في مرحلة مبكرة من بدائية وما أكثر من منحتهم نار الحب الهادئة دفئا مسترسلا ممتدا عبر حياتهم كلها.

الأمــل

الأمل في اعماق الانسان اقوى من استطاعة التحمل عند صاحبه..

بل ان الامل اقدر على ايجاد التصورات اللا معقولة.. وفي قالب نكاد نعقله بحكم رغبتنا فيه.. واملنا في الحصول عليه..

وفي قرارة نفس كل انسان منا هواجس يغذيها الأمل.. ويمولها جسرا طويلا طويلا لاتكاد تبدو له نهاية.. وهذه الهواجس ترقى الى حد التخيل بامكانيتها.. حتى ولو كانت شبه مستحيلة..

وخذ مثالا على ذلك..

ان احدنا يفكر ان له عمرا قد يمتد.. ويمتد حتى يخترق به اكثر من جيل قادم.. بل انه احيانا يتخيل عمره ظاهرة نادرة تتجدد وتتجدد ولا تتآكل رغم تقدم السنين.. بل ان اسرافه في الامل يدفعه الى افتراض صبياني ان عمره سيظل حيا شاهدا على اجيال قادمة سوف تولد وتعيش وتنقرض..

وظاهرة الأمل الخرافي هي اسعد الظواهر وامتعها في نفسية صاحبها .. ذلك انها تدفعه الى التحرك والعمل بتطلعات ذلك الانسان الذي يريد ان يعيش طويلا طويلا دون ان يهرم ويشيخ.. دون ان يموت.. ولو ان سلطان الموت كشف اوراقه لاحدنا مشيرا الى انه سيلفظ انفاسه بعد مائة عام او حتى بعد مائة وخمسين عاما بالتمام والكمال لتزعزعت في نفسه كل طموحات العمل.. وكل عوامل الاستقرار.. وكل حوافز الاستمرار.. ولراح يعد الايام ويحصيها ولكن في مرارة الانتظار.. وفي تقطيبة الخائف من النهاية.. رغم ان موعدها بعيد بعيد..

وبالامل وحده يسعد الانسان.

اجمل وصفة للعلاج

جاء الي طبيبه المعالج يشكو اليه تسوس اسنانه.. والتهاب فكه..
وسأله الطبيب:

ــ هل انت مسلم..؟

قال نعم!

ــ هل تصلي..؟

قال:

ــ لا افهم معنى لسؤالك يادكتور..

رد عليه الطبيب..

ــ المسلم يصلي.. والذى يصلي يتوضأ.. ولو اننا تمضمضنا خمس مرات كل يوم لوقينا اسناننا كل تسوس واهتراء.. لمنحناها حصانة مستمرة.. تحفظها من شر التآكل..

ومثل الشكوى من اوجاع الفم تأتى اوجاع الراس.. وصداعه.. الزكام.. فلو اننا ايضا تعاملنا مع الاستنشاق خمس مرات كل يوم كما يفرضه علينا الوضوء لأوجدنا جداراً حاجزاً حصينا يقينا شر الجراثيم .. وما يخلفه الغبار في انوفنا من متاعب ومضاعفات..

قال الطبيب المعالج:

وكما ان الاسلام طهارة روحية.. فانه ايضا طهارة صحية تبنى الجسد بالقدر الذى تبنى به الروح..

تشخيص واع من طبيب جمع بين ثقافتين.. ثقافة العقل وثقافة النقل.. وكلتاهما تصب في وعاء واحد اسمه«البناء»..

حين نبكي ونضحك ونحن صغار

ككل اطفال الدنيا.. ابصرته يبكي.. ويضحك حين استغراقه في نومه.. يبكي دون ان يدري لماذا يبكي..

يضحك دون ان يعرف لماذا يضحك.. فما زالت همومه الراعبة لم تولد مع ادراكه.. وما زالت افراحه الواعية مبكرة مبكرة لم تحتل ادراكه..

لماذا يبكي..؟

لماذا يضحك..؟!

بل لماذا الجمع في دقيقة واحدة.. بل لربما في ثانية واحدة بين البكاء والضحك ومازال غير المبكر لم يتعرف بعد على المرئيات من حوله..؟!

تساؤل مطروح.. الا ان الجواب عليه ايضا مطروح.. وربما واضح..

لعل حجب مستقبله تتراءى له عبر منظاره الشفاف الطفل.. تتراءى له راسمة عبر افق خياله الصور الصغيرة خطين متوازيين متلازمين..

خط الأمل.. بكل ما يعنيه من حنان وحب.. من ابتسامة .. وصفاء..

وخط الألم.. بكل ما يطرحه من دموع.. وقلق.. وشكوى..

لعل مستقبله شاء ان لا تفاجئه الايام فتفجعه..

اراد له ان يتذوق التجربة صغيرا..

ان يبكي مبكرا كما لو كان جزءا من رضاعه..

وان يضحك مبكرا كما لو كان يعمر قلبه بأطياف امله وقد شب عن الطوق .. ككل طفل في هذه الدنيا.. انه يواجه مستقبله بدمعة خائفة قلقة.. وببسمة دافئة حانية..

وتلك هي ملامح العمر.. كل عمر .. كل حياة..

حكمة الخيال.. ام حكمة الخبال؟

«خذوا الحكمة من افواه المجانين»

مثل سمعناه.. والفناه.. ولكن هل فهمناه..؟ وهنا بيت القصيد.. اى نوع من المجنون عناه فى حكمته؟ اى معنى؟!

هل ان تلك الظاهرة اللفظية لخبال تداخلت بالنسبة اليه الصور.. والمرئيات فبات يهذى دون ضابط.. او وعى..

ام انه تلك الظاهرة الصوتية لخيال واسع الافق بلغ من سموه.. وعمقه ونضجه.. ان الفهم العادى بات امامه عاجزا. بل ومستنكرا ورافضا؟

هل انها كلمة الخبال؟

ام انها حكمة الخيال..

الخبال لم يعط حكمة لانه صدى انفعال مشلول الحركة.. معتل البنية.. اما الخيال الواسع بآفاقه المجنحة.. وبصوره العميقة الغور فانه يبدو امام عجز الفهم القاصر ضربا من الهذيان المحموم او المجنون.. الذى يثير المساءلة.. واحيانا ضحكة الفهم المغلق.. وتندره الساذج من هنا فان الحكمة لايمكن ان تصدر عن مجنون ابدا.. وحين تصدر فانما فيلسوف بعدت المسافة بين تصوراته.. وفهم الآخرين لهذه التصورات..

وكثيرون تحكم عليهم مجتمعاتهم بالجنون لانهم شذوا فى فهمهم.. او فى نطقهم .. لو فى نمط حياتهم عن غيرهم.. ومع هذا فان اسماءهم فى سجل العقل والحكمة تبدو لامعة خالدة كخلود الفلسفة نفسها.. لانهم اكبر.. اكبر من النظرات القاصرة نحوهم لانهم عباقرة من افواههم تندفع الحكمة.. الحكمة الساحرة..

سجن بلا أسوار

هل ان المساجين فقط أولئك الذين يقبعون خلف زنزاناتهم الضيقة ووراء قضبانها الحديدية الغليظة ؟!

لااظن..

فهناك مساجين.. ومساكين اسرى قيودهم الغير منظورة يتحركون في فناء سجن الحياة الكبير دون ان نلتفت اليهم..

○ أسير الشك سجين حتى يجد اليقين..
○ أسير الخوف والقلق سجين حتى يتحرر من شبحهما..
○ أسير الجوع سجين حتى ترفع عنه الظلامة..
○ أسير الدين ـــ بفتح الدال المشددة ـــ سجين حتى يقضى دينه..
○ أسير الكلمة سجين حتى تجد الكلمة منفذها الى فمه او قلمه بدلا من قلبه..
○ أسير الشهوة سجين حتى ينفك من عقالها..
○ أسير الظل سجين حتى يتعرف على صورته..
○ أسير الشهرة سجين حتى يتعرف على موضع اقدامه دون تعال..

نماذج من اسرى سجن العالم الكبير.. يتحركون ويتحركون.. ولكنهم مساجين وراء اسوار من مشاكلهم وعقدهم لا نراها.. ووراء قضبان من مآسيهم لا نبصرها..

ومع هذا فان البعض منهم يرفض ان يقال له انك سجين حياتك او سجين عاداتك..

الاعتدال .. والتطرف

وكما ان الاعتدال في العلم يزيد في زخم الحياة. ويدفع بعجلتها الى الامام. فان التطرف فيه يوقف ذلك الزخم. بل انه يقوضه.. ويحول عوالمه الى معالم.

لقد اعطى العلم للحياة كل عناصر الثبات والتجدد.. كل مقومات الابداع والتطوير..

استطاع ان يجتاز الفضاء لما هو ابعد من الفضاء.. استطاع ان ينزل على القمر.. وان يعبر كواكب المريخ والزهرة وعطارد يكتشف أسرارها.. ويجلو اخبارها

استطاع ان يستمد من الشمس الطاقة الحرارية التى تضفي الدفء.. بل وتشيع النور.. وتدير المحركات..

استطاع ان يقهر اقسى واعتى انواع الامراض بما اودعه الله له من علم ودراية..

استطاع ان يصنع من الحديد مطية تخترق به الارض.. وتعبر به الجو.. وتغوص به في اعماق المحيطات..

ولكن.. ماذا عن الوجه الآخر البشع.؟!

ماذا عن اجهزة الدمار ماذا عن. القنابل والصواريخ بكل أحجامها واسقامها.. ماذا عن المآسى التى يخلفها العلم المتطرف.. متحدثة عن وحشية الانسان اللاحضارى الذى سخر طاقاته وقدراته لزرع بذور الموت وجيوبه وحبوبه القاتلة..؟

وجهان للانسان.. احدهما بظلاله القاتمة عبر نافذة الضوء المتسللةمن الجانب الثاني.. لكي يطمس التطرف كل ضوء هادىء أشاعه الاعتدال في قواميس العلم.

ما نصنعه .. وما نجمعه

هناك فارق كبير بين ما يؤلف وبين ما يجمع على حساب التأليف في عالم الفكر..

واشعر اننا نعاني اليوم من تسارع في جمع تراجم.. ومقتطفات من بعض عطاء لكتابنا وشعرائنا.. وبشكل مكرر لا يقدم الجديد.. وانما يكرر القديم..

وهذه الظاهرة الجديدة لا ادري لها معنى الا ان تكون امتطاء موجة الظهور.. او امتطاء مركبة الجمع المادي ليس الا.. دون الاخذ بعين الاعتبار العنصر الاساسي مما يقدم وهو المضمون للفكر عبر دراسة عملية لن تضيف اليه رؤى جديدة.. او على الاقل تبرز مافيه من خصائص وملكات.. والمضحك فعلا ان يعمد ذلك الجامع للتراجم.. او لتلك المقتطفات الفكرية.. ان يعمد الى وضع نفسه مؤلفا بهذا الكتاب.. وهذا خطأ مفضوح لا يقره السلوك الادبي مهما كانت مكانة ذلك الجامع.. لانه جامع فقط..

ولقد احتلت ارفف مكتبتي عدة كتب كل حصيلتها العلمية جمع تراجم.. وجمع قصائد شعرية لاتختلف عن بعضها في شيء.. بل لا تقدم في حصيلتها اي شيء جديد.. وكلها من تأليف فلان.. فلان.. وعلان..

ولقد ذكرتني هذه الظاهرة الجديدة في عالم الكتب بظاهرة المكاتب العقارية.. وبظاهرة البقالات التي بدأت يتيمة.. وما ان فاح ريح ربحها حتى انتقلت العدوى وبشكل محموم لتملأ كل الشوارع.. ولتحتل كل الطرقات والازقة..

لا..

ليس المطلوب ابدا ان يكون تأليفنا مجرد جمع ميت للعطاء.. وانما الطرح والدراسة لهذا العطاء.. والا فان ما يقدم على النحو لايعدو ان يكون حانوتا للتجارة يقف الى جوار الف حانوت آخر يقدم نفس البضاعة.. ونفس السلعة.

الكفاية وحدها

الثروة كما أفهمها وسيلة لاغاية..

والثروة كما أفهمها ايضا كفاية.. وما تجاوز هذه الكفاية فهو مجرد ارقام لاتقدم ولا تؤخر..

بل لعلها في احيان كثيرة تضر صاحبها عن طريق اشغاله.. واشقائه..

وبعملية حسابية.. فان عشرة ملايين ريال.. في تصوري الخاص تعادل في كفايتها العشرة بلايين.. اذا ما اخذنا في الاعتبار مردود هذين الرقمين على ضوء احتياجها اليومى ـــ الضروري والكمالي ايضا ان العشرة ملايين ريال اذا ما استثمرت استثمارا متواضعا لاركض معه سوف تعطى مردودا سنويا مليون ريال بالتمام والكمال أى ثلاثة الاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ريالا.. وثلث الريال يوميا.. دون ان ننال من رأس المال او نعرضه لاى نقص

واذا مااستبعدت بعض اولئك الذين لهم مسئوليات مادية كبيرة وهم قلة فان الواحد منا لن يقوى مهما اوتي من قوة وشراسة في الصرف على التهام ثلاثة الاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ريالا وثلث الريال حتى لو اضطر في بعض الاحيان ان يلتهمها أوراقا لا ارزاقا..

اذا فان العشرة ملايين توازي العشرة بلايين من ناحية الكفاية. وتأمينها للتطلبات والحاجيات.

انا اعرف ان الكثير ممن قد ينقل له هذا الرأى سوف يضحك.. ربما هازئا .. وبما متندرا وربما مشفقا

ولكن. ومع كل ذلك فان الثروة اذا ما تخطت حزام الامان وخطر

المعمول وتجاوزته من دنيا الاحتياج الى دنيا الاجتياح فان جحيما من شقائها سوف ينفجر.. وسيكون جامعها هو أول المكتوين بنار ذلك الجحيم.. حتى لو انكر. وحتى لو تندر وكان الله في عونه.

الخوذة الرهيبة

لعل من أكبر مساوىء الأنظمة القائمة على انقلابات عسكرية انها تدير عجلة حكمها بقسوة لاتعرف الرحمة.. بل وفى أحيان كثيرة لا تعترف بصوت العقل والمنطق.. وإنما تنطلق فى ممارساتها عبر بحر من الدماء.. والثأر.. وكبت الحريات.. حتى بعض تلك الأنظمة العسكرية التى قامت باسم القضاء على الفساد.. وعلى الدكتاورية وقعت فى نفس الغلطة.. والأخطاء لمن سبقها.. فلم تصلح فساداً.. وأبدلت دكتاتورية بأخرى.. وان تغيرت واجهات ومسميات الحكم.. ولافتاته..

ولعل أكبر دليل على ما عنيت هو تلك الموجة من الاعدامات التى تتداخل قضاياها.. وتختلط أسبابها ودوافعها الحقيقية الظاهرة والمبطنة.. مابين قتل سياسى مرده خوف الحاكم من قوة خصمه.. وان كان الاجهاز عليه جاء وراء خلفيات تهم غير واضحة.. بل غير مؤكدة.. وبالتالى فهى مصدر شك وادانة لمرتكبيها.. وما بين قتل مرده الثأر .. والقصاص.. وامتصاص النقمة..

والذى يعنينى فى هذه الكلمة هو أن الاعدامات فى حد ذاتها اذا ماتوفرت لها أسباب الادانة ونزاهة القضاء وحرية الدفاع شيء لا اعتراض عليه.. ذلك أنه يأخذ مجرى مشروعا.. بحكم تواجد الأدلة المبررة للقصاص..

أما أن تكون الاعدامات عن هوى النفس.. دون اتاحة حرية الدفاع. فأمر أقل ما يقال عنه أنه تنكيل بالخصوم.. وازهاق أرواح لم تثبت بعد ادانتها.. حتى لوكانت تستحق الادانة..

ولقد علمنا التاريخ أن الحكم الذى يريق دماء الأبرياء يغرق فى تلك الدماء دون ابطاء..

ولقد علمنا التاريخ أيضاً أن الحكم الذى يبنى قواعده على جماجم الضحايا سرعان مايهوى ويتلاشى على وقع ردة الفعل.. وعلى واقع القتل..

والقاتل يقتل ولو بعد حين..

جائزة.. وجوائز!

جائزة لاكبر صلعة.. وقبلها جائزة لاكبر ارهابي في التاريخ المعاصر .. ولا ادرى ماذا تخبىء الاعوام .. او الايام القادمة من جوائز لعلها لاتخرج كثيرا عن دائرة التخبط في مسار التاريخ.. ومضامين العقل.

واذا كانت الصلعة.. واذا كانت جائزتها امراً يشد الى الندرة.. وربما الى الضحكة المسلية باعتبارها نوعا من التعويض عن شعر تآكل مع خريف العمر لاذنب لصاحبه فيه.. فان جوائز على مستوى التهريج.. وعلى مستوى الدجل.. وعلى مستوى الارهاب امر فيه الكثير من القتل للكبرياء.. ولكرامة الانسان ذاته.

ومن يدرى فقد يفاجئنا الغد بجوائز غير جائزة بالطبع..

جائزة لأقبح صوت..

جائزة لادمم صورة..

جائزة لصاحب الرقم القياسي في الكذب.. او النفاق.. او.. او..

لقد تعلمنا مع الايام ان مسار الضمير ينحدر نحو هوة لها عمق المأساة.. دون ان يلتفت الى وخزاته.. وكأنما العالم بمعاييره اللاحضارية الجديدة ابى الا ان يطوقه.. ويخنقه.. ويلقي به في مضارب التخبط والتيه.. فاقد الوعي مشلول الحركة.. ميت الحس..

والمطلوب ان نجد جائزة لمن يكون«انسانا»..

حين تغتال الكلمة

ايهما اعتى وانكى للجرح..؟
اغتيال الجسد؟!
أم اغتيال الكلمة؟!

الذين يبصرون دروبهم بأبصارهم فقط يعتقدون الاول، لان فى موت الجسد نهاية لمتعة استوطنوا عليها.. لانفاس لهثوا من اجل استمرارية لهثها، لانها لون محبب من المعاناة الشقية فى حياتهم .. الشقية فى جسدهم..

اما اولئك الذين يبصرون دروبهم ببصائرهم.. بأبعاد تلك البصائر.. فانهم ياخذون باغتيال الكلمة.. لان فى موت الكلمة فى حسبانهم نهاية مفجعة لحياة صاحبها حتى ولو كان على قيد الحياة.. لان صمته مختارا.. او محتارا.. او مكرها لون من الموت المريع الذى قد يتجاوز فى مأساته احتضار الجسد لحظة نهايته..

والذين تنتهى حياتهم بانتهاء انفاسهم اشبه بقابلة عبرت دربها حتى النهاية.. ثم اناخت فى نهاية المطاف لتبدأ نقلة جديدة غير متطورة.. نقلة حياة اخرى.. بعد حياة افلت شمسها.. وعلى النقيض يأتى اولئك الذين انتهت حياتهم بانتهاء احساسهم انهم اشبه بالأرجوز الذى يتحرك عبر خيوط تشده وعبر اصوات لاصوت له فيها..

ومن الخير ان تبقى الكلمة امينة.. قوية.. صادقة.. بناءة وجسورة.. ان لانغتالها باليأس.. او بالخوف.. او بالصمت لان فى اغتيالها اغتيالا للحقيقة.. وربما للحق..

السعادة نسبية

قال لصاحبه وكان يحاوره..

ـــ انك تملك من المال ايسره..

ومن العمر اقصره فقد تخطيت الخمسين.. ومع هذا فانت القادر.. بل والمحتاج الى ان تعيش حيث ترتاح نفسك..

حيث الارض خضرة..

حيث الماء جداول..

حيث الجبال تيجان من الثلج..

حيث الناس نظام لا يمل..

انك هنا وفي هذه المدينة الصاخبة بغبارها.. وضجيجها.. بصراخها وصدامها.. بمفارقاتها.. وتناقضاتها.. حيث الانفاس تكاد يخنقها الزحام.. وحيث الشكوى مع كل حركة.. وحيث الاعياء مع كل حاجة..

الست محقا في قولي انك في حاجة الى نقلة تسعد بها.. وترتاح لها أعصابك بقية عمرك.. لو كنت في مثل يسرك.. ولو كنت في مثل عمرك لما ترددت ساعة واحدة في ان اختار..

والتفت اليه صاحبه .. قال:وهو يمسح بقايا من غبار عالق بأهداب عينيه.

ـــ ولمن تريدني ان اترك هذا الصخب.. وهذا الغبار.. هذا الضجيج.. وهذا الزحام.. لقد تعودت عليه.. ألفته.. اصبح جزءا من كياني.. من حياتي.. من كل ساعاتي. انه بالنسبة الي مثل البحر

بالنسبة للأسماك.. صحيح ان في بلاد الله الواسعة ماهو ادعى الى الراحة.. واجذب للنفس.. ولكن طبيعة الاشياء تفرض نفسها.. دون ان تترك مجالا حرا للاختيار..

صدقني ان نظرة مني الى زحام الشارع الطويل المكتظ بالعربات.. وبالمارة.. وبالغبار أسرع الى خاطري من اطلالة على بحيرة يغرقها الصمت وتلفها الغابات.

هكذا تعودت

المعادلة المعروفة

ما زاد عن حده .. انقلب الى ضده..

معادلة معروفة.. والكرم كما يستسيغه المنطق هو ذلك الذى يمتد امتدادا متوازيا مع الحاجة والضرورة.. بحيث يحقق الكفاية.. او ما زاد عنها بقليل فلا يتعدى ويتجاوز الحدود المعقولة الى مفهوم الاسراف والتبذير

واعترف .. ويعترف الكثيرون غيرى اننا ما زلنا نعانى من عقدة الاسراف في الكرم.. الى الحد الذى يدفع بالواحد منا الى اقامة وليمة ضخمة تكفى لاشباع مائة شخص من اجل عشرة اشخاص.. بل وربما اقل..

والذين يعبرون طريق خريص.. وبعض الطرقات يشهدون اكواما من اللحم والارز ملقاة هنا وهناك تشكل نفايات قاتلة للصحة.. واهدارا قاتلا للمال..

وغير هذا. وذاك تكون سببا فى ارتفاع أسعار اللحوم وغيرها لكثرة ما ينفق منا وينحر على مذبح الولائم المجنونة..

ان خصائص الكرم اكبر من أن يتحملها تباهينا بما نستهلكه دون ضرورة او مبرر ذلك أن الانفاق حين يتجاوز حدود المعقول يتحول الى ضرب من التسيب المادى والاجتماعى يطول بأذاه الآخرين بشكل مباشر او غير مباشر.. ان الاعتدال في كل شيء حتى في الكرم أمر مطلوب اذا ما أردنا أن نوجد توازنا سليما يحكم مجتمعنا.. ويقضى على تناقضاته الصارخة التى تعطى فى حصيلتها المرارة.. والكراهية.. واحيانا القتل لخصائص الانسان العاقل.

إعلامنا .. والجريمة

طفل عمره ١٢ عاما يسرق الفى جنيه من والديه ليس هذا فحسب.. وانما ترك في منزل والديه خطابا موجها الى والده يفيد باختطاف الابن موقع عليه باسم« الرابطه » تعلن فيه مسئوليتها عن خطف الابن عماد..

خبر نشرته اخبار اليوم بتاريخ ٨ ــ ٨ ــ ٩٨. وهذا الخبر عادي جدا اذا ماقيس بحوادث واحداث السرقات..

ولكن الذي يشدني الى هذا الخبر هو ما انتهى اليه التحقيق بعد العثور على الابن مختفيا لدى احد اصدقائه...

لقد اعترف الطفل الصغير انه كان مغرما بقراءة الروايات البوليسية.. وبمشاهدة الافلام المثيرة.. وانه رسم خطة الحادث بقصد التأكد من قدرته على حبك الرواية.. طبقا لما قرأ.. وشاهد...

وهنا مكمن الخطورة على اطفالنا.. وعلى نشئنا..

ان سيلا جارفا من هذه الروايات يصل الى مكتباتنا تتلقفه الايدى الصغيرة وتستوعبه في شراهة.. وفضول.. ومحاكاة..

وان برامج اذاعية.. وتلفزة.. وافلاما.. تشد اعصاب اطفالنا وتثير في مكامنهم الرغبة فى الثأر.. وفي اللكم وفي المصارعة.. وفي اختلاق المقالب.. وتقليد ابطال الروايات الشريرة.. حتى لكأن الطفل يحس ان مايفعله عن الرجولة.. وان ماينقله اليها هو ان يتصرف باسلوب شيطاني مخادع.. وماكر.. كذلك البطل الذى سرق .. أو كذلك البطل الذى صرع..

او كذلك البطل الذي اثار ببهلوانيته انظار المشاهدين...
مانرجوه ان نحمي اطفالنا وهم صغار مما لانطلبه لهم وهم كبار.
ان نحميهم من كل مؤثرات العنف والجريمة .. والتقليد الاعمي..

في بيوتنا مظلومات

في بيوتنا مظلومات

نحاسبهن دون ذنب.. ونعاقبهن دون جرم..اما السبب فلانهن لاينجبن اطفالا بالمرة.. او حين ينجبن فانهن لاينجبن الا الاناث..

وكأن الزوجة المسكينة الغلبانة هي التي تختار. وهي التي تقرر عدم الاخصاب او لون الانجاب

وماذا في يدها حين نعاقبها على كل هذا تارة بالطرد واخرى بالاهانة والازدراء.. لون مقيت من اساليب الفهم.. واساليب التعامل مابرح يكمن في بعض علاقاتنا الاسرية. ينغص عليها عيشها.. واستقرارها... واستقراءها للحياة.. واحمد الله انه ليس بالكثرة. الا انه موجود وهذا يكفي لتناوله في هذه الحلقة.. بعد ان طفت على السطح عدة حالات طلاق او مشاكل مردها البحث عن أولاد مع زيجات جديدة.. ومردها البحث عن ذكور مع زوجات جديدة قد يكون الامر مقبولا لو كان علاجنا لهذا الوضع عن طريق الزواج من ثانية بعيدا عن تحطيم مستقبل امرأة لاذنب لها في كل ماجرى.. اما ان نلقي على كاهلها كل التبعات وان نقتص منها طلاقا او ايذاء لسبب لاذنب لها فيه فأمر يدعو للاسف والاسى..

ان الزوجة شريكة حياة.. قبل ان تكون مزرعة تفريخ.. والاولاد مطلب اساسي لكل زوج وزوجة دون استثناء... الا ان العقم يجب ان لاتدفع ضريبته المرأة وحدها.. بمعنى ان يحتفظ لها زوجها على الاقل بشيء من التعامل الكريم.. يصون لها مشاعرها.. وحتى لو تزوج من

اخرى بحثا عن اولاد.. او بحثا عن ذكور.. ذلك ان المرأة انسان يمثل نصف حياة الرجل.. ويملك كل مشاعر التأثر والانفعال. ورفقا بالقوارير كما يقولون حتى لاتتحطم.

منطق الاقناع

اروع مافي الاقناع أن يكون المنطق أولى درجاته والموصل اليه.. ولكي نكون صادقين ومقنعين ومقتنعين فان علينا ان نتخذ اسلوبا غير مميز ولا متحيز لاولئك الذين نتخاطب معهم ونتعامل معهم..

ذلك ان التقبل للاشياء عن كره.. وفي غير قناعة يتحول الى رفض للاشياء يصعب معه مرة اخرى الدفع الى الانقياد والتصديق مرة أخرى.

ومما حكاه الي احد الاصدقاء كان موضوع هذه الحلقة.. قال لي: انه سمع احد رجال المرور يتحدث في مكرفونه امام احد تقاطع الشوارع:

قائـلا:

ـ انت يارعي المورسيدس من فضلك تحرك. وانت ياراعي الداتسون يا(....) والكلمة معروفة تحرك بسرعة. الاول من فضله، لانه يمتطي سيارة كبيرة غالية اما الثانى فقد نعته بما لايصح ان يقال.. لانه يمتطي سيارة صغيرة رخيصة..

يجب ان لانميز في قاموس الثواب والعقاب بين شخص غني وآخر اقل غنى.. ذلك ان القانون فوق الجميع. ومن اجل الجميع . وحتى كرامات الافراد يجب ان تكون متساوية

ولو انصف الناس لاستراح القاضي

سيارة لكل عام..

جاء الى والده وقال:

ـــ اريد يابابا ان اغير سيارتي؟.

وسأله ابوه..

ـــ ولكنها لم تكمل السنة لديك.. انها جديدة..

ونظر الابن الى ابيه.. وقال:

ـــ ولكن موديلها قديم.. ونوعها دون نوع سيارة زميلي فلان... وزميلي فلان.. وجاري فلان.. انهم يملكون سيارات من ماركات كذا.. وكذا.. وكذا.. وانا لااملك الا سيارة من ماركة مازدا.. ان ذلك شيء يضايقني امام زملائي بل ويحرجني.. ويشغل بالي حتى عن مذاكرة دروسي..

والتفت اليه ابوه وفي عينيه يتحدث استنكار قاتل.. قاتل.. وقال

ـــ ولكن السيارة صنعت وسيلة للايصال انها ذاتها ليست غاية ليست تحفة توضع على رف.. او لوحة تعلق على حائظ .. ومع هذا فان سيارتك مظهرا ومخبرا مقبولة.. بل ان هناك الكثيرين والكثيرين جدا يحسدونك عليها..

وكان جواب الابن..

ـــ وانا ايضا يابابا احسد زملائي على سياراتهم الاحسن.. انهم زملائي في المدرسة.. انهم المجتمع الذي اعيش فيه.. ولايمكن ان اكون متخلفا عنهم لا في سيارتي ولا في مظهري.. انني اتطلع الى من سبقوني.. لا الى من سبقتهم.

ـ المهم ان لاتكون متخلفا عنهم في دراستك .. وما عدا ذلك فقشور صنعتها المدنية المادية الزائفة التي قامت على المظهر وحده دون الاخذ بالمخبر.. والمخبر يا ولدي هو المهم.. هو الضمان.. وصمت الابن.. وربما فهم عن والده.. وربما لم يفهم.. وربما رفض ان يفهم .. لان سيارته المازدا (القديمة!!) ذات العام الواحد لم تعد صالحة بالنسبة اليه .. لان الزمن تخطاها بعام واحد يا للهول.

الوجه الخفي

المتشككون لايقرأون مافي الصحف
وحين تسألهم عن دوافع العزوف واسبابها يقولون:
ـ ان ماينشر في الصحف ليس هو الصحيح .. ان مايقال عن الاحداث ليس هو الواقع.. بل ان مايحكى عن الاتفاقات او الوفاقات ليس الا مجرد طلاء خارجي يخفى وراءه الكثير من الاسرار..
اكثر من هذا يقول المتشككون:
ـ ان حاسة الشم التى يجب ان نصدقها هى تلك التى تلتقط خبرها مما يدور وراء الكواليس.. وخلف الحجرات المغلقة. والتى قد تتسرب الى البعض عبر همسات لاتسمع.. وعـــبر نبرات لا تصل الا آذاناً محدودة.. محدودة..
اكثر من هذا يقول المتشككون:
ـ ان الخبر الصحيح هو مالا يعطى لك رخيصا عبر صفحة تقرأ.. وانما عبر رسالة مختومة بالشمع لاتصل اليك.. بل تصل الى غيرك ممن لا يبيحون بالسر.. لايتكلمون اكثر من هذا
يقولون:
لو اسفر التاريخ عن نفسه وتحدث لقال:
«ان وجهي المنظور هو غير وجهى الحقيقى.. اننى شيء آخر لم يقرأ بعد.

حين يستهوينا المديح

احيانا نبدو كالاطفال الصغار.. نزهو على المديح.. نتعاطف مع الاطراء حتى لو كان كاذبا.

احيانا نصدق بالنسبة لنا مالايصدق.. ذلك ان وعاءنا في الاستيعاب دون وعينا..

جربت هذا مع ذاتي.. جربت هذا مع الذين يتخاطبون معي في مديح كاذب.. او على الاقل مديح مفرط في المغالاة والاسراف.

انني لا اكاد ابصر الارض من حولي زهوا.. بل ان تصوراتي المجنونة تخيل الي في وهم ان كل من التقي بهم ممن اعرف وممن لااعرف يشخصون بأبصارهم نحوى في اعجاب.. وكانما أنا مولود خارق القوة.. خارق الذكاء.. خارق التفكير..

مركب نقص نعانيه.

مركب نقص حين ندعي ماليس لنا.. حين نفترض لانفسنا مالا نملك.. حين نصبغ الواقع ونمزجه باوهامنا كطلاء لابد منه..

بل ومركب نقص حين نغالي في اعطاء الغير مالا يستحقون.. او ماهو اكبر من حقهم. وتحملهم

ولكن.. ومع هذا.. وبدون هذا ايضا فان في اعماق البشر بقايا من سذاجة طفولتهم تدغدغهم .. وتثيرهم وتستثيرهم. تذكرهم مهما قطعوا من مرحلة اعمارهم.. انهم مابرحوا اطفالا كبارا.

الذين يزرعون والذين يحصدون

عامل يشق بمنجله جبين الارض ليستقبل سنبلة.. احب الى قلبى من عالم يوظف عقله لصنع صاروخ او قنبلة..

هذا يزرع الحياة.. وذاك يزرع الموت..

هذا يحصد الجوع.. وذاك يحصد الجموع..

هذا يصنع البسمة على شفاه الجياع.. وذاك يصنع اليتم.. والمأساة.. والدمار على صقاع الارض.. وشتان بين يد تعطي.. واخرى تسلب.. بين كف تمنح.. واخرى تجرح..

وما اقسانا! إن نظرتنا الى تلك السواعد الفطرية اللاهثة.. وهي تحرث وتزرع.. من اجل ان تمنحنا ما نطعم.

ان نظرتنا اليها لا تخلو من صغار واحتقار .. وهذا لعمر الحق منتهى التجني والظلم في حقهم..

والذين يزرعون الحقل .. مثلهم اولئك الذين يشيدون البناء.. مثلهم اولئك الذين يجهدون طاقاتهم لاسعاد غيرهم.. انهم اللبنات الاساسية التي تتكون منها بنية المجتمع.. بل انهم اساسات تلك البنية.. وقواعدها الراسخة الشامخة..

وما اروع امة انصفت العاملين فيها.. المنتجين لها.. والقائمين على نمائها.. وبقائها.. وما اروعها وقد انصفتهم.. على الاقل ببادرة احترام تجفف شيئا من عرقهم .. وتخفف بعضا من تضحياتهم الكبيرة من اجلنا.

فتش عن الفقر

حيث يوجد الفقر تولد المتاعب..

الجريمة تستقر في معظم الحالات وتستوطن في اعشاش الفقر لتفرخ. وتوزع فراخها بعد ذلك عبر المسافة المحيطة بها.. وعلى امتدادها..

الفقر حاجة.. والحاجة ملحة تدفع بصاحبها الى البحث عن رغيف او ما هو اكبر من الرغيف بشتى الاساليب.. وبمختلف الصور..

وحيث لايكون الباب مفتوحا.. وحيث لا يكون المطلب متاحا.. فان دوافع الحاجة.. وربما مبرراتها تدفع بصاحبها الى مركب العنف والوحشية.. حيث الاحتيال .. والسرقة.. والقتل.. واذابة الشعور بالكرامة.. حيث الاستجداء.. والاستخذاء.. واراقة دم الوجه...

وعلى امتداد مساحة الكرة الأرضية يكاد لا يجد العنف مايستوطنه ويفرخ فيه غير تلك الزوايا الضيقة المعتمة المتهالكة من الارض التي تئن بمحروميها.. وبجياعهم.. لتوافر مناخ الاستجابة له بحكم ظروفها القاسية.. الساخطة.. المتمردة .. ولو عمل العالم .. وهو القادر العاجز.. القادر بامكانياته.. العاجز بارادته لو عمل على رفع المعاناة عن المستويات المسحوقة الموزعة بكثافة في كل اصقاع الارض بقاراتها الخمس... لو انه عمل — وهذا مجرد تمن — لنسف مستودع الذخيرة الضخم الذي تستمد منه الجريمة كل وجودها ووقودها.. ذلك ان الفقر لاعيش معه.. ولا امن معه.. بل واكاد اقول، لاحب معه وكاد الفقر ان يكون كفرا.. وصدق امير المؤمنين عمر بن الخطاب حين قال قولته الخالدة المأثورة:

«لوكان الفقر رجلا حيا لقتلته»

او كما قال.

المريض في أخلاقياته

انكى من الجرح ان يكون القائم على علاج ذلك الجرح يحتاج الى علاج.

اخطر من مريض يعاني السقم في جسمه ان يكون طبيبه المعالج يعاني من مرض في انسانيته.. في رحمته.. وفي سلوكه مع ضحاياه.

المريض في جسمه قد يبرأ.. ولكن المريض في اخلاقياته قد يكون اكثر صعوبة . المريض في جسده معروف لا يحتاج الى تعريف.. اما المريض في سلوكه فان له حالات عدة كلها لها لون الخطر.. ومذاق المر..

ــ حالة الوهم الذي يزرعه بعض الاطباء في نفسية مراجعيهم ليشدوا اليهم في علاج متواصل يمتصون عن طريقه حصيلة جيوبهم.. ونبضات قلوبهم ايضا..

ــ حالة الاستخفاف بذلك المريض حيث تعطى به الوصفة بشكل اعتباطي دون فحص .. او دون فحص جيد.. بل واحيانا دون استقراء لعوامل شكواه لكسب المزيد من مريض مراجع آخر..

وفي عالم المرضى والمعالجين الكثير الكثير من الحكايات لعل من أطرافها قصة ذلك المريض من احد البلدان العربية الذي قرر اطباؤه انه مصاب بمرض السرطان وكان ان انتقل الى بلد آخر ليفاجأ بتقرير جديد يؤكد انه يعاني من تدرن رئوي لا من مرض سرطان.. وقادته خطاه اخيرا بحثا عن العلاج الى مستشفى«ولنجتون» في لندن ليفاجأ بتقرير ثالث يقول:

«كان يعاني من عارض مرضي بسيط وزال»

من حافة القبر حيث السرطان.. الى شبح السعال والهزال حيث السل.. الى نافذة الامل حيث الشفاء.. كانت نقلة مريضنا في اقل من شهر.. وما اكثر الرحلات وما اقساها وما اغربها في عالم المرضى والمشخصين لامراضهم.

ليس بينهم خيار

حزينا.. هكذا رأيته..

مضطربا.. هكذا احسسته.. وحين سألته كانت عبارته اللاهثة المنهوكة.. ــ لقد قال لي الطبيب ان حياته ميئوس منها.

قلت:

ــ من تعني..؟

اجاب:

ــ ولدي علي، انه الآن يرقد بين الحياة والموت.. لااكاد اطيق ان ارى جفونه المورمة.. لااكاد اطيق انينه.. لااريد ان اسمع نبرات صوته المتوسلة الراعشة..«بابا» وددت لو افتديه بأخوته واخواته التسع.. بنفسي.. بكل شيء مالي..

وصمت .. كان كل شيء ينعكس على وجهه .. مأساته.. اضطرابه.. خوفه.. وتذكرت كيف تكون انفعالات النفس لحظة معاناة .. كيف تكون جامحة وفدائية الى ابعد حدودها .. وقلت في نفسي هل صحيح ان احدنا يمكن ان يقدم اولاده التسعة فداء لولد بات ميئوسا من حياته؟ ام انها لحظة التشبث بالحياة لذلك الصغير المريض.. لحظة التشبث التي انسته كل شيء الا ان يبرأ وبأي ثمن كان.. بأي ثمن..

صحيح ان الأرواح تفتدى بالمال.. ولكنها ابدا لاتفتدى بأرواح تجانسها مكانة وقدرا. ولكنها عاطفة الاب الذي شارف ابنه على الموت وتمنى انقاذه.. نفس الكلمة التي سيقولها لو ان واحدا من اولاده

التسعة تعرض لما تعرض له ولده العاشر.. ان منطق العاطفة المقلوبة على امرها.. المنطق الذي يقول ان احب اولاد المرء اليه الغائب حتى يعود.. والصغير حتى يكبر.. والمريض حتى يشفى..

والاخير بالنسبة اليه هو بيت القصيد لانه المريض.. اي لانه الاحب.

ماذا تعني الوظيفة؟!

الوظيفة خدمة وعطاء لم تكن ابدا منة ولا تحكما.. او تعاليا..

وكثيرون للاسف يركبون موجة الوظيفة ومطيتها في خيلاء ومكابرة.. ويكادون لا يبصرون ما حولهم من فرط نشوة الغرور.. والعجب وكأن الوظيفة فى حسبانهم صك غفران منفرد في عالم غارق بأوحاله.. وآثامه..

ونظرة واعية لو استنطقناها في اعماقنا لدلتنا على ان الموظف — كل موظف — جاء لخدمة مواطنيه.. لتذليل مشاكلهم.. للسهر على ماهم في حاجة اليه فيما يرتبط بمسئوليته وعمله والتزاماته الوظيفية.. ذلك ان الوظيفة في مدلولها خدمة شريفة كريمة تربط بين صاحبها وصاحب الحاجة.. الى النتيجة المتوخاة..

وكثيرون آخرون مارسوها عن غي..

والمحصلة بعد كل هذا ان من اعطى كان على قدر العطاء ذكرا وشكرا.. ورصيدا دونه رصيد المرتب.. ورصيد المرتبة..

اما ذلك الموظف القابع في برجه العاجي.. الذي يرى فى مراجعيه اشياء صغيرة لاتستحق الاهتمام فان سقطته وان طال بها الانتظار لابد ان تأتي.. وحين يسقط فسيجد انه سقط لوحده دون ان تمتد اليه يد لانتشاله.. حتى ولو حمل معه في سقطته عشرات الملايين او مئات الملايين من النقود.. انها لن تجذبه لانه دون ثروة اخلاق.. دون ثروة صداقات تحميه شر السقطة.

حين يشتعل الرأس شيبا

ودون ان يدرى امتدت الى رأسه انامل طفلته الصغيره لتستل من بين شعره شعيرة بيضاء اشتعل شيبها.. ثم ناولتها له..

قائلة:

ــ لقد انتزعتها يابابا حتى لايقول عنك الناس انك عجوز.. وفطن الاب الى ماتعنيه طفلته واخذ الشعرة من يدها. وضم صغيرته اليه فى حنان ثم قال وهو يقبلها..

ــ ابدا.. ابدا يابنيتى.. اننى لست عجوزا.. اننى مازلت شابا. ولكن الصغيرة لم تقتنع.. او هكذا من سؤالها:

ــ ولكن اولاد الجيران يقولون أن المشيب في الرأس علامة الكبر.؟

هل هذا صحيح يابابا

ولم يجد ابوها البد من أن يجيبها..

ــ هذا صحيح يابنيتي.. فبياض شعر الانسان كاصفرار سنابل القمح.. انه ايذان بمرحلة الخريف بالنسبة لمرحلة العمر.. والاعمار يابنيتى بيد الله وكأن اعتراف والدها لم يعجبها.. قالت له:

ــ ولكنك قبل لحظات اكدت لى انك مازلت شابا؟!

اجاب:

ــ بمثل هذه الامانى اعزى نفسى ياصغيرتى. احملها دائما على ان تكون متفائلة حتى بالنسبة لما نجهل..

وحاولت الطفلة بسذاجتها المعهودة ان تصحح غلطتها.. طالبه منه ان يعيد اليها الشعرة البيضاء المقطوعة لاعادتها من جديد الي رأسه

ابتسم الاب.. وقال في هدوء وحنان

ابدا بابنيتى . ان شعرة انفصلت لايمكن وصلها.. كحبات الايام في عقد الزمن لايمكن لها ابدا ان ترجع.. تلك هى سنة الحياة ياصغيرتى

الهزيمة .. والانتصار

يقول بعض المتشائمين ان الهزيمة التى تجمع أفضل من الانتصار الذى يفرق..

يقولون.

إن حال الامة العربية بعد نكسة حزيران... ادعى الى الفأل من حالها بعد حرب رمضان.

يقول:

كانت بعد هزيمتها موحدة.. بدلالة مؤتمرات الخرطوم.. والجزائر .. والرباط وما نتج عنها من موقف ضم شتات أكثر من عشرين دولة عربية..

يقولون:

وبعد أن انتصرت.. اذا جاز أن حرب رمضان انتصار.. وبعد الذى جرى. ويجرى فان تحركا رهيبا يباعد بين كل دولة وأخرى..
الى درجة أن إحداها تخشى الاخرى اكثر من خشيتها لعدوها المشترك

يقولون:

يرى البعض ان السلام غاية.. ومطلب وطريق السلام لايكون الا بالمسالمة..

ويقولون:

ويرى البعض الآخر ان الحرب وسيلة لابد منها.. لان ما أخذ بالقوة لايسترد الا بالقوة والذين يطلبون السلام ماضون
والذين يخشون الاستسلام رافضون

وبين الكفتين يبدو مركب الاعتدال الهادىء المنطلق من الرياض..
من أعماق الصحراء العربية التى تؤمن بأن السلام العادل مطلب
يمكن أن يطاله أهله اذا كانوا متحدين فقط

هواية باهظة الثمن

كان حزينا وهو يتحدث:

قال:

ــ لم يكن يهمني ما انفق على زوجتي لو ان مطالبها كانت مشروعة.. ومعقولة.. فانا املك المال.. والحمد لله.. ولكن الذي يهمني ويحيرني هو انها احالت غرفات البيت الى صالات عرض للازياء.. صالات عرض تلتهم كل يوم من جيبي المئات والمئات دون حساب.

وحين افكر في محاسبتها على كل هذا الاسراف في الشراء.. تجيب في غضب واستنكار:

ولم انت وحدك الذي تشتري.. ان لك كل يوم صفقة مع كتب تأتي بها وتفرغها في مكتبتك الكبيرة.

ان خزائن ثيابي بمثابة مكتبتي.. فكما ان لديك هواية اقتناء الكتب.. فان لدي ايضا هواية شراء الفساتين.. الكل يشبع هوايته.. لا فضل لاحد على الآخر..

واحاول ان افهمها ــ الحديث لصاحبي ــ احاول ان اقول لها ان اقتناء الكتاب غير اقتناء الثياب.. الاول نبع من الثقافة والعلم يغذي عقل صاحبة ــ أما الثاني فانه اهدار لامبرر له للمال.. لانه يصدر عن غير حاجة الا هواية الجمع والتباهي امام الزائرات.. ويسترسل في حديثه:

العقدة عندي هو أنها لم تفهم ما اعني.. لم تحاول ان تفهم.. فكل ما يعنيها ان اكون الى جوار مكتبتي مكتبة ثانية.. انا أقرأ في

مكتبتي وهي تلبس في مكتبتها.. وتفصخ.. وتعلق.. وتلك هوايتها التي لا تطيق لها بديلا.. ومع هذه العقدة.. ومن اجلها فانني ادفع الثمن صباح مساء... دون ان احرك ساكنا وتلك رغبة ام الاولاد.

الحب يدخل عن طريق المعدة

«الحب يدخل عن طريق المعدة»

مثل الماني. والتفسير لهذا المثل هو ان اهم مقومات الزوجة او من اهم مقوماتها على الاقل اجادة الطبخ.. او معرفة الطبخ على أقل من الاقل.

وفي بيوتنا الكثير الكثير من الشابات اللاتي يتطلعن الى مستقبل حياتهن الزوجية من منظار الدراسة وحدها. من وثيقة النجاح المدرسية وحدها دون اية دراية بشئون المطبخ..

بل ان الكثير منهن يرفض الاستجابة لهذه الدعوة بحجة اداء الواجب المدرسي..

والواجب المدرسي جزء من واجب أكبر هو الاعداد السليم للمرأة كربة بيت.. وأم أطفال قادرة على اسعاد زوجها ــ والوفاء بمستلزمات حياتها المشتركة..

واعترف ان امهاتنا غير المتعلمات أفضل من بناتنا المتعلمات في هذا الجيل.. ذلك ان امهاتنا على وعي ونضج وتكريس للوقت.. ودأب من أجل رعاية الزوج.. اما جيلنا الجديد فإنه اقل اكتراثا بالواجب.. وان كان اكبر ثقافة ممن سبقه.

ولا ادري هل ان من بين المواد الدراسية للبنات مادة تعنى بالطبخ عن طريق الممارسة الفعلية.؟!

لانني اخشى ان يأتي يوم يفر فيه الحب عن طريق اغلاق باب المطبخ حين لاتجد المعدة من يقدم لها ماهي في حاجة اليه من طعام.

مناخ الأسرة

وكما ان العقل السليم في الجسم السليم.. فان الطفل السليم ايضا في البيت السليم ..

وبعبارة اكثر وضوحا فان الجو الاسرى يترك بصماته فاضحة على حياة الطفل وسلوكه.. ان سلبا.. وان ايجابا..

واستقراء لحياة الشباب من قبل المختصين في علم النفس اثبت الواقع بما لايقبل مجالا للشك ان تسعين في المائة من دوافع الانحراف والتمرد.. أو من دوافع الانتحار والتشرد بالنسبة للشباب مردها الى مشاكل الابوين.. وخصوماتهما على مرأى ومسمع من أولادهما..

ويأتى الطلاق ايضا عنصرا فاعلا في خلق الأزمات النفسية لدى الطفل.. تدفعه احيانا الى الضياع.. او العذاب تحت كابوس امرأة اخرى تنال من نفسيته الصغيرة وقد فقد امه حيث يلقى الحنان.. وحيث تعود الرعاية والحب..

ومثل السلبيات يكون الدور ايضا لايجابيات الاسرة وتماسكها في بناء الشخصية القادرة على الصنع والعطاء.. ففى ظل الحب والوئام.. والرعاية يشب البرعم وينمو.. وتنمو معه قدراته النفسية.. والعقلية والجسمية مستوعبة ماحولها.. سالكة الدرب بخطى واعية واثقة..

من هذا فان الاسرة هى بمثابة المطبخ الاول الذى يعطى الوجبة الصالحة.. او الفاسدة .. وعلينا ان نختار لون الوجبة ونوعها ومذاقها لكى نقدمه غذاء شهيا صالحا لفلذات اكبادنا.. لامتداد اعمارنا.. واعمالنا.. وتاريخنا

ومن الحب ما قتل

بل ومن الحب ما يقتل.. ويقوض عش الزوجية على رأس الاسرة..

ولعل اخطر مافي الامر ان المسبب والضحية هما الاحب الى بعضهما.. والاقرب الى بعضهما وان عامل الغيرة وحده السبب في كل كارثة تحل بزوجين متحابين..

وهذا الحب المؤذي يتمثل في حالات ليست بالكثيرة.. وان كانت متواجدة بشكل او بآخر في بعض عالمنا.. وبالذات في العالم المحافظ المعروف بعراقة علاقاته الاسرية.. وترابطه العائلي.. وانقياده الغير محدود للطاعة والبر..

ولك ان تتصور أمّاً بحكم حبها الجارف لابنها.. وبحكم ارتباطها به عمرا ليس بالقصير تندفع وراء امل الغيرة فتزرع في جسد ابنها وفي طريقه الاشواك والمشاكل بعد ان يلج حياة الزوجية.. توهما منها ان الوافدة الجديدة على ابنها سرقته منها.. وابعدته عنها.. واستأثرت دون سواها بحبه وبقلبه.. انها وراء هذا التصور الخاطيء المر تلقي بشراك الشك.. وببذور الخلاف بينهما.. او على الاقل ضبط الربط وتضييقه الى اقصى حد ممكن بحيث يشعر كل منهما ان كل خطوة محسوبة عليه وان كل وفاق يجب أن يكون في اضيق نطاق.

الغيرة وحدها في اعماق الام تسبب — في أحيان كثيرة — تحطيم كيان وحياة فلذة الكبد دون ان تدري..لان الفهم المغلوط في ان ابنها سيظل طفلا يرقد في احضانها حتى يشيخ..ولان ابنها سيبقى لها وحدها دون امرأة تشاركه حياته وتبعات مستقبله..لان هذا الفهم

وحده كان منطلق تقديرها.. وتفكيرها.. بل وتحركها.. ومن هذا الفهم الخاطىء كانت حالات طلاق وطلاق.. او على الاقل كان الشقاق والشقاق.. وقاتل الله الغيرة مادخلت شيئا الا افسدته..

المظهر . أولا!!

قال لي:

حكايتي تذكرني بذلك القروي الفقير المنبوذ في قريته الصغيرة.. فلطالما بحث عن من يقدم له طعاما او شرابا دون جدوى..

ونزح عن تلك القرية الى المدينة.. وان هي الا اعوام حتى عاد الى قريته وفي حقيبته النقود.. وعلى جسمه ثوب جديد ناصع البياض.

وتلقفه القرويون.. حتى اعتاهم واقساهم.. واشدهم بخلا اصر الا ان ينحر له الخراف وان يقيم على شرفه الدعوة.

وعلى مشهد من المدعوين دس الضيف احد اكمام ثوبه الابيض الناصع.. دسه في قصعة الطعام وهو يقول:

«كل ياثوبي الجديد فان الدعوة ليست موجهة لي.. انها لك وحدك»

اما حكايتي — والحديث لصاحبي:—

فلقد زاولت عملي منذ عام في احد المكاتب.. كنت افد اليه كل صباح واخرج منه كل ظهر سعيا على الاقدام دون ان يلتفت الى احد.. حتى اولئك الذين وكل اليهم امر حراسة المكتب كانوا لايهتمون بي.. بل واحيانا لايردون التحية وقد حييت.

وحصلت المعجزة.. فلقد امنت سيارة جديدة ذات شكل وحجم لافت للنظر .. ومع اول يوم امتطيتها.. مع اول لحظة تقف امام المكتب كان كل شيء قد تغير.

الايدي المقبوضة بالامس كانت تلوح بالتحية

القسمات المنقبضة بالامس كانت تتصنع الابتسامة.. بل كانت تصنعها حتى اولئك الحرس الذين كانوا على منضدتهم كالمسامير المشدودة لايتحركون ما ان امر بمحاذاتهم حتى يقفوا في صف منتظم يلوحون بايديهم في حركات ملحوظة طائعة خائفة.

قال لي:

الم اقل لك انني كذلك القروي الذي غمس اطراف ثوبه في الطعام لان ثوبه كان المدعو.. انني مثله.. ان السلام.. وان الابتسام لم يكن لي انه لسيارتي الجديدة ذات الشكل والحجم اللافت للنظر..

ماهية النقد

النقد..

هل هو طرح للاشياء؟! أم هو جرح لتلك الاشياء؟!

النقد..

هل هو هز عضلات دونها عضلات المصارع أو الملاكم؟ أم انها ملامسة رافقة دافعة كالنسيم الهادىء؟

النقد..

هل هو عرض للرأى عبر طرح موضوعى منطقى؟! أم انه فرض للرأى من خلال جدل بيزنطى صاخب تضيع في متاهاته الفكرة وتتباعد فى صراعاته المفاهيم؟!.

النقد..

هل انه مشرط جراح يستأصل الزائدة الفكرية دون أن ينال الفكرة؟ أم أنه سكين بيد جزار يهوى بها فيستأصل السقيم والسليم معاً؟!.

تساؤلات.. وتساؤلات يطرحها بعض اولئك الذين يعانون محنة النقد.. وانحرافاته.. يطرحونها وهم يعرفون.. الا انهم يرسمون حولها اطارا من علامات الحيرة أيضا.. وواقع النقد فى صحافتنا.. فى ادبنا يعاني من مرض ان لم نتداركه فان خطره سيستفحل ويقضى على البقية الباقية من آمال شبابنا وشيبنا على السواء..

الموضوعية.. والتجرد.. كل مانطلبه من نقادنا..

ومع الموضوعية والتجرد في النقد تترعرع الفكرة وتنمو.. وتشب عن الطوق انها بالنسبة للفكرة لبن الرضاع السليم الذى يتناوله الطفل في شهوره الاولى.. وما عليه بعد أن يستوى أن يفطم.

الغريق في بحر من الكسل

كان مسترخيا في جلسة يسعل كل مرة مع كل نفس يجتره من بربورته.. وكان يتحدث.. وتطلع فجأة الى ساعته.. وكأنما كان يوجه العتب اليها:

انها لا تصلح.. انها كسولة في حركتها.. لابد من تغييرها..

والتفت اليه شقيقه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ماكرة ساخرة.. وقال:

ـــ صحيح ان الساعة الكسولة لا تصلح الا للكسالى..و..

وقاطعه محتجا وكأنما كان يلتقط انفاسه بين سعلتين..

ـــ اتعنى انني كسول.. انني..

وقبل ان ينهي عبارته كار رد شقيقه:

ـــ ابدا.. ابدا.. بل شعلة نشاط وعمل.. وانتاج.. ألست ذلك المنظم ليومك وليلك على النحو التالي:

○ ثمان ساعات للنوم ليلا.. وساعتان للنوم ظهرا..
○ ساعتان للاسترخاء.. والتثاؤب قبل.. وبعد النوم..
○ ساعة ونصف للطعام. افطار غداء وعشاء.. ونصف ساعة لارتداء الثياب.
○ ساعتان للبربورة بعد يقظة الظهر.. وقبل سبات الليل.
○ ثلاث ساعات لسهرة الكنكان.. وما ادارك ما الكنكان..
○ ساعة تختلسها من الدوام قبيل حلوله.. وقبيل أفوله..
○ ساعتان لاستقبال زوار المكتب والتحدث معهم والمشاركة في شرب الشاي..

○ ساعة لتصفح الجرائد.. وربما اكثر من ساعة..

○ ساعة للاتصالات التلفونية.. وربما اكثر ايضا..

وتبقى ساعة من الدوام الرسمي يكدر هدوءها بعض خشخشة اوراق وقصاصات.. وبضع تأشيرات وتواقيع .. اقل لك انك شعلة نشاط وعمل وانتاج. انك في حاجة الى ساعة دقيقة دقيقة تضبط بها هذا البرنامج اليومي الضخم من الحركة والعطاء..

وسكت هنيهة كمن يتذكر.. واردف قائلا:

ـ صحيح ان وقتنا من «ذهب» .. وشدد في نطقه على الباء المفتوحة لكي لا يغلط..

ولكي لا يخلط بين الضياع الذى يعنيه.. وبين الذهب الثمين.. ذلك الكنز الذي لايقدر بثمن..

اما اخوه فلقد سرحت افكاره بعيدا بين ثنايا شفطة ماضية.. وسلعة وافده.. وحركة لا ارادية من رجله متجاوبة مع سعلته الطويلة الطويلة التي ودعها.. والتي تطرق باب حلقه من جديد.

وللمخلوقات الأخرى

ليس صحيحا ان الانسان اكثر حساسية.. واكبر قدرة على اجتلاء ما حوله عن غيره من المخلوقات الاخرى.

آخر التجارب اثبتت ان في عالم الطيور.. والحيوانات.. والزواحف.. من يملك حساسية مرهفة تسبق وقوع الحدث.. وتتنبأ به قبل ان يقع بدقائق .

نوع من الطيور يملك جهاز انذار مبكر يدق فى اعماقها قبل ان يدهمها عدوها.. فتحتاط له.. وتفوت الفرصة عليه..

الثعابين.. والخيول اثبتت التجارب ايضا انها تتعرف على الزلازل قبل وقوعها بدقائق.. فتهرب من مواقع الخطر الى السهول المفتوحة.. والى الاودية حيث تجد الامان بعيدا عن الهزات المدمرة..

ويتجه علماء طبقات الارض الى توظيف هذه الحساسيات المبكرة لخدمة العلم وسلامة الانسان نفسه.. بعد ان تأكد لهم وبشكل قاطع تلك القدرة الفائقة الغامضة التي سبقت وفاقت كل حسابات اجهزة الرصد العلمية التي تفتق عنها خيال الانسان ونبوغه.

ولو سبرنا بتفكيرنا غور الكثير من المخلوقات الاخرى لادركنا ان عالمنا البشري بكل ما فيه.. لايمثل الا نقطة صغيرة في عالم يموج بالنقط الكثيرة تحكمه قدرة الله جل شأنه.. وتسيره.. ارادته.. يتوازع فى كياناته وطاقاته كل المقومات.. وكل المسلمات.. وكل عوامل الحياة.

باما

«باما»

كلمة غير معروفة.. وبالتالى غير مألوفة..

الا ان فدوى ، الطفلة ذات الربيع السادس من عمرها تعرف هذه الكلمة.. والا ان اسرة«فدوى» تألف هذه الكلمة لانها تعرفها.. فلقد اختارت هذه الصغيرة من كلمة «بابا» اولها.. ومن كلمة ماما الجزء المتمم لهذه العبارة.. لتكون تركيبا لفظيا ثنائيا عجيبا يجمع بين الاب والام في منطوق واحد..

لطالما اطلقت الصغيرة عبارة«باما» لحظة شكوى حين تحتاج الى عون ابويها.. وكأنما ارادت من هذا المزج اللفظى المحبب ان تجمع بين ابويها في عبارة استنجاد واحدة ليس فيها أول .. وليس فيها ثانٍ.. بل ليس فيها انفراد لاحدهما قد يغضب الآخر.. كلمة «باما» رغم انها عبارة غير مألوفة.. ورغم انها غير معروفة. ورغم انها مزج مختصر بين اسمين لاتقره اللغة.. وقد لايستسيغه السماع الا انها في فم تلك الصغيرة نغمة حلوة كصداح البلبل.. والا انها في اسماع اسرتها في سماعهم نغم حالم كتموجات الموسيقى.. لانها اصبحت ذات جرس ومعنى كبير في منطوقها وفي دلالتها.. لانها تعنى «بابا» و«ماما» تعنيها في منطوق واحد وبعبارة مضغوطة واحدة لكن في براءة.. وسذاجة وحب

الأقلام الجانحة الجارحة

قال محدثى وكان يقلب بين يديه صفحات احدى الجرائد العربية.
قال والمرارة تكاد تقطر من بين ثنايا كلماته:

ــ هل تقرأ الصحف؟

اجبت:

ــ احيانا..

ــ خذ اقرأ.

ورمى بصحيفته تلك نحوى.. ثم استرسل في حديثه

ــ من المؤسف والمحزن ايضا ان بعض صحافتنا العربية تقول من بعضها اكثر مما قاله مالك فى الخمر.. عدوتنا المشتركة اسرائيل كانت لسنوات خلت تجند خيرة معلقيها.. وصحفييها لالتقاط هفواتنا وسقطاتنا.. خطواتنا واخطائنا.. لتجسمها. واحيانا لتعكس واقعها وجاء اليوم الذى لم تعد فيه اسرائيل في حاجة الى هذا الجحفل من المعلقين بعض صحافتنا العربية والصحفيين، لقد وفرت عليها الجهد كله لما تنشره عبر صفحاتها من مهاترات ومغالطات كانت روافد تمد« معاريف » و«عاهلمشار» و «ايدعوت احرنوت» وغيرها من صحافة العدو بما هي في حاجة اليه.. ولكن باقلام عربية..

لقد وفرت بعض صحافتنا المادة رخيصة وقدمتها على طبق من ذهب كشاهد على اننا لم ندرك بعد احداث التاريخ ودروسه وعبره الماضية أمر مؤسف حقا ان ننشر غسيل صحافتنا على حبل صحافة العدو ونريحه من عناء البحث عن ادانته. بل نوفر له نحن الادانه لنا.. ومنا..

أمر مضحك.. ولا اقول ضاحك.. امر مضحك مبك.. اليس كذلك؟! وشر البلية مايضحك.

فطام.. وصيـام

«الفطام»

و«الصيام»

فطام الطفل.. وصيام الرجل..

الاول بداية لتحريك جهاز هضمه بما يؤكل لابما يشرب.. حيث يصل بما يطعم الى شبع هو في حاجة اليه نماءً.. وبناءً.. واشباعا.. اما الثاني .. وقد شبع.. وقد امتلأ عوده.. واكتمل نموه.. وطفحت معدته بما تطعم.. انه في حاجة الى ان يمسك عن طعامه ديناً لله ــ بكسر الدال ــ وديناً لنفسه ــ بفتح الدال ــ لكى يبرأ مما علق بها من دسم.. ورواسب قد تلحق به الضرر.. دون ان يدري..

واذا كان فطام نقلة من مرحلة الماء بكل مشتقاته.. الى مرحلة النماء بكل مواده وعناصره.. فان صيام الرجل ايضا نقلة ثانية من مرحلة الاحساس بالشبع الى مرحلة الاحساس بالجوع.. وهو معنى عميق الدلالة بالنسبة لمنظوره الانساني.. ومردوده على مستوى العلاقة بين من يجد.. ومن لايجد.. الصيام.. والفطام.. كلاهما امساك عن شيء لشيء آخر يربط بين ضرورة العيش.. ضرورة المعايشة.. بين بناء الجسم مبكرا.. وبين تذكير العقل بالتزاماته نحو كيانه.. وكيانات المعوزين..

الفطام بداية لترويض النفس على مستوى الصغار.. والصيام ايضا بداية لترويض النفس على مستوى الكبار.. كلاهما ضرورة.. وكلاهما طاعة.. واستطاعة امام محراب العبادة..

الذي يراوح مكانه

لو انك امضيت مائة عام دون انقطاع في حفر ماتدفن.. ودفن ما تحفر.. انك لن تستطيع ان تنهي مساحة من الارض لاتتعدى بضعة اشبار.. ولا تتجاوز بضعة امتار..

ان اي عمل يراوح مكانه دون ان يتقدم خطوة الى الامام محكوم عليه بالرتابة والضيق مهما كانت الامكانيات المتاحة له كبيرة.. وكثيرة.. اصل من هذا الى ما اشهده في كثير من شوارع مدننا.. ومنذ سنوات طويلة من حفريات لاتكاد تختفي حتى تبعث من جديد.. مستنفدة في حفرها.. وفي دفنها الكثير الكثير من الوقت.. والكبير الكبير من المال.. والمثير المثير من الغبار.. والحفر .. والتشويه.. والتنويه..

ولو اننا بجهد ما حفرنا.. وما دفنا.. ولو اننا بنفقات كل هذا الحفر وهذا الدفن المتكرر اوجدنا مايشبه السراديب المسقفة عبر شوارعنا كل شوارعنا كما هي الحال في بلاد سبقتنا علما وخبرة لابقينا على مرافقنا في مأمن من الكسر.. والخلل.. والانقطاع... والايجاع..

ان الحكمة تقتضينا ان نبدأ من حيث انتهى الآخرون لامن حيث بدأوا.. وان نوظف المهارات والخبرات العلمية.. والتجارب الناجحة حتى ولو كانت اجنبية سيما ونحن نملك الامكانيات المادية القادرة على الانجاز.. وعلى الاعجاز..

واذا كان التخطيط ضرورة في مسار التنمية لاي مشروع... سيما اذا كان مشروعا حيويا يتمثل فيه خط الكهرباء.. والماء.. والهاتف..

والمجاري.. وجميعها ضرورات قصوى لكل مواطن..

همسة.. او انها لمسة على مبضع الجرح النازف من جبين شوارعنا الشاكية تنتظر العلاج..

ستر المرأة

الستر بالنسبة للمرأة يعني رصيدها.. كل رصيدها.. واللباس الساتر للمرأة يعني اضافة.. وضرورة لرونقها.. وجاذبيتها.. واذا كانت حواء العصر.. او المودرن كما يطلق عليها قد طلقت لباسها الفضفاض الساتر الى حين بحثا عن الاثارة... او ركضا وراء التقليد.. وسمحت بعرى صدرها.. او ظهرها ناهيك بساقيها.. ويديها.. كما لو كانت تمثالا تعمد رسامه ان يبرز كل مظاهر الفتنة فيه.. فان ارتداداً لهذا الفهم الخاطىء.. وعن هذا الفهم الخاطىء بدأ يلوِح في افق.. وعلى خريطة مصممي الازياء معيدا الى الاذهان تلك الصورة الجميلة لذلك الزي السائد الذي كانت ترتديه جداتنا.. وامهاتنا.. باعتباره قمة الذوق.. وقمة الحشمة.. والجمال.. وكما ان المتغيرات التي تطرأ على الانسان مسلكا.. او ملبسا تتماوج في داخل نفسه فتقضي في النهاية الى مايشبه البداية.. هاربة من الاولى الى مابعدها.. مستجيرة من الاخيرة الى ماقبلها.. دون استقرار على اختيار.. فان عالم المرأة نفسه يعيش داخل اطار هذه الدائرة التي لاتلبث ان ترتد الى اصولها.. وبدايتها.. والى سترها الذي هو دون شك حسب تقديري اجمل.. وافضل من مجرد شريحة تفضح الجسد.. وتقتل كل مكامن الجمال فيه.

مركب نقص

كنا في اعوام مضت نتبارى جهلا بكثرة الاقلام التي نضعها في جيوبنا ايهاما للآخرين بأهميتنا .. وبمقدرتنا.. وبقدرتنا.. وانتهى موسم الاقلام الفارغة ليحل محله مركب نقص آخر لايختلف عنه كثيرا.. وان اختلف شكلا.. ونوعية...

ان فينا من يحرص على رص عدة هواتف«تلفونات» على مكتبه دون حاجة الى اكثر من هاتف او هاتفين.. تشغلهما مسؤوليته سواء اكانت رسمية.. او خاصة..

وفينا ايضا من اتجه الى مظهر آخر من مركبات النقص.. مركب اسمه الظهور بالافخم.. والاغلى .. والأكثر..

بضع سيارات فارهة ضخمة تقف امام اسوار الدارة.. او داخل فاترينات العرض الواسعة الملحقة بمساكننا....

بضع سيارات يتجاوز عددها عدد افراد الأسرة.. وكأنه السباق الذي لا مندوحة منه لكي نبدو شيئا فخما ضخما في اعين الآخرين.. ان الاسراف في الاشياء دون حاجة او ضرورة لمجرد التباهي.. والظهور ضرب من المرض الاجتماعي.. ومن مركب النقص الذي نعاني منه كثيرا.. والذي يستفحل خطره مالم نضع له حدا في حساباتنا.. وفي حسباننا.. حدا لاينقص الاحتياج.. ولا يتجاوز الكفاية.. والمطلوب .. هكذا اتصور..

كسر يصعب جبره

الزجاج حين يكسر يصعب بل يستحيل جبره..
اخطر من كسر الزجاج جرح القلب.. والاساءة الى مشاعر الانسان انهما جرحان لايندملان.. ولاينفع معهما التطيب ولا المداواة وكثيرون هم اولئك الذين لايهتمون بمشاعر الآخرين.. ولا يترفقون بعواطفهم وقلوبهم.. وانما ينهالون عليها طعنا ولعنا.. وكأنما يتعاملون وسط غابة من الوحوش لاترحم.. ولا تريد لرحمة غيرها ان ترحم..

كم هم اولئك الضحايا الذين ينزفون دما.. والما... ودموعا دون ذنب إلا ذنب ضعفهم امام قسوة رياح الخريف البشرية التي لاتبصر الا من زاوية التسلط .. والاساءة.. والسيطرة...

وكثيرون هم اولئك الذين يتلذذون بدموع الباكين.. وبدماء الشاكين.. وبقسوة المعاناة في حياة الآخرين.. و كأنما الجراح في غيرهم متعة.. وكأنما الصراخ في حناجر غيرهم موسيقى.. لسبب واحد هو ان الجراح والصراخ بعيدة عن اعناقهم.. بعيدة عن آفاقهم.. بعيدة عن معاناتهم..

ان الجرح الانساني بما يفضي به من دمعة.. وتأوه... وشكوى ضمير يتعذب.. على مسرح الحياة والاحياء... لو انصف الأحياء فهم الحياة التي لامعنى لها دون رحمة.. ولا طعم لها دون مواساة.. ولا لون لها دون عدالة.. ولا رائحة لها دون طيبة..

ولكن .. تبقى الحياة لونا من الممارسة الهازلة الهازئة في معظم جوانبها.. لولا بصيص من نور خافت يطل من نافذة الامل اسمه الحب الحائر الدائر في فلك كبير تسوده العتمة وتغطيه تناقضات الواقع الصارخة الجارحة...

اهلا يارمضان

اهلا يارمضان..

على مائدة صيامك السخية.. اكثر من طبق يطعم منه الصائمون في نهارهم.. وهم لا يأكلون..

طبق الامساك عن اللغو.. حيث يكون للسان صيامه.. طبق الامساك عن الرفث.. حيث يكون للجنان صيامه.. طبق الامساك عن الطعام .. حيث يكون للجسد صيامه.. طبق الامساك عن الشرب.. حيث تظمأ افواهنا من اجل أن تروي مشاعرنا رحمة.. ونصرة للمعوزين..

وعلى مائدة افطارك الشهية.. اكثر من طبق يطعم منه المفطرون.. في ليلهم بعد امساك.. واحتساب للأجر..

طبق نقتل به الجوع في اعماقنا.. استذكارا لاعماق جائعة تنشد ما تأكل.. جرعات نقتل بها الظمأ في افواهنا.. استذكارا لافواه جل حياتها عطشى.. لانها لاتقوى على الري..

اهلا يارمضان..

فمن صيامك جرعات صحية تتخلص بها المعدة من اثقال الاحد عشر شهرا الآكلة الشاربة..

ومن قيامك وقفات سماوية تشدنا الى الله.. تعتمر بها نفوسنا.. وتتعمق بها اعماقنا وضمائرنا..

اهلا بك.. ايها الوافد الكريم.. ايها الضيف المضاف..

الصواب.. والخطأ

الانسان.. ليس كله اخطاء.. وليس كله صوابا.. وانما هو مزيج من الصواب.. والخطأ

قد ترجح كفة الصواب.. قد ترجح كفة الخطأ
وقد تتساوى الكفتان..

وعلى ضوء هذه المعايير تكون الاحكام .. وتتكون الاحجام.. وعلى ضوء هذه المعايير تتشعب السبل بين نجاح.. وفشل .. وبين بين.. وكما ان الصواب فضيلة في حسبان العقل.. فان الخطأ الناشيء عن محاولة لا يكون بالقطع رذيلة او نقصانا.. وانما يرقى احيانا الى درجة الحسنة من منطلق انه دلالة على الحركة.. والصنع.. واثبات القدرات الفاعلة..

وكثيرا من الاخطاء غير المقصودة تعتبر مؤشرا ايجابيا للوصول الى الصواب عبر محاولات تالية تستفيد من الخطأ.. وتتجنبه لأنها تعرفت عليه ولم تتمسك به بل ولم تخف منه.

والذين لايخطئون هم اولئك الذين لايعملون.. والذين يرهبون الخطأ في اعمالهم ويخشونه هم الاكثر ترددا في العطاء.. وهم الاقل انجازا لما ينوون انجازه.. والوصول اليه..

قد تكون الحيطة مطلبا ملحا حتى لانقع في اخطاء متعمدة.. الا ان الخوف والتردد في المحاولة يجمد الخطى.. ويجدد الخطأ عن طريق شل الفعاليات لأنه محاولة وبالتالي يدفع الى السلبيات التي لا تمثل الا الموت في حياة صاحبها،،،

اطفال ولكن كبار

احيانا نبدو كالاطفال الصغار نلقي بكل ماتصل اليه أيدينا وسط افواهنا سيان اكان ذلك الذي تحمله الأيدى«تمرا» ام «جمرا» ... الفرق بيننا وبين الأطفال انهم لايعون تصرفاتهم.. اما نحن الكبار فاننا نعي.. الا اننا لا نرعوي...

الطفل بوعيه المحدود جدا.. والذي يكاد ان يكون على مستوى الصفر معذور جدا في تناوله مايضر.. وما ينفع .. ذلك ان قصور نظرته للأشياء عذر كاف يسقط معه العتب.. والمساءلة.. اما الكبار الذين يعون.. ولا يرعوون.. الذين يميزون بين الأشياء.. الا ان وعيهم.. وتمييزهم سقطا في مستنقع الاغراء... فراحوا يعبون في نهم مجنون من كل اناء... لا فرق بين جرعة سامة... واخرى نافعة.. حتى لكأن ما يدخل حصيلتهم... وما تتورم به منتهى الاماني... واغلى الاهداف...

والذين يتسارعون... ويتصارعون في معركة المادة الحادة دون ابصار للسلاح الذي يحاربون به.. ودون ادراك للغنيمة التي يتهالكون عليها ويهلكون.. انهم اطفال كبار تنقصهم تجربة الرجال.. ونضج الرجال.. وممارسة الرجال.. انهم مجرد اطفال كبار يعبثون في ايديهم بالتمرة... والجمرة.. وعيونهم مفتوحة... الاانها قاصرة عن الرؤية الواعية...

الغلطة الاخطر

غلطة المريض بغلطة... اما غلطة الطبيب فبمائة غلطة.. المريض حين يغلط يجد التصحيح لغلطته لدى الحكماء.. هذا إذا لم تكن تلك الغلطة قاتلة.. قاتلة...

اما الحكيم فان غلطته لاتداوى لأن الذي يمنح وصفة الدواء تخلى حينذاك عن مقعده بعد ان اوجع..

واوجع..

وندرة قليلة من الاطباء هم اولئك الذين يخطئون عن عمد وقصد .. ان معظم الضحايا هم ضحايا الاهمال.. او ضحايا القصور في النظرة الى آلامهم.. او اللامبالاة...

ومع هذا فما برحت هذه الندرة القليلة تقدم على مذبح وصفاتها الخاطئة بعض الضحايا.. منهم من يسفعه الحظ امام حكيم آخر قبل عملية الخطأ... ومنهم من يستسلم لتلك الوصفة.. ويذهب جزء غالى من جسده قربانا رخيصا لثقة عمياء.. ولانقياد الضرورة الملحة في نفسه ولعل آخر هذه الوصفات المتسرعة تلك التي اعطيت لاحدهم وكان يقاوم آلاماً حادة في عينه.. لقد اوصى الطبيب بنزع عينه.. ولكن نزع العين في حسبان صاحبها امر خطير.. يصعب الاقدام عليه بسهولة.. وجرب امام طبيب آخر.. ليجد الامر سهلا لايحتاج الى خلع.. ولا الى قلع .. قال له..

ــ انك تعاني من قرحة.. يمكن علاجها بسهولة..

وامكن علاجها بسهولة... وانتهت القصة.

دعوني ابكي

دعوني ابكي.. فإنني اهوى الدموع.. اشتهي مذاقها(الحلو) المر! انني بدموعي اصبح انسانا يضم بين جوانحه.. التأثر.. الرحمة.. الشكوى المشاركة.. الحب .. والمعايشة..

دون دموع تبقى الاعماق جافة موحشة..

دون دموع يتراكم غبار القسوة فيحجب عن العينين كل مرئيات الحياة الجميلة الصافية بل دون دموع فان رياحين الحب المورقة في القلب لن تجد لها ما يمدها بالري والنماء.. وتتحول الى جفاف مبكر.. منكر..

ليس هذا وحده .. بل ان الدموع وصفة طبية ناجعة النتيجة بالنسبة لأوجاع كثيرة.. فهي ناجحة للعين.. وعلاج لكل الآلام العصبية.. وتنشيط للدورة الدموية.. وتوسيع الصدر لدى الاطفال.. وشد للحبال الصوتية كما انه اخيرا يشفي من الصداع..

هذا ما اكده اخيرا العالم الامريكي د ــ روبرت ساردو في كتاب صدر له حديثا.. الست على حق بعد كل هذا ان اطلب البكاء.. ان لا اخافها..

ان الدموع لا تضيع .. انها تعوض.

اننا نكسبها راحة.. واستشعاراً.. وطرحا لأثقال همومنا المتراكمة في داخلنا.. ثم انها شد وثيق لآدميتنا.. وتفاعلنا مع مؤثراتها .. وتعاملنا مع مواجهاتها الرافقة احيانا.. والحارقة احيانا اخرى.

ما احلى الدموع لمن طعم الدموع.. ولم يضق بدلالاتها.. ولا بطعمها.. وما كان لها الا طعم الشهد لمن يعرفون مذاقها الانساني المتجدد مع كل انفعال .. وتأثر.

العظة .. او الموعظة

«العظة» أو «الموعظة الحسنة» اين تقف من نفسها كدعوة؟ واين نقف منها نحن كدعاة؟!.

مجرد تساؤل يقضي بنا الماضي في حضرة امير المؤمنين عمر بن الخطاب ليشهد معنا موقف الاعرابي.. وموقف الصحابي.. وموقف عمر..

يبدأ الموقف مع عبارة الاعرابي:

«ان عليك ان تخاف الله يا عمر..»

لقد استكثر احد الصحابة مثل هذه العبارة تساق الى امير المؤمنين.. وكان ان قال:

«المثل امير المؤمنين يقال هذا الكلام؟!..»

اما عمر. فقد جاءت كلمته الجامعة التي خاطب بها كل من حوله.. وكان يشير الى عبارة الاعرابي:

«نعم.. نعم.. لاخير فيكم اذا لم تقولوها.. ولا خير فينا اذا لم نسمعها».

وينتهي الموقف.. وتبقى الذكرى.. وتبقى العظة.. والموعظة الحسنة جسرا جسورا تعبره كل قوافل المسلمين.. عبر تاريخهم.. واذا كانت العظة تمثل وقفة مراجعة للنفس.. ومخاطبة للغير فان هذه الوقفة في حياتنا مطلوبة اذا ما طمحنا ان نباعد بين خطانا وبين خطئنا..

بالعظة.. وبالموعظة الحسنة يولد الصواب.. ويتعمق الحق.. وتبتسم الحياة.. وتتفتح سنابل الحب على كل قلب.. لانها ورد اليقين لكل الظامئين الى الصواب.. والثواب..

الإساءة لمن أحسن

«اتق شر من احسنت اليه»

كلمة نرددها ونتذكرها حين تطل علينا مواقف جاحدة لجميل قدم... ولاحسان اعطي لمن لايستحق...

وعلى الرغم من ان النزعة البشرية تدين وتنقاد لمن احسن اليها... بحكم رابطة المصلحة الا انه يوجد لكل قاعدة شواذ يتصرفون على غير المألوف... ويتنكرون لكل معروف...

وقد لا تخلو حياة اي واحد منا من موقف او مواقف ذكرته بهذا المثل.. وجعلته يأسف حين افرغ صنيعة الطيب في وعاء من لايشكر.. ولايذكر...

الناس يختلفون طباعا.. كما انهم يختلفون تقديرا للموقف.. وتقبلا لملامسة العواطف...

فيهم من ينقاد عن وعي لرابطة العطاء لا بالخنوع والذل.. وانما بالاعتراف الشاكر لمن اسدى اليه معروفا كان في حاجة اليه..

وفيهم من يرى في الاحسان مظهرا منه فيأباه رغم انه يريده ويفتقر اليه. وفيهم من يستوعب الاحسان اخذا.. ولكنه يتمرد على صاحبه وفاء لان خصائصه الذاتية لئيمة لئيمة تزداد صلفا وتنكرا مع كل عطاء.. وعند كل مصافحة .. وقديما حدثنا الشاعر العربى.

اذا انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللئيم تمردا

وليس ابشع من اللؤم.. الا تمرد اللئيم على من اكرم.

النظارة السوداء

آخر وصفة اعطاها لي الحكيم المعالج: ان البس نظارة شمسية نصفها اسود والباقي عادي..

وعلى الرغم من انني اكره ان اطل علي المرئيات من حولي بمنظار فيه سواد الا ان الالتزام بما اعطاه امر لامفر منه.. ولا مندوحة عنه.. والحكاية.. حكاية الذبابة الطائرة التي تغزو البصر في اعماقه فما تستطيع لها هشا.. ولا كشا.. ولا قتلا بالمبيدات..

ولقد تعرضت عيني لهذه الذبابة منذ شهور فما افاد طردها حبوب ولا ابر.. كانت تتراكض على مسرح حدقة العين.. مرة ذبابة كبيرة.. ومرات ذبابات صغيرة لا تلبث ان تلتئم لتشكل نقطة سوداء كالزئبق لايستقر لها قرار..

واخيرا كانت حكاية النظارة السوداء آخر ما يمكن ان اجرب..

ان الذباب كما نعرفه لايتحرك الا في النور .. على النقيض من الخفاش الذي لايبصر الا في الظلام..

ترى ان سواد النظارة يدفع هذه الذبابة الطائرة الى الهرب.. والاختفاء بعيدا عن حلبة الرقص المتواصل ليلا نهارا..

التجربة مازالت في أولها .. والذبابة السوداء تصارع من اجل بقائها.. والنظارة ذات النصف الأسود تصارع ايضا عدم رغبتي فيها.. ومن صراع الى صراع.. سوف ينتصر طرف من الاطراف..

الذبابة..

النظارة..

أو انا .. واعوذ بالله من الأنا.

عجز القادر

احيانا ينزع الواحد منا الى بعض الاماني وهو القادر على تحقيقها... الا انه يعجز عن تطبيقها دون سبب.. او لسبب لايدريه.. ولا يعرفه.. نموذج لتلك الاماني القريبة في حساباتنا .. والبعيدة عن انجازاتها.. ولعلي واحد من كثيرين يحملون بها... ويتمنونها.. ويملكون قدرة تنفيذها او بعضا منها الا انهم عاجزون عن ذلك لاسباب وهمية واهية..

فينا من يدغدغه خياله ان يطلق صخب المدينة وفوضاها وضوضاءها الى مزرعة بعيدة يركن الى افيائها الظليلة.. ونسيماتها العليلة.. وسواقيها.. وثمرها.. وزقزقة عصافيرها.. بل ونباح كلابها..

وفينا ايضا من ينزع الى الصحراء.. الى الخيم الناعسة على انغام موسيقى الصحراء المنبعثة من صفير هبوبها.. الى الجمال — بكسر الجيم — والى الجمال — بفتحها — الى الاغنام السارحة في مراعيها.. والى حدود البدو ورجعه الجميل الذي تردده الجبال لتحتضنه الشعاب والأودية.. الى البساط البسيط الذي يغطي مساحة صغيرة من الأرض ليسلم للساقين راحتها في مد لاشد فيه..

انموذجان لأمنيتين ينشدهما الكثير ممن يعشقون الراحة.. والاستراحة بعيدا عن الصخب.. والسأم.. ورتابة الحياة العصرية المترفة.. والمكلفة...

الا ان المشكلة ان الانسان احيانا يقف عاجزا عن تحقيق مايملك القدرة على تحقيقه... دون فهم .. بل ودون كسر لحاجز عجزه...

وهذا منتهى الضعف... ان يكون الواحد منا قادرا ... وعاجزا في آن واحد.. حتى في تحقيق ابسط الاشياء.. واقربها الى نفسه...

الأسوأ من الأسوأ

البعض ممن ضاقوا ذرعا بأمسهم وبكوا منه.. تذكروا ذلك الامس بالخير.. وبكوا عليه بعد ان واجههم يومهم بما هو اقسى.. واعتى وانكى جرحا..

ومن يدري فقد يكون يومهم المثقل بمآسيه ومشاكله ارحم من ذلك الغد المنتظر على جادة العمر..
المرهق المكدود..

لقد عودتنا مفاجآت الحياة ان المشاكل في غالبيتها تنتصر على حلولها.. تتراكم المشاكل.. وتنهزم الحلول.. وتتجسم العقد.. وتتضخم المعاناة ويظل الانسان في عالمه اسير ذكراه المرة في الماضي.. واسير ألمه الامر في الحاضر.. واسير خوفه وقلقه من اضافات سوداء مرة تلون باقي صفحة تطلعاته في المستقبل..

ان صراعات البشر داخل الحلبة الكبيرة.. وعبر الساحة الممتدة تحتدم يوما بعد يوم حتى لكأن الليل الطويل الجاثم على الافق الحزين قد ثبتته اوتاد طويلة من التحدي في الامل منفذا لخيوطه البيضاء.. وتبدو الصورة قاتمة حين يستجمع الواحد شكاوى أمسه.. وتبدو الصورة اشد قتاما حين يغمر شكاوى يومه.. ويلمسها في اعماقه اشد وخزا.. واثقل ايلاما وحملا.. ليرمي بكل ما تبقى له من امل جريح تحت اقدام يوم قادم لا يعرف بماذا سيأتي.. وعلى كتفيه تتدحرج هذه الكلمات البائسة العابسة..

رب يوم بكيت فيه فلما
صرت في غيره بكيت عليه

تقتلني هذه الطحالب

تقتلنى هذه الطحالب
عينان لاتبصران في النور اذنان لاتستوعبان النغم.. كفان لاتحملان حسنة.. قدمان لاتتحركان الى الامام.. وعنق لايشرئب الى أعلى..
○ تقتلنى هذه الطحالب
بلسانها تعيش .. بيدها تتفاهم.. بقدميها تفكر.. بمؤخرة جمجمتها تبصر.. بدموع الآخرين تبل الصدى .. على حكايات الناس تقتات
○ تقتلنى هذه الطحالب .. يقتلنى فيها هزل الجد جد الهزل..
تقتلتنى فيها الالف نسخة ونسخة من صورتها .
نسخة لليقظة.. واخرى مع السبات..
نسخة تتحرك.. وثانية صامتة كابى الهول..
يا لهول الصورة البشعة.. التى لاتبصر من عينيها.. ولا تفكر من عقلها.. ولا تحب من قلبها..
○ من الليل لها لون .. من النار لها نفس.. من المر لها مذاق.. من الحرباء لها اخلاق.. من السراب لها وجود.. من الغثاء لها ثروة.. من آلام غيرها لها نشوة.. تقتلنى هذه الطحالب.. التى تنهش دون انياب.. تقتل دون سكين
○ تصفع دون يد تمد.. تلتهم حسناتك بسيئاتها.. تحفر لك قبرا دون ان تدرى.. وفى موكب جنازتك تذرف دموع التماسيح ما ابشعها من طحالب قاتلة.. قاتلة.. كالافعى.. قاتلة.. كالوحش المسعور..

الرأس.. والجسد

جسد بلا رأس.. ورأس بلا جسد.. كلاهما يفتقد عنصر وجوده اذا انفصل عن الآخر..

فلا الرأس وحده دون جسد لقادر على التفكير.. ولا الابصار .. ولا السماع ولا النطق..

ولا الجسد وحده دون رأس لقادر على الهضم والاستيعاب.. والحركة..

كلاهما لامعنى له مع الفصل.. وكلاهما له كل المعاني.. مع الوصل.. الرأس دون جسد جمجمة عارية من كل محتوى..

والجسد دون رأس جثة باردة يحكمها الموات..

وعلى الذين يعبرون في خطبهم.. وفي احاديثهم ان غيرهم لا يساوي دونهم شيئا.. ولا يقدر علي الحياة بعيدا عنهم.. لانهم الرأس..

على هؤلاء ايضا نعيد اليهم نفس عباراتهم.. وباسلوب هادىء.. هادىء واثق .. لنقول لهم:

ان الرأس وحده لايساوي شيئا لانه لايقدر على الحياة بعيدا عن جسده.

ان النبض يتوقف.. وان الدماء تتجمد في الشرايين.. وان الحياة نفسها تتداعى فلا الرأس رأس.. ولا الجسد جسد.. وانما مجرد جمجمة فارغة.. ومجرد جثة باردة عفى عليها الزمن.. حتى ولو كان الرأس كبيرا كرأس ابي الهول .. وحتى لو كان الجسد صخما في حجم جثة «كينج كونج» الخرافية الاسطورية..

طلب المستحيل

طفلي الصغير يريد منى ان اقطف النجوم بيدي لأودعها أحضانه.. يطلب مني وهو يتطلع في براءة الى القمر ان امسك به وأضعه بين يديه..

انه يلح.. يلح.. ويلح في طلبه تارة بصوته الطفولي العذب النبرات واخرى بدموعة المفضوحة العبرات..

لا .. ياولدي..

ان المسافة بيننا وبين القمر والنجوم هي المسافة بين واقعنا المجهد واحلامنا السرابية المرتدة.

كلنا يحب لمس النجوم.. ودغدعة القمر .. ولكن حبنا يظل قاصرا ومقتصراً اذا لم يكن هناك اجنحة تحمله عبر مسافات الاماني البعيدة.

انت محق في نشدانك للقمر والنجوم.. انها مضيئة تبرق كأماني الصغار واحلامهم.. ولكن قطاف النجوم.. واقتناص القمر حلم سرابي لو تحقق لكان مدعاة لارتطامنا بواقع تلك النجوم المشعة اللامشعة وبواقع ذلك القمر المضيء.. اللامضيء..

لا.. ياولدي لنكتفِ من النجوم.. ومن القمر بذلك الضوء الساهر السافر من بعيد وليكن حبنا لهما عذريا لايتعدى تباريح الاشتياق الاشتياق لذلك الضوء المتدفق في صمت على آفاق عالمنا الذي يغرق في بحر من بحوره.. حتى وهو يلوح للنجوم حتى وهو يداعب القمر حتى وهو يتوسل كأنة طالباً قطاف النجوم.. واقتناص القمر.. ولكن بأيدي عاجزة عن الصعود.

بهذا .. يجب أن نكرم من يستحق

جميل ان نكرم من يستحقون التكريم.. جميل ان نفتح لهم قلوبنا.. وبيوتنا.. أن نشعرهم بحبنا.. والتصاقنا بهم.. وبالآمال التى نعلقها عليهم.

ولكن الأجمل والأبقى ان تكون ترجمتنا لهذه المشاعر على شكل أدعى الى التقبل. بل والى الرسوخ والبقاء..

واذا كان هذا التكريم في صورته الأولى يستنزف قدراً لا بأس به من المال على هيئة خراف تنحر.. او اقواس تقام.. او خيام تنصب ثم ينتهي بانتهاء المناسبة اليس الأجدر ونحن في مجال التكريم أن نوظف ما نهدره من مال في مشروع خيري أو انساني.. نطلق عليه اسم المحتفى به تكريماً يخلده.. ويبقى على ذكره.. وعلى المناسبة التي اقيم من أجلها..

انني لا اشك مطلقاً في ان من يستحقون التكريم في بلادنا وممن تعودنا ابراز مشاعرنا المخلصة نحوهم.. يسرهم ان يكون تكريمنا لهم مزيداً من الإضافات في لبنات العمل المنتج.. ومزيداً من إقامة المشاريع الخيرية.. والمبرات التي تسجل وفاء المواطنين واحتفاء المواطنين بمناسبات عزيزة.. وغالية عليهم..

واذا كان ما نقوم به اليوم مظهر اكرام لمن يستحقونه فإن هذا الإكرام سوف يكون مضاعفاً.. وباقياً في الذاكرة على خريطة الواقع حين يترجم الى انجاز عمل وطني يضاف الى لبنات بيوتنا الاجتماعية التي ما فتئت تتحرك.. وتطمع في الأفضل والأمثل..

الدعوة الباهظة الثمن

قال محدثي:

قالت زوجتي انا مدعوة إلى عرس فلان..

وفهمت ماذا تعني.. انها تريد قيمة فستان المشاركة.. وفستان المشاركة المتواضع جداً في حدود الخمسة ألاف ريال لاغير..

واشترت زوجتى الفستان وشاركت وانتهى العرس الى خير..

ولما انتهى الشهر على العرس الأول.. واجهتني بالموقف الثاني:

انها مدعوة ايضا الى زواج آخر.. لابد من حضوره كنت اتخيا الأمر مجرد استئذان في الحضور.. ليس الا.. فوافقت.. وهنا ابتسمت في دهاء ومكر.. ثم قالت:

ــ وقيمة الفستان..؟!

ظننتها تهزأ.. قلت لها:

ــ والفستان الذي ارهق جيبي بالأمس.. انك لم تستعمليه الا مرة واحدة.. ثم انه جميل .. انه يكفي..

وصرخت في وجهي كالمذعورة المسعورة على غير عادتها.. وقالت:

ــ ماذا تعني.. اتريد أن أكون اضحوكة.. يتندرن ويهزأن بي ماذا أقول للكثيرات ممن شاهدنني في العرس الأول بنفس الفستان وقد خلعن على انفسهن فساتين جديدة اخرى سواي لابد من فستان آخر للعرس الآخر

قال محدثي:

الويل لمن ركب الموجة.. وشاركت زوجته في افراح الكثيرين .. إن

بضع فساتين لبضع أعراس كافية لأن تقتل جيبه.. ان لم اقل ترهق قلبه.. ومع هذا فلابد لمن يركب الموجة من دفع الثمن .. لابد مهما كانت قوة المقاومة أو المساومة.

عطاء.. لا اخذ

الانسان عطاء لا اخذ

كثيرون اولئك الذين يأخذون فيُؤْخَذُون بما أخذوا وكثيرون ايضا اولئك الذين يُعطون فيعطون بما أعطوا واذا كانت الحياة في وجهيها اخذ وعطاء فإن الوجه الأمثل والأكمل هو ذلك الذي يمنح ولا يمنع.. هو ذلك الذي يجود ولا يسلب.. هو ذلك الذي يضيف ولا ينتقص

إن قدرتنا على الأخذ هي قدرة غريزية يتساوى فيها الانسان مع غيره من الكائنات بدافع أنانيته.. ونهمه.. وجوعه..

اما القدرة على العطاء وحدها فانها وحدها التي تميزنا.. وترقى بنا الى مستوى المفاضلة والفضيلة.. بل انها وحدها تمثل الرصيد الحي الذي يشير الينا بعد ان تتعرى وتتآكل جوانب كثيرة تمثل جانبنا السلبي المجهول على اشباع الغريزة الذاتية..

ان الموت حد فاصل بين حياتين.. حياة للاختبار في صنع الأفضل.. واخرى لا خيار فيها لرصد ذلك الصنع.. الإشارة اليه.. والإشارة به.. وأعتى.. واقسى مظاهر العجز ان لانكون قادرين على ترجمة نوايانا.. وطموحاتنا المثلى الى اعمال.. ووقائع .. الى واقع هو بالنسبة لنا التاريخ. والعطاء .. والاضافة.. ولن يكون لنا صفحة في ذاكرة الزمن اذا ماكانت تلك الصفحة مجرد سلبيات.. مجرد تراكمات مما نأخذ ونستحوذ.. دون ان يكون من بين سطور تلك الصفحة معطيات.. واضافات.. تشير الى وجودنا .. والى جودنا .. الينا كأحياء في العطاء والصنيع.. والصنع.

حين تلجم الكلمات

غسان كنفاني
سليم اللوزي
صلاح الدين البيطار
رياض طه..
هؤلاء وغيرهم ماتوا برصاص الإرهاب الفكري العربي.. قد نتفق مع هؤلاء.. او مع بعضهم وقد نختلف.. إلا أن اتفاقنا واختلافنا يجب ان لايحمله الرشاش.. وتحسمه الطلقة المجنونة الجبانة..

إن الذين يغتالون الفكر جبناء.. عاجزون عن رد الحجة بالحجة.. بل انهم بقتلهم يغتالون قضاياهم.. ويشوهون مساراتهم حتى ولو كانت تحمل كل شعارات.. واشارات الوطنية..

إن لغة الموت في قاموس التخاطب امر مرفوض منطقيا.. واخلاقيا. وانسانياً.. وعلى الذين يرون غير ذلك ان يفتشوا عن حصادهم تحت ركام انقاض التاريخ مجرد اشلاء لايمكن احياءها ولملمتها.. إن الفكر العربي يواجه دماراً.. وقد جرفته دماء ضحاياه.. وقد مزقته رصاصات الاغتيال حتى لايصرخ واذا كان قدر المفكر ان يواجه وحده جنون الغدر.. وصلف الخصومة دون ان يقوى على متابعة استكشاف مستقبله عبر الضباب الكثيف.. والغيوم المتراكمة من حوله.. اذا كان هذا قدر المفكر.. فإن مرحلة من الإحباط والقتل قد تطبق إن عاجلاً او آجلاً.. على مسمار الكلمة الحرة.. لايبقى بعدها الا ما تخطه الرصاصة بدمها وما تكتبه القنبلة بشظاياها وضحاياها.. وهذا في حد ذاته ضياع صارخ يضاف الى ضياع صارخ..
ضياع الشمعة المشيرة الى الطريق وضياع الرؤية الدالة عليه

لا نقول وداعاً

لا نقول «وداعاً» ياضيفنا الكبير.. وانما نقول الى لقاء.. لقد استقبلناك ياشهر الصوم بالفرحة.. وكما استقبلناك بالأمس فإننا نلوح لك اليوم بالشوق.. شوق من يتطلع الى لقاء جديد..

ومن فرحة اللقيا.. وشوق الرحيل والتطلع تبرز لنا سمات من صفاتك آثار من بصماتك.. كلها تذكرنا بك.. بل كلها تؤكد لنا انك الموجود الموجود في خصائصنا.. انك الموجود فيما توحي به من حب وعفة.. وطهر وايثار.. ورحمة.. وصدق.. وعزوف عن اللغو.. والفحش.. والمنكر.. والتعالي..

وحين ترحل اليوم وبأيامك الثلاثين.. فلقد اودعت فينا الفهم.. وزرعت فينا اليقظة لان نكون على مدار العام كله على وفاق معك.. وعلى اتفاق معك.. وعلى عناق معك.

وفاق القيمة في سلوكنا لنمسك عن كل مالا ترضى عنه..

واتفاق الحركة في جادتنا حتى لا ننجرف.. او ننحرف.

اما العناق فإنه الصبوة في دنيا العاشق لحبيب زرع كل بذور الخير في اعماق حبيبه قبل ان يرحل.. وهمس في اذنيه قائلا:

ليكن كل عامك صياماً.. لاعن طعام تطعم.. ولا عن جرعات ماء ترتشف.. وانما عن كل خطأ او خطيئة قد يتعمد شيطانك دفعك اليها..

وانت على باب السفر ايها الوافد الكريم لا نقول لك وداعاً.. وانما الى لقاء متجدد مع كل ما تعنيه من مثل وقيم وفضائل.

العقل الساهر

هل يغمض العقل عينيه كما يغمض الجسم جفنيه ساعة نوم؟!
الدلائل كلها تثبت ان العقل يظل ساهرا حتى في اعمق لحظات السبات واغرقها والا فبماذا نفسر صحوة الأحلام لدى النائم التي تمثل امتدادا ليقظته وصحوه.. بل ان مؤشرات أخرى اكثر دلالة ووضوحاً تدلنا على هذا الاستنتاج لتؤكد لنا ان العقل يصحو.. ولا يغفو الا حين يلفظ الجسد انفاسه..
من هذه المؤشرات ماحدث لأحد كبار الموسيقيين الذي استعصى عليه اللحن المطلوب عدة مرات.. واجهد.. ونام وهو مستغرق في نومه رأى ابليس جالساً الى جواره يدندن باللحن المطلوب.. فاستيقظ مرعوباً ومازالت ترن في اذنيه نغمات اللحن الهارب.. ووضع اللحن.. الذى عرف فيما بعد بلحن ابليس.. ومن هذه المؤشرات عالم الرياضيات الذي اختلطت لديه الصور أمام معادلة رياضية صعبة استغرقت منه الوقت الطويل.. ونام متعباً مكدوداً ليجد حل تلك المعادلة وهو في نومه.. بعد ان عجز في يقظته.. وقائع من المواقف لصحوة العقل التي لاتدع لدينا ذرة من شك في استمرارية يقظته ليلاً.. نهارا كما لو كان حارساً للجسم..
وحافظا للحياة المبصرة حتى وهي على فراشها.
وبالعقل وحده.. ينام الإنسان ويصحو.. دون ان يفتقد ادراكه لما حوله .. ولمن حوله.. ذلك ان لاقطته المستمرة تمثل الخيط الرفيع الفاصل بين الحياة والموت.

ماذا يعني السجن للسجين؟!

السجن قبل ان يكون عقاباً لمخطىء فهو وسيلة اصلاح لذلك الخطأ.. واذا كانت الجريمة في حياة الإنسان مفتقرة الى جزاء يردعها.. ويثنيها عن الاستمرار في خط سيرها المعوج.. واذا كان السجن بمثابة ردع.. وعزل.. لأولئك الذين تخطوَّ عتبات المسلَّم به.. الى ما يرفضه المجتمع.. ويعاقب عليه العرف.. فإن السجن وحده رغم قسوته قد يعطي للسجين اضافات شريرة لا تكبح جماحه.. ولا تقتل في نفسه نوازع الاجرام.. ومؤثراتها .. بل انها في احيان تزيد في شراستها.. وصلفها.. ونقمتها.. من هنا.. فإن السجن يجب ان يتحول من زنزانة عقوبة موصدة النوافذ والأبواب.. الى مدرسة تمنح النزيل فهماً جديداً للحياة.. وذوقا جديداً الى أمل قد يكون في حاجة اليه.. والى ضرورة له.. قبل.. وبعد

والمجرمون مرضى.. تتفاوت امراضهم خطورة وعلاجاً .. حسب تركيباتهم النفسية المضطربة.. وتعاملهم مع الأشياء.. في خشية.. او حقد..

انهم مرضى لايشكون ألماً في اجسادهم.. ولكن يشتكون آلاماً فى نفسياتهم المريضة ربما كان لتراكم مشاكلهم.. الأثر كله في انجرافهم.. وانحرافهم.. ومادام هؤلاء مرضى سلوك.. فإن انجع علاج لاعادتهم الى ارضية الشفاء ان نحيل سجونهم الصامتة المغلقة الى غرف مصحات.. والى مايشبه فصول المدرسة التي تعينهم على الاستذكار.. وتعيد اليهم ثقة اهتزت او تلاشت عبر ضباب الخطأ.. او الخطيئة.

صعود الى الهاوية

«دعاء الكروان» «التلميذة» «شفيقة القبطية» «الخرساء» «الخطايا» «غزل البنات» نماذج انسانية حية لأفلام الأمس.. ترى أين هي هذه النماذج من أفلام اليوم.. وما تدفع به الشاشة الكبيرة من أعمال سينمائية تبهر الأنظار بألوانها.. دون ان يكون لها حصيلة حين تفرغ في وجدانات المشاهدين.. وتمتزج بمشاعرهم.. واذا استثنيا تلك القلة القليلة من الاعمال الجديدة الجيدة التي لاتكاد تتجاوز اصابع اليد الواحدة. والتي هي دون شك نسخة جديدة من افلام الأمس في قصتها.. وحوارها.. وان اختلف المسمى فإننا بذلك نصل الى نتيجة حزينة هو ان الاخصاب الفكري الذي كان يمد السينما بأعمال عظيمة منتزعة من واقع الحياة قد نضب أو أوشك.. ناهيك بأبطال الشاشة الذين كانت ادوارهم الخالدة منطلقة من انفعالهم.. وترجمتهم للمواقف.. والمشاهد التي يؤدونها كما لو كانوا ابطالها الحقيقيين..

إن الصورة تبدو قاتمة.. وترسم ظلالًا من خيبة الأمل.. بل انه لاتكاد تكون معادلة عادلة.. ولا مقارنة مقبولة بين الفن في الماضي.. وما هو عليه الآن.. فأفلام الأمس.. ومسرحيات الأمس.. واغنيات الأمس.. والحان الأمس تقف شامخة حية تتحدى كل اعمال اليوم..

ويكفي أن عملًا سينمائيا.. او مسرحياً .. قديماً.. يشدك .. ويبهرك ويستولى على مشاعرك.. دون ان تجد هذا الشد.. وهذا الانبهار.. وهذا الاعجاب في عمل جديد جندت له كل وسائل الجذب.. وامكانياته.. لسبب بسيط هو انه يفتقر.. ويفتقد اهم خصائصه ومقوماته.. أعني الفن الرفيع.

حين تستعصي الدموع

اقسى ما على المرء أن تنحبس دموعه في مآقيه.. ان تستعصي عليه لحظة تأثر .. ان لايبكي..

واذا كانت دموع الناس تمثل الاستجابة الواقعية لانفعالاتهم النفسية.. لحظة فرح.. او لحظة ترح.. تنزاح معها عن كواهلهم.. وعن مكامن نفوسهم تلك الارهاصات المتدافقة داخلها. وتسري عنهم في نشوة وتقبل.. فإن انحباسها.. وانغلاقها داخل جدار الحس والنفس يعطي لصاحبها اضافة جديدة من التراكمات.. والكبت.. يؤذي الأعماق.. إن لم أقل يفجرها..

وكما يشرق المرء بريقه فتختنق انفاسه او تكاد .. يكون أيضا استعصاء الدمع في عينيه المتعطشتين الى البكاء.. والتعبير عن خلجات النفس المنفعلة.. انه لون من العذاب الحسي الذي يكوي دون ان تبدو له اورام ظاهرة مرئية..

لقد حاولت أن استنجد بدموعي أمام موقف مؤثر بكيت له في اعماقي فما استطعت.. وكان الحمل ثقيلا ثقيلًا احسسته في نظراتي الجافة الشاردة الحائرة.. كنت كمن يندفع على الجمر بكلتا رجليه ويديه فيكتوي.. ويكتوي.. ولكنه لايجد القدرة على الصراخ لأن باب سجن فمه موصد..

إن قطرة دمع من سحابة العين تروي ظمأ النفس.. وتخفف إن لم نقل تجفف أوار وسعار الاحزان حين تندفع من الأعماق في حياة الانسان أمام موقف من المواقف المؤثرة

التعامل مع الاشياء

قال لمحدثه

لماذا تشرب الغليون.؟ اننى لااكرهه لذاته.. وانما اكرهه لصفاته.. اكرهه لأن فلانا يشربه.. ان عليك ان ترفضه.. وتتخلى عنه لهذا السبب.. وكان الرد عليه في منتهى الهدوء..: قال:

لو انني تعاملت مع الأشياء وفق تعاملي مع اصحابها.. لو انني رفضتها لرفضي لممارستها.. لما شربت.. ولما طعمت.. ولما صحوت.. ولما نمت.. ولما لبست.. ولما تحدثت..

قال:

لأن الكثيرين ممن يشربون ويطعمون.. ولأن الكثيرين ممن يصحون وينامون.. ولأن الكثيرين ممن يلبسون.. ويتكلمون لا تتفق معهم.. ولا تتوافق معهم طباعاً ومسلكاً.. كما ان فيهم الأكثر ممن ترتاح اليه.. وتستريح له نفسك.. وتتفق واياه وتتوافق معه..

صحيح ان الذبابة اذا وقعت في الاناء اساءت الى الماء فيه.. ولكن ليس الى كل الماء من حوله. مثل الذبابة كمثل صاحبنا الذي تشير اليه.. وتشير الى غليونه.. انه يتحمل وزر غليونه.. أو ان غليونه يتحمل وزره.. الا ان هذا الوزر وهذه الاساءة لا تتعداه الى كل شبيه.. والا لم يبق شيء .. ولن يؤخذ شيء.. ولم يعط شيء..

قال:

ومع هذا فقد عرفت الغليون قبل ان اعرف فلاناً.. وربما أيام كان فلان ملء السمع والبصر.. قبل ان يفقد كل شيء.. الا دخان غليونه المتصاعد من بين شفتيه السوداوين الواسعتين.

وللجنون اشكال

سواء بسواء .. وكما يتصرف المجنون فاقد العقل يتصرف الأحمق شارد العقل.. كلاهما يتصرف دون وعي.. أو حساب.. ولا تقدير للنتائج..

واذا كان الجنون اندفاع غير مقيد في التصرف لايحكمه ضابط.. ولا تشده مساءلة.. يأتي الغضب في حياة العقلاء اشبه بمحطات صغيرة متناثرة.. قليلة او متكاثرة.. محطات يفتقد فيها العاقل توازنه.. ويخرج عن سيطرة شعوره ليتحول الى مجنون كل ما فيه ينم عن جنونه .. تصرفاته العملية..

اضطراباته.. وتشنجاته الجسدية..

ملامح وجهه التي تتحول الى مايشبه المسخ..

ويكفي لأحدنا لكي يدرك دمامة.. وحقارة.. وسفاهة الحمق أن يتطلع الى وجهه ساعة غضب يتطلع الى ملامحه المتغيرة.. الى عينيه الزائغتين.. الى رعشة يديه.. الى تصرفاته الهوجاء الحمقاء ليدرك اي حالة من الجنون والفوضى عاش.. وأي انسلاخ من العقل أوغل.. وأي حصاد من الأخطاء جنى..

مجرد نظرة لأحدنا في وجهه ساعة غضب كفيلة بأن تقنعه بأن الحماقة ضرب من الجنون.. وان الأحمق مجنون مجنون تتوازعه صرعته على فترات.. وفي مواقف .. يصحو بعدها الى نفسه الا انه لا يلبث ان يعود الى تشنجاته من جديد..

الضحايا يتكاثرون

ضحايا الزعل.. او ضحايا السكر يتكاثرون يوماً بعد يوم.. وهذا مؤشر خطير للغاية يشير الى ما يتجسد في مجتمعنا من تراكمات.. ومشاكل لا يقوى على مواجهتها.. أو على الأقل على تذليلها والخلاص من عنف صدماتها.. واذا كان التبلد مطلباً مرفوضاً رغم اغراءاته.. وما يتيح لصاحبه من هامشية تنقله من دنيا الواقع الى مايشبه الخيال الحالم.. فإن الاحتراق ايضا مواجهة مدمرة لنفس صاحبها تسلمه الى التحطيم النفسي والجسدي دون ان يقوى على الثبات.. حتى ولو حاول.. حتى ولو تظاهر..

واذا كانت الأوبئة والجراثيم مصدراً اساسياً في نقل المعاناة والأمراض بما تفرغه في الحصيلة من بؤر مدمرة.. فإن الصدمات النفسية لا تقل خطورة في نتائجها وانعكاساتها على الجسد بما تفرزه من هموم أشبه ما تكون.. بالسموم الصاعقة..

ولكن هل نقوى على مواجهة ازماتنا دون ان تستفزنا هذه الازمات..؟ ودون ان تثير ثائرتنا؟؟..

ان الابتعاد عن مواجهتها في شكل دراماتيكي وبشيء من التبسيط.. والاستسلام المرحلي قد يكون الأقرب الى معايشتها دون ضحايا.. هذا اذا كان في مقدورنا ان نفرض وصياية حديدية داخل ذاتنا تحدد مسار تكيفها بالأحداث.. وصدماتها..

وإلا فإن ضحايا المشاكل بالجلطات.. وبانفجار المخ.. وبالسكتة القلبية.. وبمرض السكر وهو اخفها سوف يقفزون وبأرقام مخيفة.. لأن ضغط النفس داء رهيب عضال لايرحم.

حين تخلو الدار

السكن موحش يلفه الصمت المطبق .. الا من بعض نقرات اقدام أطبعها على الأرض محاولًا ايهام نفسي انها أصداء خطوات اطفالي الصغار الذين عمرت بهم الدار والذين غادروها في رحلة قصيرة الزمن ولكنها طويلة المعاناة الى اهليهم.. ومعارفهم.. الوحدة وحدها تعتمر كل شيء .. فلا الصمت صمت هادىء .. ولا الخلوة التي اعيشها واتناول جرعاتها حلوة..

كان ضجيجهم.. وصراخهم يستفزني.. كانت شقاوتهم.. وما اكثرها وألذها تلتهم من راحتي الكثير.. وتلتهم من صبري الأكثر أصرخ مع المتزوجين المنجبين المتعبين.. قائلا:

«ما أحلى ان يكون المرء دون اطفال أشقياء.. دون أطفال بالمرة»

ويوم ان تركوا الي الدار مقفرة موحشة ادركت خطأ حساباتي.. ادركت كم هي غلطة كبيرة أن اتمنى الحرمان منهم.. وان اتمسك بالوهم.. ادركت كم هي نعمة تلك البراعم الصغيرة المقدودة من فلذات اكبادنا.. والتي نضيق بشقاوتها ونتبرم.. ولكننا لا نستطيع العيش دون شقاوتها الحلوة.. المرة.. الحلوة..

إن حياة الانسان مزرعة.. يمثل أطفالنا فيها كل الثمار.. كل الزهور كل المروج.. كل الظلال.. كل الأمل.. كل الروح.. وكل الريحان..

واذا كانت الثمار.. والزهور لاتأتي عفوا دون صبر.. دون رضى بالجهد.. وبالاقتدار عليه دون تقبل لمتاعب نموها.. فان اطفالنا الصغار وهم الأغلى لاتكون سعادتهم الا مع شقاوتهم البريئة المحببة..

البيت دون عش دون اطفال.. كالاطلال التي لاحياة فيها.. ولاظلال.

التعامل المطحلب

قاسٍ وظالم هذا المثل الذي يقول «عامل الناس بما يعاملونك به» ورحيم عادل حكيم ذلك المثل الذي يقول «عامل الناس بما تحب ان يعاملـوك به» واذا كان الجزاء من جنس العمل كما يقولون فإن خيارات العمل والجزاء أمامنا مفتوحة لكي نأخذ الصنيع الأفضل لنعطي البديل الأمثل.. ولكي يكون ثوابنا مطلوباً مرغوباً ولكي يكون ردنا مقبولًا معقولًا.. ذلك ان ماتتمناه ونحبه من الآخرين هو نفس ما نتمنى ونرغب ان ينالوه منا..

ان عشوائية المعاملة بالمثل دون خيار تطرح من حساباتها كل تمييز بين ماهو مطلوب وما هو مرفوض وبالتالي يتحول التعامل الى لون من الصدم العاطفي الذي يقابل الصراخ بصراخ.. ويواجه الإساءة بإساءة.. وبشحن العواطف الثائرة بشحنات من الكراهية والتشفي.. وعدم الالتقاء امام نقط لقاء..

ولكي نضبط كفتي الميزان في مواجهتنا لحقائق التعامل مع الآخرين دون بخس في المكيال او في الميزان فإن إبصارنا للعمل وردِّ فعله يجب ان يكون واعياً مستمداً من خيارنا للأفضل وللأمثل.. وهو مايمكن ان نعطيه للغير. وما يمكن ان تأخذه منهم بالمقابل في مجال التعامل..

وما دمنا نحب العمل المقبول من غيرنا فإن علينا ان نعطي الجزء المقبول لغيرنا.. حتى ولو كانت هناك اساءة.. حتى ولو كان هناك تجاوز.. حتى ولو كانت هناك غلطة ولكي لا نكرر الغلط فتتضاعف الخسارة.. وتنقطع بذلك شعرة معاوية.

رب ضارة نافعة

«رب ضارة نافعة»

وفي حياة كل واحد منا صدمات تواجهه.. يود لو لم تكن.. وتحولات قسرية يتمنى لو لم تحصل..

ولو كان الخيار في يدنا لأمسكنا بتلابيب ما اعتدنا عليه ..وألفناه حتى ولو لم يكن في بعض حالاته يدغدغ طموحاتنا.. او يتمشى مع امنياتنا الا اننا في مواقف معينة لا خيار لنا فيها ننجذب الى مسالك جديدة مغايرة تماما لخط سيرنا الأول .. ويتملكنا الصراع.. ونستنفد المقاومة.. ونعبر الدرب الجديد دون رغبة او رضى دون ان ندري انه الافضل والأنجح.. والأقوم..

ان بعض الانعطافات القسرية المفاجأة والطارئة في حياة بعض الناس صبغت تحولاتهم بصبغة النجاح.. ويكفي أن نسبة من عظماء التاريخ كانوا ناساً عاديين وقفزوا الى مصاف المشاهير بفعل فشل أو ملل.. او صدمة اعترضتهم في مرحلة من مراحل حياتهم.. ولكن انتصروا بعد اكثر من محاولة

واذا كان الانسان مسيراً لا مخيراً كما يقولون فإن بعض التراجعات وهي جزء من التحرك وان بعض الصدمات وهي جزء من نتائج ذلك التحرك اشبه ما تكون بتصحيح المسار في نقلة نجهلها.. ونخافها..ولكننا في النهاية نحمدها ونجني ثمارها .. ونعزف على اوتارها

ومن هنا فإن بعض مانراه ضرراً بحكم تصورنا القاصر.. قد يتحول الى كسب أو نفع لأنه فتح امامنا باباً جديداً لم يكن في حسابنا ولا في حسباننا.. باباً يمكن ان نطلق عليه باب المفاجآت القسرية السعيدة

جسر الصداقة

«الصداقة» أو الجسر الذي نقيمه بعلاقاتنا الحسنة مع الآخرين رباط يجب ان نحرص عليه.. ونقيه خطر التداعي.. والانهيار..

والذين يزنون الأمور بميزان الحكمة والرؤية يرون ان أي خلاف طارىء مهما كان حجمه يعترض علاقات الصداقات يجب أن لايفتح ثغرة في جدار الصداقة.. يؤثر عليها.. ويهز من تماسكها صحيح ان لا صداقة تخلو من هفوات.. ولا اصدقاء دون عتب والعتب بالنسبة للصداقة ظاهرة صحية مطلوبة عند مواقف محددة يتطلبها العتب..

ويبقى الحب مابقي العتاب..

والعتب وحده ليس خطراً على الصداقات.. وانما الخطر يتمثل في المواقف المختلفة المتصادمة والتي تشكل بعداً بتأثيرها السلبي على مسار العلاقات.. وعلى مستوى الثقة التي تمثل الربط الفاعل الضاغط في بنية الجسر.. وامتداده..

واذا كانت الخلافات بأحجامها.. واوزانها لاتكاد تمثل الا شريحة صغيرة في جسم المجهود الضخم من العلاقات القائمة بين الأصدقاء.. فإن خطورة الاحباط لهذه العلاقات بفعل نفسي منفعل ومندفع أمر يصعب تجاهله.. أو القبول به حين يقع.. ذلك ان الجسر الموصل بين انسان وآخر يعني ان يداً مفتوحة تمتد الى أخرى.. واليد الواحدة لا تصفق كما يقولون..

ملامحهم تدل على احزانهم

لو قُدِّر لك وانت تعبر الطريق ــ أي طريق ــ ان تتعمق في ملامح المارة من حولك.. ان تبصرها بحسك الباطن لتراءى لك عليه كل صورة تشهدها ملامح مأساة.. او ملامح مشكلة.. او ملامح قلق دفين.. او ملامح حيرة تبحث عن قرار..

حتى تلك الملامح التي تعلوها ابتسامة.. انها نقط تتعامل مع صدفة حظ لايكاد يطل حتى يختفي مخلفاً بعده الكثير والكثير من التجهم.. او التألم.. او التبرم..

واذا كانت رقعة كرتنا الأرضية تتسع اليوم لثلاثة بلايين من البشر يتوالدون.. ويتوافدون.. ويتراكضون في موكب الزحام.. وعبر غباره الخانق.. فان ثلاثة بلايين مشكلة على الأقل تتقمص حياتهم.. وتتدافع مع انفاسهم ومع خطاهم دون ان تقوى قدراتهم المادية على انتزاع فتيلها.. ومن ثم انفجارها.. ولعل هذا يعني أن ميلاد الانسان هو ميلاد وضع تشكل السلبية احد جوانبه بكل ماتعنيه من معاناة.. ومواجهة.. ومجابهة..

صحيح ان قدرات الانسان تتفاوت بالنسبة للصراع نفسه.. والسلاح الذي يمكن ان يعده لمقاومة هذه المشاكل.. والتعامل معها.. الا ان الصحيح ايضا ان المشكلة خميرة مستقرة مزجت بها بذرة تكوينه.. فجاءت ملازمة.. وان احتجبت بعض فصولها في مرحلة من حياته.. الا ان انسدال الستار لابد ان ينتهي مع انتهاء فترة استراحة قد لاتطول.. وقد تكون قصيرة جداً..

كل من لاقيت يشكو دهره

ليت شعري هذه الدنيا لمن؟

ولعلي اجد الجواب في صميم تساؤل الشاعر.. مستدركاً ان الدنيا للشكوى.. لأن الشكوى احدى مظاهر التعلق بأهداب الأمل.. وبأهداب الألم ايضا.

ويتطور الزمـن

يوم ان ولدت لم يكن وجد«الحاكي» .. وهو الاسم الذي أطلقته مجامع اللغه العربية على جهاز الراديو..

سمعته قبل ان أراه.. ورأيته لأول مرة وانا في اواسط العقد الثاني من عمري.. ويوم ان ولد اول ابنائي اكتحلت عيناه على صورة«المرنان» وهو الاسم الذي اطلقته مجامع اللغة العربية ايضا على جهاز التلفزة.. لقد تعرف عليه صغيراً الصورة والصوت .. بينما افتقدتهما جميعاً أيام طفولتي.. ولم اعثر وقد كبرت الا على الصوت وحده

وبعد ولدي الأول.. جاء الثاني وكانت بينهما فسحة من زمن.. جاء الثاني لتبهر عينيه الأضواء والاشكال الملونة المنبعثة من جهاز التلفزة الملون.. قرابة ربع قرن من الزمان او تزيد قليلًا ترك المعلم فيها بصماته على حائط بيتنا.. فبعد الصمت المطبق.. كان صوت الجديد الفصيح.. ثم صوته مشغوفاً بصورة لا الوان فيها.. ثم صوته والصورة الزاهية المتناهية الدقة.. عمر قصير في عمر الزمن.. وفترة خاطفة في حياة العلم والابتكار.. ومن يدري غداً.. ومن يدري بعد غد بماذا سيفاجأ الموجودون.. وبماذا سيفاجأ المولودون.. لقد علمتنا الحياة ان لاجديد تحت الشمس الجديد وحده هو لحظة الاكتشاف.. او ميلاد الاختراع.. اما ما عدا ذلك ففترة انتظار وترقب قد تطول وقد تقصر ليس الا..

المهم القيمة

الورد ينبت احياناً في الوحل دون ان يشينه.. دون ان ينتقص من اريجه وشذاه..

ومثله الشوك ايضا فانه يتسلل احياناً وسط حديقة غناء تملؤها الورود وتغطيها الرياحين.

من هنا فإن الأرضية أية ارضية قد لاتكون وردا كلها.. ولا شوكا كلها.. وانما هي مزيج من الورد والشوك ولكن بنسب متفاوتة.. وكما هي ارضية التراب تأتي ارضية البشر متفاوتة الخصوبة.. بل ومتباينة الخصوبة ايضا في المنبت الواحد.. وفى البيت الواحد.. في الأسرة الواحدة يضمخ انفاسك شذى وردة او اكثر وتلسع اناملك شوكة حادة تربض الى جوارها..

قد يكون الورد اكثر.. وقد يكون الشوك اكثر.. وفقا لخصوبة التربة او خصوبة الأرض.. الا أن البنية الواحدة من هذا ومن ذاك واردة.. قائمة لا مكان لتجاهلها..

من هنا فإن حكمنا على الأشياء يجب ان لايكون عمومياً.. ان لانربطه بما حوله وبمن حوله.. وانما ننتزعه من عينية الشيء نفسه دون سواه فكم نبتة صالحة برزت في محيط تحكمه الشبهة.. والأوحال.. دون أن ينال ذلك من خصائصها.. ونموها.. ونقائها..

وكم شوكة مدببة المخلب مسيلة للدم نبتت وسط غابة من الورود.. والأقاحي، والفل، دون ان تطعم من اريجها وعطرها..

حتى في المنبت الواحد.. وفى البيت الواحد تختلف الثمار.. وتتفاوت الأشجار ولكن بنسب متفاوتة متباينة.

ضريبة التعامل

بمقدار ما نأخذ ندفع.. او بمقدار مانعطى يطلب منا أن نعطي.. تلك هي ضريبة التعامل..

وحتي في الطبيعة انها تمنح الكثيرين.. وتمنع عن الكثيرين.. تمنح للكثيرين ولكن بثمن باهض وتمنع عن الكثيرين ولكن بلا ثمن.. واحيانا بثمن ثمين..

○ الجبال الشاهقة الخضراء.. وهي اشبه بالجنان المعلقة بين السماء والأرض.. بجداولها.. وبجدائلها التي نسجت من اغصان الشجر.. بثلوجها وبمروجها.. إنها حلم كل حالم.. ومع هذا فإن تركيبتها المتميزة تأبى الا أن تفتح ثغرة عبر مواقعها.. ثغرة الزلازل وهزتها وضحاياها..

○ النهر العظيم بانسيابه.. وبروافده.. بكل فيضه وعطائه.. بما يعطيه لشطآنه وما حوله من ربيع دائم لايعرف العطش.. انه يثور في لحظة من لحظاته فيغرق ما حوله.. وكل من حوله.. وسط لج مخيف من فيضاناته التي لاترحم..

○ الصحارى الجرداء.. ولفح قيظها الحارق.. وشتاؤها الخانق .. انها ايضا تعتمر في جوفها بالأمان لأولئك الصابرين.. من هزات الزلازل.. وحمم البراكين.. وطوفان الفيضانات.. بل انها وفي مجملها تفتح له خزائن خيراتها.. وذهبها الأسود والأحمر.. لتعوضهم.. وتدفع عنهم قسوة المعاناة.. وقوة المواجهة.. تجسيداً لعدالة المعادلة..

عطاء .. واخذ.. واخذ وعطاء .. ودولاب يدور ويدور دون ان يتوقف

التناول المؤقت للأشياء

قال محدثي:

ــ في العالم النامي وفي معظم الاحيان يكون تناولنا للأشياء مؤقتا وقتيا تحكمه الضيافة وتصبغه المناسبة.. بل ان العلاج الذي نعطيه لايعدو ان يكون مسكنات ومهدئات لايدفع عن معاني معاناته.. ولا عن فاقد حاجته

بل اننا احياناً لا نتحرك الا اذا جاءت دفعة الحركة مفروضة علينا .. ممن يملكون الفرض والمساءلة.. الثواب والعقاب..

قال محدثي:

ــ خذ مثلا بعض الشوارع والأزقة التى تغطيها الحفر ان صدفة واحدة او مناسبة واحدة تدفع بمسئول كبير لاجتياز الشارع او الزقاق تقتضي لمن هم في مستوى المسئولية الأدنى بسرعة التحرك لتنفيذ ذلك الطريق.. ولرصف ذلك الزقاق..

خذ مثلًا الكثير من المؤسسات .. والدوائر انها تلبس أبهى حللها شكلًا ومضموناً واستعداداً لحظة زيارة مسئول لها.. الا ان كل شيء يعود الى سابق عهده لحظة أن يقف الركب.. وتنتهي الزيارة المحددة..

نفس الصورة بالنسبة لمرافق كثيرة في العالم النامي لا تجد الاهتمام بها الا اذا كانت على موعد مسبق مع مسئول قادر على الضبط والربط والمساءلة..

قال محدثي:ــ

ــ ان افضل وسيلة يمكن للمسئولين التعرف من خلالها على

القصور والنقص والإهمال هو ان تكون الزيارات للمرافق غير محسوبة ولا معدة.. ان تكون لها قوة المفاجأة وصدماتها إن الزيارات المفاجئة وحدها هي التي تمنح الوقوف على الحقائق كما هي دون طلاء.. دون علاج وقتي لايجدي..

ــ قال ان حضور الضمير ومساءلته ادعى واهم من حضور الوزير ومساءلته.. من هنا فإن تصرفاتنا وخطواتنا العملية يجب ان تكون محسوبة واعية أمينة كما لو أن المسئول المسائل معنا كل يوم.. بل كل ساعة.. كما لو كان كل فرد منا هو ذلك المسئول نفسه.

اليوم.. كالعمر

«اليوم في حياة الانسان«كالعمر»في حياته..
لليوم صبح.. وظهيرة.. ومساء..
وللعمر كاليوم طفولة.. ورجولة.. فكهولة..
الصبح ايذان ببداية النهار.. والظهيرة منتهى عنفوانه وتوجهه.. أما المساء فانه يعني افول شمس النهار.. واحتضاره..

ومثل اليوم يأتي العمر.. الطفولة في بداية.. والرجولة فيه اشتداد او امتداد اما الكهولة وانها تعني نهاية الدرب أمام حائط الرحيل..

أوجه الشبه قائمة وكبيرة بين نقلة الإنسان عبر جادة حياته.. وبين اليوم عبر جادة مطافه.. كلاهما يترعرع.. ثم يزهر.. ثم يجف.. وتدور معهما دورة الزمن في ميلاد جديد.. ونقلة جديدة..

وما اعظمه ذلك السؤال الذي طرحه احد الحكماء الفلاسفة على تلامذته دون ان يعرفوه قبل ان يعرفهم به..

قال:

« ماهو ذلك الشيء الذي يمشي صباحاً على اربع.. وبعد الظهر على اثنين.. ومساء على ثلاث..

ولما لم يجيبوه.. قال:

«انه الانسان الصبح قد يعني الطفولة فهو يزحف على يدين وقدمين.. والظهر فيه الرجولة فهو يمشي على قدمين.. اما المساء فيه فيعني الكهولة.. انه يستعين على عكاز الى جانب قدميه من فرط إجهاده وضعفه ووهنه.

الباحث عن عيده

قال:

ــ حسبت المناسبات والأعياد.. وما اكثرها .. فما الفيت فيها موقعا لي..

قلت:

ــ لا اكاد افهم ما تعني..؟!

قال:

ــ مثلًا هناك عام للطفل.. وعيد الأم.. ولكن لم اسمع ان عيداً للأب قد احتفي به..

قلت:

ــ ولكن عام الطفل توقيت عالمي يستهدف توجيه قدرات الانسان وطاقاته الفكرية والمادية من اجل خدمة البراعم الصغيرة.. تغذيتها.. تربيتها.. انتشالها من براثن الجوع.. والمرض.. والجهل..

وعيد الأم لمسة وفاء وتكريم للمرأة التي كرست كل حياتها.. في سبيل انماء تلك البراعم الصغيرة ورعايتها حتى ترعرعت واستوت على عودها..

عام الطفل او الطفولة تحرك للآباء من اجل ابنائهم لأنهم الأكبر قدرة.. والأكثر ممارسة..

وعيد الأم مجرد رمز عظيم من الاطفال لأمهاتهم.. فماذا تريد انت؟!..

قال متسائلا:

ــ والأب .. أليس له الحق في ان ينال نصيبه من هذا الرمز العظيم..؟

ـ إنه أب.. أعطى .. واعطى.. واعطى..

قلت:

ـ ولكن الأم تختلف.. أحقية.. وأسبقية.. ان مشاعرها لاتقوى على الصدمات لأنها أم.. اما انت.. وأنا فيكفينا عيداً ان نبارك وان نشارك فلذات اكبادنا عامهم.. وعيد امهاتهم.. اننا بذلك نحيي اعياد الأسرة بأكملها بما فيهم كل الآباء الذين ينتظرون عيداً لهم..

حين تختلط الصور

حواء«المرأة» تقص شعر رأسها لتستعير عنه بباروكة من صنع الايدي رافضة ماحباها الله.وآدم «الرجل» يسدل خصلات شعر رأسه ساداً بذلك الفراغ الذي خلفته حواء .. كلاهما احتل مكان الثاني.. ولكن في اختلال مرفوض..

بعض مظاهر التناقض في المجتمعات البشرية.. مجتمع المرأة والرجل..

ليس هذا فحسب.. بل ان في الرجال من خلق السعي وراء لقمة العيش تاركا أمر السعي لزوجته مكتفياً من الحياة بتلك الساعات الخاملة المهملة التي تقضيها بل تقتلها في مقهى.. او في ملهى مخترعاً من زوجته كل جهدها.. وكل مايناله عرقها المتواصل من نصيب.. وكدح..

كثيرة هذه الصور من حولنا.. وان لم تكن لدينا.. الا أنها الجزء من لوحة ترسم لنا كيف يتخلى آدم عن موقعه لتزحف اليه حواء راضية او مرغمة بواقع التشابك.. او بدافع العراك.. والخلل .. والضرورة..

وقصة حواء.. وقصة آدم.. مليئة مليئة بكل مايثري القلم.. بكل ما يضحكه ويبكيه..

فرض السيطرة احيانا الى درجة الاستعباد..

ورفض المسئولية احيانا الى درجة الفوضى.. والضعف..

تحميل المرأة فوق طاقتها وقدرتها.. بل وما ليست مسئولة عنه بحكم عدم سيطرتها عليه.

وإهمالها .. واغفالها في صور عديدة الى درجة قتلها نفسياً.. وانسانياً.. واسريا والرجل.. والمرأة.. وجهان لمرآة واحدة.. لايصح احدهما ولا يصلح بدون الآخر وانما في ضبط.. وربط.. تجسيد للمواقع دون تداخل يخل.. ودون تضارب يدفع الى الصدام.. بل ودون ان يتقمص أحدهما شكل الآخر وخصائص الآخر.. حتى ولو كان على مستوى قص الشعر واطالته.

الصديق.. وقت الضيق

ديجور الضيق وحده هو الذي يكشف لنا شمعة الصديق الوفي..
فلا الابتسامات وحدها دلالة على الحب..
ولا زيارات المجاملات وحدها علامة على الوفاء..
ولا الولائم والغرائم وحدها ايضا اشارة كافية على الصفاء..
وكما يقولون:
فإن الشمعة شعلة ضخمة في ديجور الظلمة.. فكذلك الأصدقاء انهم وحدهم هم الذين لا تجرفهم موجة الجحود او العقوق او التنكر فتباعد بينك وبينهم حين يتخلى الكثيرون عنك..
لقد جفت ابتسامات كثيرة لأن مداد الحظ جف في حياة احدنا ولقد انقطعت زيارات كثيرة لأن قافة المال قفلت ابوابها في وجه احدنا..
ولقد توالت الأيام العجاف دون ولائم او عزائم لأن المنصب الكبير الذي يحتله احدنا اهتز من بين أقدامه وسقط..
ويبقى بعد كل هذا.. يبقى حفنة من الناس لا تصرعهم صرعة النفاق ولا يمتطون موجة الرياء.. يبقون في وفائهم.. وفي ولائهم لعلاقاتهم الانسانية بعيداً عن المؤثرات.. ومؤشرات الصرعة الأخلاقية.. ووسط غمة ليل العلاقات البشرية تبدو لوحة صغيرة تبرق في الافق البعيد.. وقد كتب عليها بحروف من نور«الصديق هو ذلك الذي تجده عند الضيق»

الشكل.. والمضمون

الدين عقيدة.. وعبادة..

وهو الى جانب ذلك ممارسة عملية لكل القيم والاخلاقيات التي نادى بها .. ودعا اليها..

الذوق.

النظافة.

الصديق.

الأمانة..

حسن المعاملة.

البر.. والاحسان

الرحمة..

الوقفة الصادقة مع مظلوم ..

الوقفة الصارمة مع ظالم..

العمل.. والبناء من اجل اسعاد الآخرين..

الصراحة في القول.. والوضوح في الممارسة..

نقد الذات ومساءلتها في تصرفاتها..

كل هذا.. عناصر.. واخلاقيات دعت اليها العقيدة.. وجاء بها الدين..

ولو اننا طبقنا احكام ديننا قولًا وعملا.. شكلًا ومضمونا.. مخبراً.. وجوهراً.. لواننا حكمناه عن وعي واقتدار في كل حركاتنا وسكناتنا لكنا في وضع متميز نحسد عليه.. ونحترم من أجله..

ولكن.. مازلنا في حاجة الى فهم اكبر.. ووعي اكثر لفلسفة عقيدتنا..

ومدلولاتها.. ومضامينها التي تتعدى اطار الشكل وتتجاوزه الى ماهو أبعد.. وأرحب.. وأعمق.. لأنها القيم التي يقوم ويرتكز عليها بناء الحياة حاضراً.. ومستقبلاً ومصيراً

المسلم.. المسالم

المسلم من سلم الناس من لسانه ويده..

ترى كم واحد في العشرة او في المائة منا كمسلمين التزم في تعامله مع الغير وفق هذه القاعدة الأخلاقية المثلى؟!.

لايكفي ابداً كمسلمين ان نقيم شعائر ديننا بعيداً عن روح فهمنا الواعي لأبسط قواعده.. ومضامينه..

لايكفى ابدا كمسلمين أن نكتفى من الدين بتلك الطقوس والشعائر فيما بيننا وبين خالقنا جل شأنه.. ثم نتجاهل عن عمد او جهل ما يفرضه الدين.. وما يوحي من سلوك.. ونيل في التخاطب.. و[illegible]امل فيما بيننا وبين خلقه.. ذلك ان العقيدة وحدة لا تتجزأ.. كما ان الصلاة صلة بين العبد وربه فهي ايضا طهر في الجيب وفي الملبس.. وعفة في اللسان.. وفي الجنان..

وكما ان الوضوء طهارة.. فهو ايضا دعوة الى النظافة.. لنضارة الذوق.. وكما ان الصيام امساك عن الآثام.. وعن الطعام .. فهو ايضا تذكير لنا بأن هذا الامساك يجب ان يمتد ويمتد ملازماً لكل ايامنا عن كل لغو.. وعن كل فسوق وعن كل استعلاء على ماهو دوننا قوة.. وجمعاً..

ان في دستورنا القيم كل القيم.. لو اننا اخذنا بها عن وعي وايمان لما كان للفوضى.. ولما كان للبغضاء.. ولما كان للتخلف الاجتماعي موضع شبر واحد على مساحة واقعنا..

الدين طهر .. وعفة.. ومع الطهر والعفة تشرق والاسلام.

احساسي بالتفاهة

أحس بتفاهتى كل ما ابصرت من هو افقر منى.. واقدر منى على العطاء والبذل..

احس بتفاهتي كل ماابصرت من هو ارحم مني.. واكبر ملامسة لشفاف قلوب الناس رغم قدرتي العاجزة على الرحمة..

احس بجهلي كل ما وقفت بليداً عاجزاً عن فهم مايدركه الآخرون لأنهم تعلموا فعلموا.. ولأني توقفت فتجمدت..

احس بغبائي وانا انصت الى الصغير من ابنائي وغير ابنائي يتحدث اكثر من لغة حية ومازال طفلًا .. بينما تسمرت قدماي عند حدود متدنية من لغة واحدة ليس أكثر..

أحس بعجزي وانا ابصر ماحولي يصنع من الطائرة الى الإبرة.. بينما لا احسن حتى نظم السلك في الإبرة لأن فرائص يدى ترتعش خوفا من الفشل

أحس انني طفولي طفيلي.. كل قدراتي تتجه للالتهام.. وملء الكرش بينما الآخرون يزرعون الحق بعرق جباههم ويكرمون العقل بسواعدهم الرجولية

أحس انني لا شيء.. وكل ما حولي هو من صنيع غيري.. لاموضع لقدمي فيه.. ولا مكان لسعيي معه.. لأنني آثرت السلب على الايجاب.. الاستهلاك على الاشتراك..

مجرد صفر على اليسار.. هذا انا في عالم يزخر بالخانات والارقام.

كل هذا لايهم

على غير عادته لم ينتبه الى ما حوله.. وكانت دهشة صديقه الذي كان يحتل كرسيه الدوار قبالة مكتبه الضخم الانيق

قال له سائلًا.. او متسائلًا:

ــ عجيب أمرك.. ألم يلفت نظرك شيء مما حولك؟!..

وقبل ان يجيب ادار رأسه يمنة ويسرة الى ماحوله.. ليتعرف على ذلك الجديد الذي غاب عن باله.. وبعد ان أدرك .. قال:

ــ مبروك.. انه مكتب جميل فعلًا..

وهرش صاحبه شعر رأسه.. وطغت على وجهه ابتسامة راضية.. وقال:

ــ شهادة أعتز بها..

وراح يتحدث عن المكتب عن ماركته.. وعن عدد قطعه.. وعن ثمنه الباهض وعن المدة التي استغرقها تأمينه..

وكأن صاحبه لم يرق له كل ماسمع.. فما كان همه الحديث عن فخامة المكتب وعدد أرففه وادراجه.. وانما عن العمل نفسه.. والعطاء نفسه..

قال لصاحبه بعد لحظة صمت..

ــ كل هذا لايهم.. كل هذا لا يقدم ولا يؤخر.. الحكاية ليست قضية مكاتب وانما قضية الجالسين على المكاتب.. الانسان ياصديقي ما يعمله ويقدمه لا مايحتله ويجلس عليه.. قد يكون جميلًا ان تكون اعمالنا متساوية مع مكاتبنا فخامة وجودة ولكن الأجود ان تسبق اعمالنا مكاتبنا فخامة وجودة مهما كان مستواها من الاتقان والصنع.

الدمعة الساخنة

الدمعة الساخنة التي تذرفها الأم ليلة زفاف ابنتها تتوزعها عدة عوامل وانفعالات متباينة الا انها تلتقي أمام نقطة واحدة هي التأثر.. والتحدث بلسان الدمعة انفعالات السعادة..

عوامل الخوف..

مؤثرات الفراق.. والبعاد..

السعادة لأن فلذة كبدها زفت الى نصيبها .. الى حبيبها.. وهي جل ما تنتظر وتتمنى.. والخوف.. الخوف من ان ترتطم تطلعاتها.. وتتقوض آمالها على صخرة مستقبل تدلفه لأول مرة.. دون ان تعرف نصيبها منه.. وقدرها فيه..

والفراق لأن فراغا في حياتها سيمد قلبها بالوحشة .. وربما ايضا لأن سعيداً وافدا قطف من بين يديها ثمرة يانعة.. واستأثر بها.. ولم يدع فيها الا الذكريات

دمعة الأم ليلة زفاف ابنتها .. دمعتها ليلة وفاتها لأن الدمعة الأولى صراع بين الذي تحب.. وتخاف بين الذي ترغب.. وترهب.. بين تسلمها للواقع ومباركتها له.. وبين قلقها من المجهول وتعلقها به.. اما الثانية فدمعة مودعة لا ترك لها دفعاً هي اشبه بخطوة حزن تنفجر ثم تتلاشى دون ترقب او انتظار لما سيأتي.. لأنها قصيرة الأجل وان كانت عنيفة مخيفة..

ولو ان احدنا غاص في اعماق الأم ليلة حفلها بزفاف ابنتها لغرق في طوفان من الاحاسيس والهواجس الضاحكة الباكية الخائفة.. ولأدرك كم

هي الأم رغم ما ننسبه اليها من ضعف قوية قوية.. في صمتها.. في صوتها.. وفي دمعتها ذات الأبعاد الثلاثة.. وذات المثالية المتصارعة عبر همسة دمعتها المنسابة على خديها في حب.. وقلق.. والتياع.

خالف تذكر

خالف تذكر..
ومن المأساة ان فينا نحن البشر وعلى مستوى من يتحملون المسئوليات من يتعمدون المخالفة.. والمكابرة بها.. لا لشيء الا ليذكروا..
واذا كان تعمد المخالفة مرض لا اخلاقي يستمد شياطينة من بؤرة البحث عن الشيوع لكي يقال عن صاحبه انه يملك الشجاعة لكي ينفرد بالرأي.. او التصرف.. فان هذا التفرد بالرأي.. اوذلك التصرف من الوجهة السيكلوجية ارتطام بالعرف واصطدام بالقاعدة واستلام لمؤثرات الذاتية المجنونة التي لاتبصر الزمن زاويتها الضيقة بعيداً عن آفاق غيرها.. وبعيداً عن طباع واخلاق ما سواها..

إن مجرد المخالفة.. والسير في منحنى فردي ذاتي بعيداً عن مجرى التيار الجماعي لون من الهستيريا السلوكي يحتاج الى علاج نفسي مركز.. لأن له خطورة السرطان على من حوله..

واذا كانت الشهرة بريقاً يدغدغ أحلام الكثيرين منا.. فإن الشهرة التي تمتطي موجة التفرد بالرأي.. او الممارسة ليست اكثر من غبار ذرته عاصفة الشهرة سرعان ما يتراكم ويغطي كل شيء من تاريخ صاحبه.. حتى ولو كانت له سواعد المصارعين.. او الملاكمين الجبابرة.

إن المخالفة في الرأي عن عمد.. والتفرد بالاتجاه المعكس والمغاير لمنطق التاريخ مرفوض.. ومحكوم عليه بالادانة اخلاقيا.. واجتماعيا.. وتاريخيا.. وان يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار.

البر.. دين مردود

بروا آباءكم تبركم ابناؤكم..

البر دين — بفتح الدال — مردود لصاحبه طال الزمن ام قصر.

والعقوق دين ايضا مردود لصاحبه طال الزمن أم قصر.وفي حياتنا صور كثيرة للبر.. وعبر كثيرة للعقوق كلها تتحدث عن حصاد الزرع وفق البذرة التي نعطيها ونسقيها ونجنيها.. واذا كانت الأعمال مرهونة بنتائجها.. فانه من الخير لنا ان تكون اعمالنا بارة خيرة لها شفافية الحب.. والحنو لمن زرعوا في وجداناتنا الحب..

والحنو.

ولعل اخطر ظاهرة هذا العصر ابتعاد الأبناء عن آبائهم.. حتى ولو كانت فواصل الزمن والثقافة والميول كبيرة وواسعة.

ذلك ان الآباء جذور الامتداد الطبيعي للانسان.. بل جسور الحياة التي توصل.. وتصل بين جيل وجيل بكل ما تحمل هذه الجسور من جسارة وجدارة وطول.. وقصر.. واستقامات.. وتفرج.. ومن حق آبائنا علينا ان نفرش لهم جناح الذل من الرحمة.. وان نودعهم كباراً ما اودعوه لنا صغاراً.. وإلا فإن عجلة الزمن سوف تدور لنلقى اساءة بإساة.. وعقوقا بعقوق ونكرانا بنكران

ومن زرع حصد.. فليكن حصادنا لأبوينا نفس الحصاد الذي نتمناه لأبنائنا.. ومن ابنائنا.. حتى لاينفرط العقد. وتتناثر الحبوب في مهب القطيعة.. والفجيعة.. والضياع.

لاداعي للقنوط

على الانسان ان يستل سيف الأمل من غمد القنوط واليأس.. والا يتحول الى كتلة من الموات . لا حراك بها..

والأمل الذي نعنيه ليس حلماً نستمده من اغفاءة .. او وهما نجتره من غيبوبة واضطراب حسي ونفسي وانما حصاد حركة ومحاولة على طريق الغاية والهدف..

واذا كان صراع الانسان مع نفسه في لحظات حرجة يتجاوز أحلامه الى آلامه ليباعد بينها وبين رغبة الاستمرار والمواجهة..

اذا كان الإنسان يتوارى في لحظاته السوداء.. خلف حائط المبكى ليندب ويذرف الدموع دون ان يملك القدرة على حبسها.. او تجفيفها بمنديل شفاف ابيض اسمه« استعادة الثقة فى برء الجرح»

اذا كان الانسان مهزوماً في داخله.. فان غمد اليأس سوف يطبق على سيف الأمل دون ان يدع له فرصة الطهور.. ومن ثم تتداعى كل الصور.. وتختلط تحت مظلة سوداء داكنة اسمها النهاية..

وكما يبصر الانسان الفجر فيستشف من خيوط اشراقة اليوم.. والغد تاركاً للأمل المجنح في نفسه ان يتحرك من بين سحب ظلام الليل الراحل.. فإن عليه أن يمد رواق بسمته وان يقهر بها دمعة القنوط التي تحاول ان تحفر لها مجرى ثابتاً على خديه قد يكون ارتطامنا بالمشاكل يفقد ذاكرتنا او يهزها الا انه في احيان كثيرة يحركها نحو الافضل.. ويستل سيف الأمل من غمد اليأس.. ويزهر الربيع في أعماق الناس بدفع الاحساس الجديد بالمسئولية.

مازالت الدنيا بخير

مازالت الدنيا بخير.. رغم الضباب الكثيف المخيف الذي يكتنفها.. ويكاد يحجبها..

مازالت توجد شموع تمد ضوءها الخافت عبر سراديب الظلام لتبين للأقدام المتحركة مواضع خطوها.. مازالت توجه اقلام حرة تملك الجرأة في ان تعلو على الاسفاف.. والاستخفاف بعقول الآخرين..

مازالت توجد اصوات تملك ان تصرخ رافضة متمردة على من يريدون لها الصمت..

مازالت توجد بقايا من وفاء.. بقايا من حب.. بقايا من صدق.. بقايا من رحمة.. تودع كل خيرها لغيرها..

مازالت توجد طاقات تجد.. وتكد من اجل اسعاد الآخرين.. ومن اجل اسعاف الآخرين..

مازالت توجد انامل تبني العش.. وتلملم الجراح.. وتقيم الأنقاض لتحل مكانه بيتاً يقطنه مشرد.. ويأوي اليه معدمون..

مازال في عالمنا رغم كل مساوئه.. وشتاته.. آمال.. وأعمال تشدنا الى ثقتنا في الغد.. إلى ان للحياة وجه مضيء يمكن ان تتسع دائرة ضوئه الأخضر لو اننا عانقنا الشموع.. بإضافات شموع جديدة لاترهب الظلمة.. ولا تخشى الظلم.

وضاعت الطاسة

بين اليمين واليسار ضاعت الطاسة..

كلاهما يتهم الثاني..

«اليمين» يتهم اليسار بالتأميم.. والتكميم.. والسحق.. والسحل.. وكبت الحريات.. وقتل الطموحات الفردية..

«اليسار» يتهم اليمين بالامبريالية.. والبرجوازية.. والرأسمالية المتعفنة.. والاقطاع..و«الاطماع»

وبين اتهمام الأول للثاني.. واتهام الثاني للأول يقفز سؤال ملح..

«اين هو المجتمع المثالي؟! ما مواصفاته..؟ وكيف السبيل الى تحقيقه..؟»

ويأتي الرد متحفظاًبعض الشيء.. متعقلًا بعض الشيء خارجاً عن اطار وفلك جاذبية هذين التيارين.. او هذين المعسكرين المهيمنين بقوتهما على عالم اليوم..

الرد.. ان المجتمع المثالي ليس حرباً ضد المادة.. كما أنه ايضا ليس حرباً ضد القيم.. والروح.. ليس انكفاء على نزعة ضاغطة ممتصة.. كما انه ايضا ليس اكتفاء بالحاجة الدنيا التي لا تجني وجوداً في المستقبل.. ولا سلاحاً في ميدان اثبات الوجود..

المجتمع المثالي.. هو مجتمع العمل الجاد الذي يربط بين مصالحه.. وقيمه.. وعدالة قضاياه.. بل وعدالة قضايا الآخرين..

المجتمع المثالي.. هو الوسط الذي لا ينزع الى الافراط في تصرفاته.. ولا الى التفريط في حساباته.. وانما يتحرك بقناعة الواثق..المشارك.. اليقظ.

وتلك هي المعادلة التي تقف بين تيارين يلعن احدهما الآخر.. بكل ما يحملانه من رغبة في الانقضاض.. والتسلط.. والاستعداد.

الموسيقىٰ في دمي

«الموسيقى»

ذلك النغم الحالم الذي تحركه اوتار الآلة.. فتتحرك أوتار المشاعر والاحاسيس..

«الموسيقى»

اللغة التي تتحدث بها كل الشعوب وتهفو اليها كل القلوب .. طاردة بها السأم والملالة.. قاتلة بها الأرق والتشنج.. بل ومعالجة بها ذلك التوتر العصبي الذي ما افلح فيه الدواء..

«الموسيقى»

حيث ينساب صوت الحب.. يتهادى بشراعه الفضي مختالًا على بحيرة بللورية فاتنة..

«الموسيقى»

حيث الانغام.. حيث الإلهام.. حيث التصوير الجمالي الذي يرسم الصورة في دندنات.. وفي جُمل حتى لتكاد تقفز من اوتارها عناقاً.. وانعتاقًا

«الموسيقى»

حيث الأخيلة المجنحة.. الضاربة في أعماق التصور الوجداني.. بكل ما فيه من مناداة ومناجاة.. بكل ما فيه من بث وشوق.. لكل ما يعنيه من وجد.. وحب..

«الموسيقى».

انها صديقي حين أنزل.. انها رفيقي حين أرحل.. انها كتابي الذي اقرأ فيه افكار البشر المخملية الراقصة..

على صوتها استسلم في راحة الى الكرى.. وعلى صوتها أفيق في حب.. وأمل على الصباح..

انها الغذاء.. والدواء الذي لااشبع منه حتى وانا شبعان.. ذلك ان لا تخمة فيها.

واذا كانت النفوس كباراً

الكبار في مداركهم.. هم الذين يرون الأشياء صغيرة صغيرة مهما كانت احجامها. لأن المنظار اليها ينطلق من خلال عدسة شفافة الرؤية محددة المساحات والأبعاد..

إن الجادة الطويلة تبدو أمام أقدامهم.. وإقدامهم قصيرة يسهل عبورها.. واجتيازها.. والوصول الى مداها بخطوات واثقة جسورة.. هكذا العظماء دائما في مداركهم يستسهلون العظائم.. وتبدو أمام إبصارهم أشياء عادية.. وأمام أبصارهم ملامح لاتبعث على الغرابة.. ولا التهيب.. ولا المحال..

أمام الصغار في مداركهم فان الصغائر مهما كانت ضحلة وصغيرة تتجسد أمامهم كقنطرة للرعب والخشية تتحطم أمامها وتتعثر كل محاولة للعبور .. وكل محاولة للفهم.. وللفهم وللمعايشة..

إن العقل الكبير هو الذي يبصر الدنيا من حوله كرة صغيرة تتحرك في دائرة فلك حساباته.. يندفع معها 'لى ماهو ابعد دون ان يفتقد جاذبية حواسه وتصوراته العقلانية.. والانسانية.. وعلى مبدأ النسخ.. والمسخ.. والسلخ استأذن شاعرنا العربي الذي قال:

واذا كانت النفوس كبارا   تعبت في مرادها الأجسام

استأذنه لأبدل شطر بيت شعره الاخير بشطر آخر:

واذا كانت النفوس كباراً   صغرت في مرادها الاحجام

بالنقد نزداد سموا

قال:

ـــ هل قرأت ما كتبته بعض الأقلام وما عرضته بعض الأفلام عن بلادي..؟ وما طرحته من اساءات جارحة متعمدة؟!

قلت:

ـــ واي غرابة في ان تعرض هذه الأقلام او الأفلام ماعن لها.. وما استفرعته حصيلتها من حسد.. وحقد ومكيدة..؟

لاشيء في كل ماكتبته.. وما تكتبه يثير الغرابة.. والعجب.. فعبر التاريخ كله لم تسلم أية امة ناجحة من خصوم.. وسموم توجه نحوها.المهم ان تكون لدى هذه الأمة الحصانة والحصافة.. أن لاتهاب النقد.. وان لاتركع امام الناقدين.. أو المتاجرين بضمائرهم.. ان الشجرة المعطاءة المثمرة وحدها هي التي تقذف بالحجارة من أجل ثمرها.. أما تلك الاشجار الخاوية الخالية فلا احد يهتم بها.. لأحد يقذفها.. ولا احد يصنع لك مكاناً في حساباته..

احد الذين امتطوا موجة النجاح.. جاء الى احد الحكماء وهو يخطو اول عتبات سلم الشهرة.. جاء الى الحكيم شاكياً اليه.. وحاملًا اليه عشرات المقالات التي تهاجمه.. طالباً منه المشورة في الرد..

قال الحكيم له:

ـــ افترش هذه المقالات.. وانظركم مساحة رفعتك عن الأرض..

قال الحكيم..

ـــ ان كل إضافة من النقد توجه اليك تعني أنك تعلو.. انك شيء

كبير.. كبير.. يملأ الأسماع.. ويهز الأقلام.. ويحرك الأفلام..
قلت اخيراً

ـ من صدقهم لو صدقوا سنستفيد.. ومن كذبهم وزيفهم ـ وما اكثره ـ سوف يكون لنا منطق الرد.. منطق رد الاقوياء العقلاء الواثقين من كل تصرفاتهم.

صديق جاهل.. افضل

لو خيرت بين صديق جاهل.. وعدو عاقل لاخترت الثاني دون تردد..

ذلك ان الصديق الجاهل يشده اليك صداقة جاهلة لاتزيد فى رصيد حسناتك.. ولا تدفع عن كفة سيئاتك.. وانما الأخطر من كل هذا وذاك انه بحكم جهله والتصاقه بك قد يغريك الى ما تجهل.. ويباعد بينك وبين ما تعقل..وعلى النقيض من الصداقة الجاهلة تكون العداوة العاقلة ان جازت لها هذه التسمية مؤشراً واعيا ينقل اليك اخطاءك ويكشف لك عن عيوبك دون ان يتستر.. دون ان ينافق ودون ان يغالط..

ومن خصومنا دائما نتعرف على هفواتنا وسقطاتنا.. انهم يمنحوننا بما ينقلون القدرة على مراجعة النفس.. ومساءلتها.. بل ومحاسبتها.. وتلك حسنة تسدى الينا من العداوة العاقلة عجزت ان تأتي بمثلها الصداقة الجاهلة.. لعجزها عن الحركة الواعية..

ان العداوة العاقلة لا تخدعك ابداً.. انها تتعامل معك دون غطاء.. وبدون اقنعة.. تأخذ منها ما تأخذ .. وترفض ما ترفض .. أما تلك الصداقة الجاهلة فإنها اشبه بالحمل الثقيل المليء اوزاراً.. وقصوراً.. انه يزيد في حملك.. وفي معاناتك.. أكثر من هذا فإنه يؤثر على قناعاتك.. ويحولها الى شكوك.. ومتاهات سرابية لا تروي عطشاً.. ولا تبل ظمأ..

(نعم) للعدو العاقل.. واكثر من (لا) للصديق الجاهل اياكانت صلته.. وأيا كانت صفته.. وايا كانت أوصافه.

حين نرفض مالا يرفض

قال محدثي:

ــ احياناً لا نألف بعض الأشياء العادية فنرفضها ونستنكرها وهي لاتحتمل استنكاراً.. ولا رفضا

قال:

ــ ثلاث وقفات مرت بي مع الآخرين أملت علي هذا الاستنتاج

ــ الوقفة الأولى ذلك العجب الممزوج بالدهشة لركوبي حافلة ركاب وانا القادر على ركوب سيارة خاصة لا يزاحمني فيها احد

ــ ثانيها عدم هضمهم لرؤيتي وانا اقطع شوارع المدينة مشياً على الأقدام لكي أهذب من كبرياء كرشي المتعاظم وعدم اقتناعهم باعتذاري الركوب معهم وقد طلبوا الي ذلك.. وخشيتهم.. ان لم اقل ظنونهم واتهامهم لى بالشح من اجل بضعة ريالات.. أدفعها أجرة لسيارة.. أو قيمة لمحروقات..

ــ ثالثهما ذلك التندر الممزوج بالسخرية من البعض ــ وهم قلة ــ لأنني في بعض مطافي امتطي تلك السيارة القديمة العهد من طراز «الداتسون» والتي اشتريتها لولدي منذ عدة أعوام..

قال محدثي:

ــ لكأن الأشياء في معاييرنا هي ان نخضع تصرفاتنا للمحاكاة.. وان تبرز مظاهرنا على حساب مخابرنا.. وان نتحرر من ضوابط البساطة.. والعفوية..

قال محدثي:

ــ صدقني ان احلى اللحظات هي التي أنفك فيها من قيد الشد

المظهري المتزمت.. إنني مع البسطاء حيث اركب.. وحيث امشي أحس انني أحيا بعيداً عن كل المنغصات .. وعن القناعات بكل المظاهر المقنعة.

الحب .. لايشترى بالنقود

قصة قرأتها مازالت عالقة في ذهني حتى هذه اللحظة لا لأنها اجمل القصص وانما لأنها اكثر ماقرأت بشاعة ووزرا..
القصة تتحدث عن فتاة ذات قدر كبير من الجمال احبت ابن عمها واحبها.. وتواعدا على الزواج.. وكاد كل شيء ان ينتهي.. لولا تلك الصخرة الصماء الصلدة التي اعترضت طريقهما.. اوكادت..
والصخرة لم تكن الا انسانا ثرياً سمع عن جمال البنت فتعطش الى ضمها لحظيرته.. قرر ان يشتريها زوجة بالمال..
امتدت مراسيله وشباكه للفتاة فرفضت.. وامتدت احابيله واغراءاتة الى والديها ففشل.. وقرر أن يصل الى زوج المستقبل.. الى ابن عمها.. وفي موقف درامي كان الثري يعرض الكثير والكثير من المال على الشاب من اجل ان يتخلى له عن ابنة عمه..
وكانت نهاية المطاف ان صرخ الشاب في وجهه قائلا:ـــ
«قد تشتري بنقودك كل شيء.. الا انك لاتستطيع ان تشتري الحب.. وقد اتخلى لك عن أي شيء.. الا انني لايمكن ان اتخلى لك عن القلب»..
هذه القصة.. ومدى التصاقها بالواقع.. وما تعنيه من صراع محتدم بين المثل والقيم في عالم اليوم جعلتني اتساءل..
أما زال في عالمنا من يفكر في شراء الحب بالنقود؟!
الاخطر من هذا ..
أما زال في عالمنا من يحاول ان يشتري حب غيره لغيره بمال من اجل أن يقطع رباط ذلك الحب؟!
تساؤل يدفعني الى الحيرة.. وأحياناً الى التشاؤم المرفوض قولًا.. وعملًا.

هكذا يقولون

يقولون..

«مد رجليك على قدر لحافك»

ويقولون:

«لاتطمع فيما هو اكبر من استطاعتك»

ويقولون:

«ان الزوج اذا كان على قدر اكبر من زوجته مالًا .. او جاهاً.. او ثقافة.. كانت زوجته بالنسبة اليه مجرد قطعة أثاث لامكان لها في اهتماماته..

ويقولون ايضا:

«اذا كانت الزوجة هي الأكبر.. والاكثر .. فإن زوجها سيتحول الى مجرد خادم لاصوت له.. ولا رأي له..»

يقولون:

«ان الفارق بين اثنين يكونان شراكة يجرد احدهما من أثره وتأثيره.. ويحوله الى مجرد ظل..»

يقولون:

«إن حصافة الرأي تعني ان تعرف موطىء اقدامك.. قبل إقدامك.. حتى لاتقع او حتى لاتتراجع امام طريق مسدود لم تحسب له حسابا»

ويقولون:

«إن اعقل الناس.. هو أبعد الناس عن التصرف وفق هوى الآخرين ورغباتهم .. لأنه إن فعل كان كمن فقد ظله.

حين تعبث الأيدي

الإنسان يشبه كثيراً جهاز الراديو او «التلفزيون» اذا لعبت فيه الأيدي خرب.

قد يصاب الإنسان بوعكة.. وألم.. مثلما يصاب الجهاز باحتراق لمبة.. او انقطاع سلك..

وهذا يعني ان العلاج يجب ان يكون في حدود العطب.. والتلف.. وعند الضرورة القصوى..

أما ان تكثر الشكوى.. وتتكاثر معها الأيدي.. وتختلط معها وصفات العلاج.. وانواع العقاقير.. فإن هذا يعني أن الجسم الشاكي تحول الى حقل تجارب زرع كل مايعطى له.. حتى ولو كان متضاداً.. متفاعلا بنتائجه الفلسفية..

وما عرفت جسماً ابتذلته الأيدي المعالجة.. وما عرفت جهازاً تكاثرت عليه مرات الفتح.. والربط.. والتغيير الا وانتهى في سرعة الى خراب او مايشبة الخراب..

ماذا عن كل هذا؟!.

شيء واحد هو ان نقلل ما استطعنا من تعدد العلاج.. واذا كان لا مندوحة عنه فليكن تعاملنا مع اخصائي واحد.. وفي حدود مانشتكي.. لافي حدود ما نخافه وهماً في المستقبل.. إن معالجاً اخصائياً واحداً عند الضرورة هو الأسلم.. وحتى لا نبيح اجسامنا.. واجهزتنا لكل من يحاول ان يجرب.. فيخرب.. ويزيد من رقعة الشكوى.. ودرجة المعاناة.

اقناع المنطق

اروع مافي الاقناع أن يكون المنطق أولى درجاته والموصل اليه.. ولكي نكون صادقين ومقنعين ومقتنعين فان علينا ان نتخذ اسلوبا غير مميز ولا متحيز لاولئك الذين نتخاطب معهم ونتعامل معهم..

ذلك أن التقبل للاشياء عن كره.. وفي غير قناعة يتحول الى رفض للاشياء يصعب معه مرة اخرى الدفع الى الانقياد والتصديق مرة أخرى.

ومما حكاه الي احد الاصدقاء كان موضوع هذه الحلقة.. قال لي:

انه سمع احد رجال المرور يتحدث في مكرفونه امام احد تقاطع الشوارع:

قائلا:

ـــ انت ياراعي المرسيدس من فضلك تحرك. وانت ياراعي الداتسون يا(....) تحرك بسرعة. الاول من فضله، لانه يمتطي سيارة كبيره غالية اما الثانى فقد نعته بما لايصح ان يقال..

لانه يمتطي سيارة صغيرة رخيصة..

يجب ان لا نميز في قاموس الثواب والعقاب بين شخص وغني واخر اقل غني.. ذلك ان القانون فوق الجميع. ومن أجل الافراد يجب ان تكون متساوية

ولو انصف الناس لاستراح القاضى.

هكذا يتصرفون

لو انك قلت للأوروبي:

ــ لقد شاهدت فيلا ضخما يقبع داخل «قنينة» انه لن يكذبك فما عرف في حياته شيئاً اسمه الكذب .. ولكنه سيسألك مشدوهاً.

ــ كيف دخل؟! .. ومتى..؟!.

ولو ا ن اوربياً صطدم بعربته سيارة.. اوكشكاً في غيبة من صاحبها أو صاحبه.. انه لن يسلم ساقيه للريح.. لن يهرب.. وانما سيترك بطاقة تحمل اسمه.. وعنوانه.. ورقم هاتفه ليسوى الحادث دون ضجة.. ودون ضياع لحقوق الغير او جحدانه..

ولو أن اوربياً خالف سير المرور دون قصد منه بالطبع فانه سيتلقى خطاباً من المسئول الأول عن المرور وهو الكبير في مقامة وفي مركزه.. الخطاب يبدأ بكلمة«سيدي» وكأنما الخطاب جاء اليه من اصغر موظفيه.. واقلهم رتبة..

نماذج ثلاثة لما عليه الاوربيون من صدق.. ووفاء .. وتواضع وجميعها بعض من سمات تشريعنا« دلالاته الحية.. ومثله العليا.. مارسها الغرب.. واتخذ منها أخلاقيات في تعامله وممارساته.. ترى السنا الأجدر من غيرنا في الأخذ بهذه القيم وتلك الأخلاقيات والتعامل معها في كل تصرفاتنا.. وفي كل دعواتنا.. اننا الأجدر .. والأحرى بحمل الراية ولكي يكون انتصارنا على هفواتنا سمة ودلالة.. وشعاراً على ان فهمنا الواعي مع تطبيقنا المتميز له على موعد.

حين يغار الصغار

ظلم الغيرة.. وقساوتها تتدرج بين الأطفال الأخوة..
من الأكبر.. الى الكبير.. ومن الكبير الى الصغير.. ومن الصغير الى الاصغر الواحد يرى في من يصغره ناسخاً له.. محتلًا لمكانتة.. مستأثراً بعطف أبويه.. ومن اجل هذه التصورات وهي كبيرة في معيار تفكيره يتحرك في نفسه أوار الغيرة وشبوبها.. ويحاول ان يقتنص بكل الاساليب والطرق المتاحة.. له وممن؟ من الاصغر البريء.. ولا يكاد يخلو بيت يضم اكثر من اخ من صراخ.. ومن صراع طفولي شيطاني مرده الغيرة.. وضحيته الصغار بفعل الكبار..
وحتى وانت تبتعد بأطفالك قدر المستطاع عن كل مايشير الى التفضيل او التدليل.. الا أن وجوداً غيبياً غبيا باحساس المفاضلة يكمن في وجدان أحدهم.. ولايكاد يتخلص من وخزه وايلامه الا بما يسببه لمن هو دونه من إزعاج ومضايقة يطفىء به ظمأ غيظه.. ويتخلص بواسطته من كبت الإحساس الدفين بالمفاضلة والإيثار..
تواجد شيطاني شقي في نفوس الأطفال ينبت.. وينمو مع تعدد براعم الشجرة الانمائية.. ولعله وان كان بريئا في ظاهره وغير مدمر في معظم حالاته.. إلا انه يعد أولى جذوات الصراع النفسي في حياة الانسان.. ومنه تأخذ مسارها ومنارها ولكن بأحجام وبآلام أكبر.. واكثر..
إن الغيرة قاتلة.. وقتل الإحساس بالمفاضلة بين الأولاد هو انجع سلاح وامضاه للقضاء على الغيرة.. وقبل ان تستفحل وتبني عشاً يفرخ فيه عنكبوت الجفوة بي الأخوة..

الضيف الثقيل

ما ولج البخل باباً الا واوصده. ولا دخل قلباً الا وافقره.. وعبر التاريخ كله لا يوجد بخيل استطاع ان يجمع الناس من حوله.. ولا ان يؤلف قلوباً بمسعاه.. ولا ان يشيد داراً لغيره بمجرد تمنياته.. ودعواته..

واذا كان الجاحظ بمؤلفه الضخم قد اعطى صورا متباينة عن البخل.. وعن البخلاء.. وعن نوادرهم.. واساليب جمعهم للمال..ونظراتهم اليه.. وتباكيهم عليه.. فإنه فقط اعطى شريحة تسجيلية للبخل.. والبخلاء كظاهرة مادية مسلية..

واذا كان الجود يفقر كما يقول الشاعر.. فإن البخل يعري صاحبه من مكانه.. ويبني حوله حائطاً من العزلة.. ويدمر كل الجسور التي تصله بالناس حتى ولو كان أغنى اغنياء الدنيا.. واكثرهم جمعا.. ليس مطلوباً ان يكون الكرم عملية اسهال قاتل من اجل الجذب.. وبناء مظلة الانتشار.. فالكرم عطاء في حدود الحاجة.. وفداء في حدود ملتزمات الطالب.. وما زاد عن هذا.. وذاك إسراف يكاد يكون في مستوى بشاعة البخل..

واذا كان الجود من الموجود كما يقولون.. وهذا هو الصحيح.. فان الامساك الى حد الشح والانقباض يعني ان نجم ذلك البخيل لن يولد طبيعياً.. ولا حتى بعملية قيصرية.. لأن الامتلاء داخل بطنه حتى ولو كان ثروة هائلة طائلة لايعدو ان يكون ورماً سرطانياً على المستوى اللا سلوكي .. يقتل صاحبه.. في غيبة من الطبيب المعالج.. حين لا يكون هناك يد تمد.. واخرى تمتد.

ماذا عن الميكافيلية؟!

ماذا عن «الميكافيلية»؟! او النظرية التي تقول « ان الغاية تبرر الوسيلة»؟ الجوع.. او الحاجة الى المال يبرران السرقة..
النفاق.. والتزلف تبررهما الرغبة في التقرب من اجل مصلحة خاصة.
الاختلاف في الرأي مبرر للاضطهاد.. بل لما هو أبعد من الاضطهاد والاصفاد
الاختلاق المشين لسمعة الغير تبرره المنافسة..
بهذه الصورة المعتمة طرح ميكافيللي» نظريته.. منطلقاً من واقع منحرف أثبتته وقائع البشر في تعاملهم.. وصراعاتهم من منطلق اثبات الهدف حتى ولو كان غير شريف بكل الاساليب والطرق الموصلة اليه.. والمحققة لأغراضه..

ولو اننا سلمنا بهذا الواقع الميكافيللي لكان معنى هذا اننا قفزات بالمجتمع البشري والانساني من عالم تحكمه الضوابط.. والقوانين العاقلة المعادلة.. الى عالم آخر تسوده شرعة الغاب .. وشريعة الذئاب.
الأقوى يفترس القوي..
والقوي يأكل الصعيف.
والضعيف يلتهم الاضعف.

ولما كان في عالمنا الخيار بين نور نهتدي بإشراقته.. ونار نكتوى بلظاها ان«الميكافيلية» بكل المقاييس والأحكام خطوة انتحارية.. انهزامية الى الوراء.. توثق العقل.. وتطلق العاطفة محررة من كل قيد لتلعب لعبتها على حساب الضوابط الأخلاقية للمجتمع..
وهذا يعني.. ان لاشيء في مسارها يمكن ايقافه.. ولا انصافه..

اعط القوس لباريه

«اعط القوس لباريه»
مثل معروف .. وحكيم في حكمه
أن يقف عالم الكترونيات ويمتدح جهاز راديو او تلفزيون مثلًا معللًا اسباب امتداحه علميا.. امر معقول.. وان يقف عالم كيماوي فيثني على دواء معين.. او على عطر معين مفنداً جودته فأمر مقبول ايضا..

وان يقف مهندس معماري فيشيد بتصميم مبتكر.. جماله.. وتوزيعاته فأمر منطقي لاغبار عليه..

أما ان يقف ممثل سينمائي كعمر الشريف مثلًا ليمتدح نوعاً من السجائر فأمر لا نعرف له معنى لبعد الصلة بين فنه.. وبين خصائص التبغ.. ونكهته.. ومذاقه

واما ان يقف ملاكم عالمي كمحمد على كلاي ليتحدث عن متانة سيارة وسرعتها.. وقوة تحملها فأمر ايضا يستوقفنا كثيراً.. لأن الملاكمة شيء.. والسيارة بأجهزتها وتجهيزها شيء آخر.

قد يقول قائل:

ان الملاكمة عضلات حديدية تتفق وعضلات السيارة الحديدية مثلًا..

وهذا افتراض ينقصه الكثير من الخبرة النوعية الصالحة للدعاية والاعلان .. والاقناع..

صحيح ان الإعلان يجتذب المشاهير لكي يشتهر.. ولكن اليس من الأنسب ان يكون هؤلاء المشاهير من نفس خامة المادة المعلن عنها.. ومن نوعيتها..؟! ومن مهندسيها؟! وممن لهم صلة بها؟ لكي يتفق ذلك .. ويتوافق مع الحكمة القائلة «اعط القوس لباريها» أظن ذلك.

ويمضي قطار العمر

ويمضي قطار العمر..

وتبقى المحطة خاوية.. خالية.. الا من بعض ذكريات تتحدث عنه.. وتشير الى مكانه.. وزمانه.. وسكانه..

وفي الرحلة.. من بدايتها.. الى نهايتها يثار الغبار من حولنا تارة ينفذ الينا عبر النوافذ المفتوحة.. واخرى ننفذ اليه نحن عبر النوافذ المعلقة المغلقة..

وفي الرحلة.. يجدُّ بنا السير.. ويجهد بنا السير.. يتسع لنا المكان.. ويضيق بنا الزمان فما ندري أكان هو الحب.. أم انه الصب.. أكان هو القبول بنا.. أم انه الرفض لنا..

وفي الرحلة.. وأمام محطاتها القصيرة.. والقاصرة تتلاحق أنفاسنا.. ويتعرى احساسنا.. ونحرك اقدامنا.. ونفرك عيوننا.. ونحتار... ونتساءل..

أكانت محطات استراحة للراحة؟!

أكانت مؤشراً للبعد.. وللعد التنازلي الذي يسبق الانفجار..في النهاية..؟!

أم انها نقاط متناثرة على الدرب تذكرنا بما قطعناه.. وتساؤلنا عما اودعناه؟! القطار يتحرك..

كل واحد منا يعبر دربه داخل قطار يستشعره.. ولا يراه.. وهو حين يتحرك.. وهو حين يرفع عقيرة لسانه فإنما يسترجع عجلات القطار وهي تدور.. وانما يسترجع بوق القطار وهو يدوي.. ويمزق جدار

الصمت من حوله.. لا أحد منا يملك اكثر من قطاره.. كما لاأحد منا يملك اكثر من يومه ونهاره.. ولكن قطارات البشر تتفاوت في سرعتها.. وفي اقترابها من محطات النهاية.. وفي ابتعادها عن محطات البداية.. ويعني توقفها.. رحيل نزلائها منها الى أقرب محطة..
وتلك هي محطة النهاية للعمر .

توثيق الزواج مطلوب

عقد الزواج لدينا بدون توثيق او سجل يشير اليه.. ويشهده عليه.. ويحميه. على النقيض من الطلاق الذي ينتهي بوثيقة تؤكده.. وتحسمه..

وقد تكون الثقة وحدها بين الزواج واسرة الزوجة.. وقد تكون التقاليد الاجتماعية درجت على التسامح في اسلوب الربط عند الخطوبة الا أن تأكيد الزواج عبر وثيقة مكتوبة أمر يجب ان نفكر فيه.. لحماية الزوجين.. ولحماية الزواج ودرءاً من استغلال قد يساء باسم زواج لا يوجد ما يؤكده..

وسأضرب مثلًا واحداً.. الثغرة واحدة يمكن لأي مستهتر استغلالها.. وان في مقدور اي شخص ان يقتطع جواز سفر باسم حواء ــ اي حواء ــ على انها زوجته دون ان تكون لديه المستندات التي تؤكد ذلك الادعاء .. او تلك الحقيقة..

واذا كانت نهاية الزواج تنتهي بتوثيق سجلي شرعي فما المانع ايضا من باب الحيطة والسلام ان تكون بداية الزواج ايضا تبدأ بتوثيق شرعي آخر مكتوب.. تبنى على اساسه كل التزامات الزوج واجراءاته الخاصة بزوجته..

إن هذا لن يكلفنا الكثير.. ولا القليل ايضا .. ويجب ان لايغيب على بالنا قصة الصحابي الذي ترك ناقته دون عقال.. متكلا على الله جل شأنه.. وجاءته المشورة الحكيمة الواعيه:

«اعقلها .. واتكل»

فلماذا نحن ايضا لا نعقل أمورنا.. كل امورنا.. ونتكل..؟

الثأر .. من طرف واحد

درجت بعض المجتمعات المحافظة على ان تثأر لشرفها.. لعرضها.. ان تغسل العار اللاحق بها.. بالدم.. وبإزهاق الأرواح وكثيراً ما نقرأ عبر الصحف من حولنا ان شاباً قتل شقيقته لأنه اتهمها في عرضها.. وفي سلوكها..

لاحد يعترض على هذا اذا ماتوفرت أدلة الإثبات القاطعة بهذا الجنوح عن الطريق السوي..

الا أن الشيء المثير .. والخطير جداً أن البعض ممن يندفعون خلف هذه الموجة.. فيثأرون من اخواتهم او قريباتهم لخطيئة ارتكبت.. هم انفسهم يتعاملون بنفس السلوك.. الشائن.. وبنفس خطيئة الاخوات او قريبات الآخرين.

والسؤال الذي يطرح نفسه»

هل ان العار يلحق بالاسرة.. او بالقبيلة الا اذا كانت المرأة وحدها هي احدى ضحاياه دون الرجل؟

هل أن هذا الغاضب لشرف الاسرة.. القاتل لقريبته بعد جنوحها طوعاً او كرها.. هل اذ كان منصفاً مع نفسه مساءلة ومواجهة.. ومحاسبة.. حين مد الى الضحية سهام القتل دون ان يمدها الى جسده هو.. وهو يدرك في قرارة نفسه انه شريك خطيئة مماثلة إن لم تكن عدة خطايا؟!

نحن نطلب الحد حفاظاً على الشرف.. والعرض.. وليتنا ايضا نطلب العدالة في تطبيق هذا الحد.. عملاً بتوصية المسيح عيله السلام من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر.

انها العملية يابابا..

احياناً تكون هوايات الأطفال مقبولة.. معقولة.. الا ان هوايات اطفالي غير مهضومة .. ولا مفهومة..

ككل الأطفال تكاثرت لديهم اللُّعَبُ والدمى.. وبدلًا من ان يكون جمعها دلالة رغبة ائتمان.. واحتضان .. فان طفلتي تعاملنا مع تلك الدُّمى واللعب بأسلوب غريب غريب محير..

ذات يوم جاءت الي الصغرى قائلة:ـــ

ــ يابابا لقد اجرينا عمليات للعب..

وأمسكتْ بيدي لأشهد الدمى المريضة بعد ان اجريت لها العمليات.. وأي مشهد رأيت..؟!

عشرات العيون مفقوءة .. دُمى مرصوصة مشوهة لاعيون لها..

وحين سألتهما. لماذا كل هذا؟!

قالتا بصوت واحد..

ــ انها العملية يابابا..

وتذكرت ذلك الطبيب الذي يعرف كيف يشق البطن.. الا انه لايعرف كيف يخيطة.. وتساءلت مع نفسي..

ترى هل سيكون بين اطباء الغد من يعمون البصر باسم علاجه؟.

هناك مثل شعبي يقول:

«بغي كحله.. وأعماه»

الا ان اطفالي اقتلعوا العيون من جذورها دون كحل وبعمليات جماعية جسورة.. تحت مظلة الهواية التي أرجو ان لاتنمو معهما لتتحول الى مهنة تفقد الكثيرين إبصارهم.. وأبصارهم.

قوة الضعف

من المفارقات العجيبة أن يبرز اضعف مالدى الانسان كأقوى ماعنده.. تأثراً.. وفرضاً لإرادته..

خذ مثلًا دموع المرأة او الطفل فهي ككل الدموع الشاكية الباكية تمثل مظهر احتجاج مسالم في معركة ظالمة.. الا ان هذا المظهر المسالم يقتحم القلاع والحصون ليصل الى اهدافه رغم شراسة الخصم.. وشدة عناده..

وما رأيت طفلًا ذرف دموع عينيه راغباً او راهبا الا وتحقق له ماتمنى اذا كان في المستطاع تحقيق امنياته..

بل وما سمعت عن امرأة استمطرت مافيها دمعاً صامتاً محتجاً الا وتفككت امامها عقد العناد.. والتحدي.. والرفض.. ايا كانت قسوة ذلك الموقف.. وقوة خصامه..

إن دموع المرأة كدموع الطفل قوة لها فعل السحر وتأثيرها.. ولقد امكن لتلك الدموع الصامتة ان تهزم نابليون بونابرت.. وان تخضعه.. وهو الذي ماعرف في حياته طأطأة.. ولا انحناءة..

لقد جربت حواء.. ان تحارب بلسانها.. وهو طويل ففشلت.. وجربت ان تحارب بيدها.. وهي قصيرة ففشلت..

وحين جربت دموع عينيها كسلاح في الحرب امكن لها ان تحتل.. وتحتل.. وان توسع من رقعة مستعمراتها ومكاسبها.. رغم كل الممانعة.. والمقاومة لقد كان سلاح عينيها.. وهو الدموع اشبه بالطوفان الذي يجرف ماحوله.. وهو يندفع .. ويدفع امامة كل معوقات الوصول الى اهدافه.. انه السلاح السهل الممتنع.. والمنتصر دائما.

جنون العظمة

فينا نحن البشر من يصرعه جنون العظمة فيخيل اليه وهو في تشنجه الهستيري أن الناس ولدوا.. ووجدوا من حوله ظلالًا تتحرك حين يتحرك.. وتقف حين يقف.. وتتوارى اذا ماشاء لها ان تذهب..

فينا نحن البشر من يتوهم ان الناس مجرد اصفار كثيرة متراصة لاتزيد.. ولاتنقص في خانات الحساب مالم يكن رقمه الواحد مضافاً اليها..

والذين يبصرون المرئيات حولهم من خلال ثقب ذواتهم لايمكن لعيونهم أن تستوعب اكثر من ذواتهم المرتدة عبر منظار الثقب الضيق.. فالحياة حرية.. ترفض ان تقيد.. وان تستعبد حتى ولو كان القيد حريريا ناعم الملمس.. براق اللون..

والظلم.. والتعالي هما ابشع ألوان القيود.. وأشدها .. واقساها.. انها مغالطة كبيرة تلك الجملة التي تقول:

«إن الكل في واحد»

الصحيح:

«ان الواحد في الكل.. ومع الكل.. ومن الكل»

تلك هي سمات المجتمع الانساني المتكافل.. المتكامل.. وما عداها فهي افرازات مرضية.. واعراض تتحدث عن«وباء أناني ذاتي» لا ارضاً يقطع.. ولا ظهراً يبقي.

الأكثر حياء

اكثر الناس حياء وخجلًا اكبرهم حباً.. وارجحهم عقلًا..
ان الذين يستحون هم اولئك الذين تعمر قلبهم احساسات المسئولية..
والخوف من الانزلاق في مهاوي الخطر.. والخطأ..
وتجربة الحياة اثبتت هذا..
لقد أعطى لنا التاريخ نماذج لعظماء حكمت تصرفاتهم الخشية..
وحكم تعاملهم التواضع.. وحكم تصرفهم الزهد.. وحكم نطقهم..
ومنطقهم الهدوء..

بل انهم عظماء في مواقعهم إذ كان العرق يتصبب من جباهم حين يتحدثون خشية ان تفضي بهم الكلمات الى هفوات تحسب عليهم..

ان حاجز الخجل لدى الانسان يمثل ركيزة ومانعاً يباعد بينه وبين الغرور والصلف.. وتقيه مخاطر الخطر والخطأ..

وما أحوجنا الى مظلة هادئة تباعد بيننا وبين شهوة الشهرة المجنونة..
التي نندفع اليها في حماس كاذب لا خجل ولا حياء فيه..
مااحوجنا الي ان يكون احساسنا مقيداً بلجام الخشية من الوقوع في الثرثرة القاتلة..
والحياء هو ذلك اللجام الذي يسلمنا الى الألفة.. والمعرفة.. الحياء..
من الايمان..
واذا لم تستح فاصنع ماشئت.. لأن لجام العقل قد انفلت وضاع معه العقل.

بين.. بين

الحياة ليست جادة كلها..
والحياة ليست هازلة كلها..

والا تحولت .. الأولى الى جحيم لايطاق.. وتحولت في الثانية الى مسرح بهلواني يطعم التهريج ويتغذى القهقهة..

الروح الجادة لابد لها من استراحة لالتقاط الأنفاس.. استراحة تمنحها الاسترخاء.. وتبعدها عن كل مايشغل فكرها.. ويوتر اعصابها.. بل إن تلك الروح على حد قول علماء النفس محتاجة الى ان نخرج من طور العقل الى طور ما يشبه الجنون وليس بجنون او بمعنى أصح الى عالم خيالي لاافتراضات فيه.. ولا حدود على ثرثرة اللسان.. وسقطات التخيل.. عالم يجد المرء نفسه فيه وسط حمى من الهذيان الصبياني الذى لا يعرف له معنى سوى أنه.. الارتقاء عن عقدة الضبط الفسيولوجي في تركيبته الجادة.. الى مناخ يسترخي فيه.. وينسى .. مفهوم الجدية والمساءلة..

وكثيرون منا على ما احسب تمر بهم تجربة الهروب الى قول مالايعقل .. والى نطق مالا يفهم.. والى قهقهة لم يثرها استنكار ولا استذكار.. في سويعات من نقلات حياتهم حتى ليتساءلون مع انفسهم في لحظة وعي«أضرب من مجنون الثرثرة مايقولون؟!.. ولعلي احد الذين يسعدون بالاسترخاء الهازل ويرتاحون اليه ساعة أن أجد ان ماحولي يثقل أعصابي ويشد عقلي بوثاق من الجدية الصارمة الصارخة وكما أن النوم استراحة للجسد.. فإن لحظات الهروب من واقع الجدية المستمر استراحة للعقل.. وتنشيط لخلاياه.. انها محطة الانتظار عبر مشوار طويل ثقيل.. لابد من قطعه.

حين تدنو لحظة التآكل

حين تتقدم بنا جادة العمر ترتد خطانا الى الوراء في ضعف ووهن..
يدنو من الصفر كل ما قارب على نقطة اللاعودة..
السمع فينا يحتاج الى تسليك..

الظهر فينا يفتقر الى التدليك..
البصر فينا نغربله بالتفريك..
والمسافات نخضعهما للتحريك ما استطعنا الى ذلك سبيلًا
مجرد محاولات للتنشيط لمقاومة التآكل.. والتجمد.. مجرد محاولات..وكغيري ممن سبقني فقد بدأت احس ان الجادة الطويلة بدأت تنهك الدابة الهزيلة لطول ما قطعت.. ولقلة ما استبقت..

احسست هذا اكثر مااحسست في عيني اجهاداً.. واحمراراً.. وضعفاً.. درجت كغيري اطرق ابواب المعالجين.. فمن وصفة الى وصفة.. ومن قطرة الى قطرة. ومن نظارة الى أخرى.. ومع هذا فإن الاجهاد يعاود.. والاحمرار يرجع.. والضعيف يراوح مكانه لأن العطار لايصلح ما افسده الدهر
ولم اشعر بعظمة الدموع الا حين بكيت ذات يوم وانا اشهد مواقف انسانية مؤثرة في فيلم«كلهن بناتي»..

لقد فتحت عيني كما لم افتحهما بعد كل قطرة.. فتحتهما صافيتين.. باردتين.. وقد غسلتهما الدموع.. وجلت مافيهما من غشاوة.. واحساس بالاعياء.. حتى لكأني ساعتها برئت من عملية استئصال ناجحة لكل ما كنت أعاني.. ما اعظم نعمة الله.. وما اعظم

حكمته.. اننا نخاف الدمع.. نخشى على احدنا البكاء دون ان ندري ان البكاء ضرورة.. وان الدموع ضرورة.. فحمل القلوب المتراكم ينزاح مع البكاء.. وثقل العيون ينزاح ويجف على الأقل مع الدموع.. انا سعيد بدموعي لانها اصدق وصفة علاج اعطت نتائجها لقلبي ولعيني معاً ومن شاء فليجرب.

الاضاحي الضائعة

اكثر من مليون أضحية في موسم حج كل عام تنحر ثم تقبر.. لتتآكل مع التراب..

والسؤال الذي يطرح نفسه؟

ما الذي يمنع من الاستفادة من لحوم هذه الاضاحي.. التي تشكل بدورها ثروة قومية على صعيد الموقف الاسلامي.. والانساني..

إن هناك مئات الألوف من المسلمين الجياع المشردين.. في الباكستان.. في افغانستان.. في لبنان.. وفي اماكن اخرى من هذا العالم تتطلع افواههم الجائعة الى قطعة لحمة.. بل إن هنا ايضا من هو في حاجة اليها..

والسؤال الذي يطرح نفسه للمرة الثانية؟!

لماذا لاتفكر الدولة وهي القادرة.. على تعليب هذه اللحوم وتوزيعها عن طريقها .. او بواسطة رابطة العالم الاسلامي مثلاً على اخوة مسلمين لنا يفترسهم الجوع بمخلبه الحاد.. في الكثير من بقاع الأرض وصقاعها..

إن من اعظم مقتضيات الحج ان يمنح هذه الهدية كل عام لأخوتنا اشقائنا الذين يعانون الفاقة.. بدلاً من ان تضيع.. وتدفن .. ثم لاشيء. حبذا لوحققنا هدفاً اسلامياً انسانياً ننتشل به آلاف الجياع من المسلمين دون ان نخسر شيئاً.. بل اننا بذلك نربح كل شيء.. لأننا اعطينا للأضحية مفهوم التضحية.. ودلالتها الحية في دنيا المحتاجين من المسلمين حبذا.

الممثلون الثلاثة

الممثلون ثلاثة..

- ممثل فنان.
- ممثل مقلد.
- ممثل مهرج.

الأول ينتزع من اعماقه الصور فيرسمها طبيعية.. أصيلة.. دون زيادة او نقص.. والثاني يختلس من غيره الصور فينتحلها.. وينسبها اليه في ادعاء كاذب أو على الأقل لاينسبها .. ولكنه لايملك القدرة على الخروج بها من فلك غيره.. الى فلك ذاته ومعطياته.. فهو صورة طبق الأصل للنسخة الأولى.. انه مجرد الظل الذي يتوارى باختفاء الصورة.. اما الثالث وهو الأخطر.. فهو الذي يعرض صوره معكوسة.. صاخبة الألوان.. متداخلة الخطوط والخيوط.. شاحبة المضمون والمفهوم.. يعرضها موهما غيره بأن نجم الليل شمسٌ.. وبأن سراب اليأس نهرٌ وبأن الحب المفقود يرقد في احضان الحرب..

وكما هي الحال بالنسبة للممثلين من فوق خشبات مسارحهم.. او على شاشات دور عرضهم.. فإننا ايضا نحن المتفرجين توزعنا تلك الأدوار في فهمنا.. وفي هضمنا.. وفي تصرفاتنا..

متفرج انسان تشده الواقعية بصدقها وصفاتها..

متفرج ظل أمعة.. اذا قيل الى إين؟! قال: معه

متفرج مهرج يستخف بعقول الآخرين.. فارضا عليهم شعوذته وصراخه

الممثلون .. والمتفرجون شركاء في مدرسة واحدة ذات فصول ثلاثة..

فصل للحركة.. وفصل للجمود.. وفصل للجنون.

المركب السريع

من لم يسرع به عمله لم يتحرك به نسبه..

الإنسان ما يحسنه.. ويقدمه لبني مجتمعه ولانسانيته من خدمات وأعمال واخطر الناس كسلًا وتواكلًا اولئك الذين يعتقدون ان النسب وحده يكفي لأن يكون مطية صالحة لعبورهم جادة الحياة في سباق مع غيره.. النسب مطلوب.. ورصيد ضخم للانتماء..

الا أنه لايشكل منفرداً خامة المعايشة.. ولا طاقة الاقتدار.. ولا حتى مادة الافتخار اذا كان خلواً من أي رصيد عملي يدفع به.. ويندفع معه..

وحتى اولئك الذين يعتمدون على ماحققه لهم آباؤهم من كسب.. وثروة وشهرة.. ويسلمون اعينهم لسبات الاتكال.. والتراخي.. والخمول كثيراً ما يفتحونها بعد طول غيبة.. فلا يجدون الا الافلاس.. والنسيان.. والضياع الذي لايرحم..

من هنا فإن مطلباً ملحا يفرض نفسه على الآباء تجاه أولادهم .. أن يعمقوا في نفوسهم طموح العمل والكسب كما لو كانوا فقراء أو كما لو كانوا أجراء لديهم.. ذلك ان اشباع الرغبة في توظيف الجهد والطاقة بأقصى قدراتها هو الذي يصنع الثقة.. والنجاح.. والاعتزاز بالنفس..

وبدون الاعتزاز بالنفس والاعتماد عليها بعد الله.. فإن اي رصيد من الحسب والنسب وحده .. لايكفي لاشباع الطموح .. بل ولا حتى الى ايقاظة من سباته.. ان لم يكن قد فات ومات.

اشياء لاداعي لها

لست ادري سبباً معقولًا وملزماً لذلك التهافت المتواصل والتهالك الممل على ابراز الصور في الصحف.. وفرضها على شاشة التلفزة الصغيرة ناقلة كل الحركات.. والسكنات.. بل وحتى الصلوات التي يجب ان تتم في خلوة وهدوء أمام عظمة الله.. و قبالة محرابه كما هي الحال في بلد عربي شقيق..

لادرى ايضا لماذا يتبرم البعض حين لاتحتل صورته حيزاً من صفحة في صحيفة نشرت خبراً.. او مقالًا له.. وكأن الصورة وحدها ضرورة لاستكمال الفكرة لاتصح بدونها.. ولا تقرأ إلا بها ومعها.. يقول البعض:

«ان هذا مركب نقص.. وظاهرة مرضية»ويقول آخرون».. «انه الطموح الى الشهرة.. والتعريف..»

ويقول آخرون:

« وماذا في ذلك ؟! انه النمط والأسلوب الذي يسير عليه إعلام اليوم.. الخبر والصورة لازمان ومتلازمان ملازمة الظل لصاحبه»

ومع كل هذا الذي يقال فإن الاعلام العلمي شيء.. والاعلان شيء آخر.. الأعلام خبر ومضمون.. اما الاعلان فصورة لا ضرورة لها.. الا في حالة الضرورة واذا كانت على مستوى الحدث الذي نتحدث عنه.. لا كيفما اتفق.. ولا بشكل مكروه ممل

ان الله لا ينظر الى صورنا ولكن إلى اعمالنا .. وهكذا خلقهم ايضا فإن الذي يستهويهم العمل وحده دون غيره.

الوصاية.. او الوصي

الوصي .. كما نفهمه هو ذلك الذي يرعى القاصر حتى يبلغ رشده.. ومن ثم لا وصاية على القاصر وقد بلغ مبلغ الرجال..

ولكن الوصاية في قاموس السياسة امر يختلف كل الاختلاف.. ذلك ان منطلقه واغراضه لاتتمثل في الرعاية.. وانما تتمثل في الجباية.. لاتتمثل في الاشراف.. وانما في الاعتراف.. لاتتمثل في السهر وانما في القهر..

واذا كانت الوصاية على القاصر امر تمليه الضرورة ويفرضه المنطق فإن الوصاية على الأمم ضرب من اساليب الاستعمار وقهر المشيئة.. ايا كانت المظلة التي يستظل تحتها.. وايا كانت المسميات التي يتسمى بها.. والامة العربية.. بل والامة الاسلامية لم تكن ابداً ذلك القاصر.. الذي يحوجه وصياية او حماية شرق أو غرب.. ذلك انه يمتلك مقدراته .. ويمتلك ايضا تسخير تلك المقدرات لخدمة قضاياه الروحية.. والقومية.. والامنية ولقد انتهى ذلك الزمن الذي كانت فيه الشعوب تطأطىء هاماتها مرغمة لمستعمر هنا ..أو مستثمر هناك يجبي خيراتها ويستنزفها باسم الحماية.. او الوصاية.. او الحلف..

وما نريد ان نقوله لأدوات الاستعمار الجديد في عالم اليوم..

«لقد تفتق وعي الأمم.. وتفتحت بصيرتها.. ولم تعد تقبل اشكال التبعية من جديد.. لقد شبت عن الطوق.. واستعادت كل قوتها وكل حريتها.. بل وكل رفضها لأي قيد يحد من استقلالها وحريتها وما نريد ان نقوله لكل القوى في هذا العالم التي تبحث عن وصاية أو حماية .. تخدم اغراضها المنظورة او المستترة..

لك الله لاتزني.. ولا تتصدقي

الالتزام.. والالزام

الالتزام.. والالزام..

الالتزام شيء.. والالزام شيء آخر..

الالتزام ربط وثيق بين الانسان وبين ما يعتقد.. أما الالزام فقيد غليظ يشد به يد الانسان دون قناعة به.. او رضى به..

والمفكر.. او الفنان يجب ان يكون ملتزماً بفنه وبفكره والا افتقده.. وأرضية الفنان او المفكر التي يطبع عليها خطوته مالم تكن أرضية ملاصقة لشعوره.. مواكبة لأحاسيسه.. ملازمة لقناعاته فإنها تتحول الى أخاديد ونتوءات تبتلع خطاه.. وتشل طاقاته..

وليس اخطر على اي مفكر من ان يركب موجة دفع اليها قسراً وراء رغبة او هبة متخلياً عن قناعاته.. ومتباعداً عن التزامه الفكري.. الى حلقة الالزام القسري المرفوض عقلانياً

إن حركة الفكر كما دلل عليها الفكر انقيادية ذاتية حرة تبتعد بصاحبها عن المؤثرات.. وعن الجنوح الى المتاهات.. راسمة له عبر وضوح الرؤية طريق التعبير والمصارحة.. وجادة التصور والطرح الامثل.. والمفكر او الفنان حين يتخلى وراء اية مؤثرات أو مؤشرات طفيلية طارئة، حين يتخلى عن جادته، فإنه بذلك ينتحر بسكين غيره.. ويلبس كفناً مصطنعاً.. بل ويرقد في قبر لادعوات.. ولا صلوات حوله.. انه يموت.. ويموت.. وان كان على قيد الحياة.

الشيطان غواية

الشيطان غواية..
الشيطان خطيئة.. واخطاء..
هاجس القتل شيطان..
السرقة.. والاغتصاب شيطان..
العصيان.. والفسوق شيطان..
القسوة.. والظلامة شيطان..
الكذب .. والخداع شيطان..
الغلبة.. والنميمة شيطان..
بخس المكيال.. والميزان شيطان..
الاستغلال.. والاحتكار شيطان..
الخيلاء.. والعجب شيطان..

عدة أوجه يطل فيها الشيطان.. ويطل منها على حياة الناس.. مباعداً بينهم وبين طهارة طفولتهم المبكرة.. مجرداً إياهم من خصائصهم الانسانية.. أو ملوثا على الاقل لتلك الخصائص..

إن قتل الشيطان يعني قتل هاجس الغواية في نفوسنا .. يعني الابتعاد عن الخطيئة المسلمة للخطأ.. يعني الصحوة على نداء الضمير.. ولو عرفنا الحب.. وعايشناه.. وتعاملنا به ومعه لما كان للشيطان ولا للغوية وللخطأ والخطيئة وجود في حياتنا..

فهل نحب الحب تعاملًا وممارسة؟.

كلاهما قاتل

يتساوى في النتيجة«الجوع» و«التخمة»
كلاهما يسلم الى النهاية المحتمة«الى الموت» فكما ان الجوع فراغ رهيب يجرد الانسان من مقومات استمراره.. يسلمه الى الضمور والهزال.. الى التقلص القاتل.. يأتي ايضا دور التخمة التي ترهق الجسم بأكبر من حمله.. تسد عليه منافذ أنفاسه.. وحركته.. وربما احساسه.. وتدفع بكيانه الى التهاوي وراء وطأة الثقل الذي لاطاقة له به..

والاعتدال امر مطلوب في حياتنا.. يمكن بواسطته ان ندرأ خطر نهاية الجائع.. ونهاية المتخم.. ان يكون لكل منهما قدر متساوٍ عاقل ومقود لايفرط(بسكون الفاء)ولا يفرط(بفتحها)

ولعل احدث نظريات الطب الحديث تقول:
«كل كثيراً.. وتحرك كثيراً»

وهذا يعني ان وجبات الانسان يجب ان تكون سهلة ومعقولة بالقدر الذي يستطيع معها جهاز هضمه ان لايرتبك.. وان لايتحول الى كتلة من العجز عن طحن مايلقى عليه من وجبات وواجبات..

وما اكثر ما نتنافس على ملء حصيلتنا في شراهة شرسة بالارز ومشتقاته حتى لانكاد نجد بعد ذلك راحة في التنفس او الحركة بعد ذلك نسلم اجفاننا الى سبات طويل مفزع.. ولنصحو بعد ذلك على قرقعة صحون جديدة قادمة كاملة الدسم لنأكل.. ونأكل حتى تصيب منا التخمة مقتلاً.

اننا وبنسبة ضخمة نستهلك اكثر مما نحتاج.. اكثر من قدراتنا على الهضم والاستيعاب.

وحبذا لو أن هذه الزيادة منحت لأيدٍ ترتعش جوعاً لانها غير قادرة على ان تجد ما تطعم.. اننا بهذا نفتح نافذة للحياة .. لنا ولغيرنا على حد سواء.. حبذا.

هذا هو العمر

الانسان تاريخ.. وامثال.. قبل ان يكون جاها.. ومالا
وكما ان من الصعب عليه ان ينسى اسمه.. فان من الصعب عليه ايضاً ان ينسى فعاله

ولو منح كل واحد منا لنفسه لحظة تفكير.. لحظة تأمل ذات خلفية في عمرها.. ومستقبلية أيضا في ذلك العمر.. لو ان كل واحد منا منح لنفسه تلك اللحظة .. واستشرف فيها ذاته.. وصفاته واحكم مقص الرقابة الصارم على ما قدم.. وماسيقدم .. لكان ذلك منه درعاً.. يقي.. ويزجر..

إن رصيدنا للماضي في يقظة ضميرية.. معناه اننا لن نتحمل نقط السواد على صفحة ماضينا.. وبالتالي فإن أخطاء الماضي أو نقط سواده ستظل تؤرقنا وتزجرنا وتدفعنا عبر جادة الحاضر والمستقبل نحو نهج جديد سليم يكفر مامضى.. ويغسل بقع السواد العالقة في صفحة الذكريات..

وحبذا.. لو ان يقظة الذاكرة .. كانت ذاكرة لاتنسى.. اوتتناسى لاتضيف الى رصيد بقعها السوداء بقعاً جديدة تشين من نظافة الصفحة.. ومن نقائها.

والضمير اذا كان حياً يتذكر.. انه اقوى درع واعتى رادع ذلك ان الضمير لايمكن ابداً ان يستريح تحت عاصفة الزجر والتأنيب لانه الصفحة المشرقة للانسان داخل نفسه.

من زرع حصد

من زرع حصد..
من زرع سنبلة طعم من قمحها..
ومن زرع قنبلة طعم من نارها..

واولئك الذين هدوا اوكار واكواخ تل الزعتر على رؤوس الاطفال والشيوخ بل اولئك الذين شاركوا في مأساة.. ومجزرة الزعتر حصدوا سوء فعالهم بعد عام من الفاجعة..

قد تكون قوياً متعطشاً للدماء اليوم.. ولكن من يدري في الغد فقد تكون ذلك الضعيف المذنب الذي يدفع من دمه ودم أطفاله ضريبة الظلم.. والتجني..

ومأساة لبنان.. بخيوطها المختلطة.. بخطوطها القاتمة سوف تظل وصمة عار في جبين التاريخ الحضاري المعاصر لأنها تجاوزت في وحشية كل تقديرات المتشائمين.. كل حسابات الشامتين..

لقد تجاوزت حدود الصراع الحضاري الى واقع القتل للقتل.. واصبح مايهم المقاتل في الدرجة الأولى خانة الأرقام.. كم جثة هوت.. كم مصاباً يتقلب مع جراحه.. كم بيتا دمر كم عرضا انتهك بل كم خزانة.. وبيتا سرق ودك على اهله. لم يعد هناك«انسان»

الزبانية وحدهم هم الذين يتحركون في حرية.. وبحرية حرابهم ومدافعهم وقنابلهم.. وصواريخهم يذرعون الطرقات بحثاً عن أي طفل يتحرك اي ظل يتحرك ليجندلوه.. وتبقى الإجابة دون اجابة بل وتبقى النهاية دون نهاية.

رغم كل هذا .. فهو نامي..

قال:

«ماذا عن رحلتك؟!»

أجاب:

«كانت رحلة شيقة وممتعة»

سأله:

«وماذا شاهدت؟!»

كان رده:

«شاهدت بلداً متطوراً.. العمارات الشاهقة.. والدارات الحديثة.. المعارض الضخمة التي تمتلىء بأحدث موديلات سيارات العصر.. .. المتاجر الحديثة الواسعة التي تستوعب كل منتجات الشرق.. والغرب»

قال صاحبه متسائلا:

«هذا وحده لايكفي للدلالة على تطور اي بلد.. إن بلاداً كثيرة على اول عتبات سلم نموها تملك فيما تملك العمارات الشاهقة والمعارض الواسعة.. والمتاجر الضخمة وهي في عداد القاموس الحضاري متخلفة

أما لماذا.. فلأن كل عوامل الانبهار فيها مستورد..

الخامات التي يشيد فيها البناء..

السيارات التي تتحرك..

الضروريات.. والكماليات التي تستهلك..

انها مجرد وعاء يستوعب ما صنعه الآخرون..

ومتى استوعبت في وعائها ما تصنعه بطاقاتها.. وبجهدها الذاتي صح

أن تكون بلداً متطوراً.. وحضارياً.. لانها تمسك بمفتاح مستقبلها ومقدراتها بيدها..

هكذا أفهم مفهوم الحضارة.. والتطور.

حين يجرف التيار الكبار

لاغرابة ان تشهد شخصاً في عقده الثالث او الرابع او الخامس من عمره يَجدّ بكل طاقاته.. ويوظف كل امكانياته في سبيل الحصول على المادة.. ذلك ان عمراً كهذا هو محصلة طاقة الشخص .. وذروة طموحاته في أن يجد من الثروة ما يغنيه.. وما يكفيه.. وما يدفع عنه ذلك السؤل والسؤال..

الا ان الغرابة تتجلى بأوسع معانيها وصورها وانت تشهد انساناً اجتاز عقده السادس او عقده السابع بهدوء وقناعة بما يملك ثم اذا به فجأة وبفعل العدوى.. والجوع النفسي المتأخر يتحرك كالمسعور باحثاً عن المال بكل السبل وبشتى الاساليب.. وكأنما ولد لتوه .. بل وكأنما نسخة جديدة من عمره الثاني على الابواب تنتظر ولوجه اليها محملا بالمال والآمال والاثقال..

واذا به يستعيض عن جلال قدر الشيخوخة(بسكون الدال) جلجلة قدر المال (بكسر القاف).. مثيراً غباراً كثيراً لامبرر له على بياض شيخوخته.. بل وعلى انضباطه الذي لازمه طول حياته الماضية والطويلة

والسؤال الذي يطرح نفسه؟!

لمن هذا الركض المحموم المجنون من انسان قاب قوسين او ادنى من قبره.. وهو الذي لاجوع يعضه.. ولا سؤل يقض مضجعه؟!..

لمن هذا التهالك.. والتهافت.. وخلع رداء الكبرياء«القناعة الواعية»..

وما بقي لا يسمح بكل هذا.. ولا ببعض هذا بل لا شيء من هذا؟!

ومحصلة الجواب على هذا التساؤل تدلنا على الأثر الذي يقول او مافي معناه:

«يكبر المرء.. وتكبر معه خصلتان.. حب الدنيا.. وطول الأمل..
وحب الدنيا بنهم مسعور في لحظة وداع.. خطأ.. بل اكاد اقول
خطيئة.. ولكنها طباع البشر.

اذا كانت النفوس كباراً

اذا كان رأس المرء كبيراً تعب الجسم في حمله..
والرأس الذي اشير اليه ليس الجمجمة.. ليس الحجم.. وانما هو الذكاء والفهم وفي الحياة أفراد ليسوا بالقلة ضاقوا بفهمهم .. وباتساع مداركهم فضاعوا أمام طموحاتهم التي عجزت عنها قدراتهم الخاصة لارتباطها بقدرات ما حولهم.. وبتأثرها بها..
والنهاية بالنسبة لصراع ذهني وعقلي غير متكافىء إما الهروب التام والعزلة وهي ما تبدو عليه حالات كثيرين ممن اتسمت حياتهم بالنضج المبكر المشبوب أو الارتماء في احضان الفوضى.. او ماتشبه الجنون من منطلق ساخر لا مبالٍ.. يهزأ منه كل ما حوله..
والتباعد الرهيب بين خيال ضارب في السمو وآخر ضارب في الدنو يخلق الهوة المتسعة بين الخيالين.. ولكنه أيضا في حالات كثيرة لا يبقى على سمو الخيال.. وانما يجتذبه الى ما يشبه الدنو دون رضى او قناعة ليسلمه في نهاية المطاف الى مايشبه العجز عن الحركة.. او الاستسلام القهري لمؤثرات الدنو الغير قادرة على الارتفاع..

وفي كل مجتمع نماذج لمن طوحت بهم عبقرياتهم المبكرة الى مايشبه الهوس.. والجنون والهروب.. بل والتخلي عن إيقاظ الفكرة أمام اية حركة.. او أية ملامسة.. ذلك أن الحمل المثقل من الأحاسيس يتهاوى أمام جسد ليست له كل امكانيات الحمل.. وقدرات الاسناد..

وإذا كانت النفوس كبارا.. تعبت في مرادها الأجسام

الحب.. والحرب

دنيا الحب.. ودنيا الحرب ايهما المنتصر في واقعنا..؟
بين الخيارين تبدو أن غلبة المصالح تكاد تطغى على غلبة الصالح..
ذلك ان الحب الذي يولد معنا نقياً يتلوث في اغلب الأحايين ويتأثر ..
ويندفع في مجرى الصراع المادي الذي لايكاد يهدأ
ونظرة فاحصة الى مايدور حولنا.. ماذا نشهد ونرى؟!

○ ايديولوجيات واحدة.. ولكنها غير متحدة.. بل متصارعة كما نشهده في شمال شرقي آسيا وكما هي الحال بين موسكو.. وبكين..
○ تناقضات حادة جادة بين الكتلة الشرقية.. والكتلة الغربية.. وتسابق رهيب مسلح من اجل السيطرة والتوسع..
○ البروتستانت في حرب مع الكاثوليك في ايرلندا..
○ الهندوك في صدام مع المسلمين في الهند..
○ الشيعي في مواجهة مؤسفة مع السني في ايران.
○ العلوي في نزاع مع السني في سوريا..
○ المسلم في حرب مع المسيحي.. بل والمسيحي في مجابهة ساخنة مع المسيحي في لبنان
○ الأقليات في عراك مع بعضها..
○ بل والشقيق يبيح دم اقرب الناس اليه من اجل حفنة من النقود..

صراع رهيب بحجم اتساع الدائرة.. الكرة الأرضية.. صراع يتسع ويتسع ويتفاقم بحكم الطمع المجنون المريض في اعماق الانسان.. والأنانية الرعناء التي تتحكم في مسار حياته..
والغرابة كل الغرابة أن الايديولوجيات الواحدة لم تجمع اصحابها لأنها

غير متحدة.. والغرابة كل الغرابة.. ان اعتناق الكثيرين للرسالات السماوية التي تبشر بالمحبة والتسامح لم يوقف نزيف الدم المتفجر على صخر الأطماع..

دنيا الحرب.. انها تنهش دنيا الحب كل انيابها.. انها تفترسها دون حراك من ضمير.. عقل.. إنها المأساة انها قصة هابيل وقابيل التي تتكرر مع كل يوم مع كل ساعة بل مع كل لحظة.

مفعول الكلمات

في احدى المدن الكبيرة المطلة على البحر الابيض المتوسط لفت نظري مشهدين لصورة واحدة.. او وجهين لعملة واحدة..

الصورة .. او العملة لفت نظر المواطنين الى النظافة ولكن باسلوبين مختلفين وبنتيجتين مختلفتين..

المشهد الأول في أحـد الأزقة.. ويتمثل في عبارة كتبت بخط كبير..

العبارة تقول:

«لاترمون القمايم يابهايم»

وكان من حولها اكوام هائلة من الأوساخ تتراكم.. وتتعاظم فيما يشبه التحدي لصاحب هذه العبارة التى اساء اختيار كلماتها..

اما المشهد الثاني فكان في هيئة كلمات مؤدبة واعية تقول عبارتها:

«حافظوا على نظافة مدينتكم»

«لطفا ساعدونا على النظافة»

«النظافة وجه مدينتكم الحضاري»

ومن حول هذه اللافتات.. والكتابات.. تبدو لك الاستجابة إن لم تكن كاملة فإنها على الأقل على قدر كبير من التقبل..

إن التحدي يفضي الى التحدي.. ويجسم العناد حتى مع ادراك المعاندين بخطئهم .. ولكن عبارة مهذبة مؤدبة تعمل عملها كالسحر.. وتخلق المناخ المواتي للمشاركة.. والبناء..

وكلمة طيبة دائما.. تعطي اكبر واكثر مما تعطيه عاصفة من الصراخ والتحدي.. وهز العضلات..

الأمل

الأمل في اعماق الانسان اقوى من استطاعة التحمل عند صاحبه.. بل ان الأمل أقدر على ايجاد التصورات اللامعقولة.. وفي قالب نكاد نعقله بحكم رغبتنا فيه.. واملنا في الحصول عليه..

وفي قرارة نفس كل انسان من هواجس يغذيها الأمل.. ويمد لها جسراً طويلا طويلا لايكاد يبدو له نهاية.. وهذه الهواجس ترقى الى حد التخيل بإمكانيتها.. حتى ولوكانت شبه مستحيلة ..

وخذ مثالًا على ذلك..

إن احدنا يفكر ان له عمرا قد يمتد.. ويمتد حتى يخترق به اكثر من جيل قادم.. بل انه احيانا يتخيل عمره ظاهرة نادرة تتجدد وتتجدد ولا تتآكل برغم تقدم السنين.. بل ان اسرافه في الأمل يدفعه الى افتراض صبياني ان عمره سيظل حيا شاهداً على اجيال قادمة سوف تولد وتعيش وتنقرض..

وظاهرة الأمل الخرافي هي اسعد الظواهر وامتعها في نفسية صاحبها.. ذلك انها تدفعه الى التحرك والعمل بتطلعات ذلك الانسان الذي يريد ان يعيش طويلا طويلا دون ان يبرم ويشيخ.. دون ان يموت.. ولو ان سلطان الموت كشف اوراقه لأحدنا مشيرا الى انه سيلفظ انفاسه بعد مائة عام اوحتى بعد مائة وخمسين عام بالتمام والكمال لتزعزعت في نفسه كل طموحات العمل.. وكل عوامل الاستقرار.. وكل حوافز الاستمرار.. ولراح يعد الايام ويحصيها ولكن في مرارة الانتظار وفي تقطيبة الخائف من النهاية رغم ان موعدها بعيد بعيد..

وبالأمل وحده يسعد الانسان

لاتظلموا المرأه

كثيرا ما نظلم المرأة.. بل ان فينا من تهزه الصدمة حين يبشر ببنت ولدت له.. ونحن بهذا نتجنى .. ونمعن في التجني.. ذلك ان نظرتنا الى الانثى نظرة قصور أمر يرفضه المنطق والعقل .. بل ويكذبه الواقع الذي اثبت عكسية هذه النظرة وتفاهتها..

المولود الذكر لاحد يشك في انه الخيار الأفضل لو كان هناك خيار لأنه الامتداد الطبيعي لشجرة الانتماء.. الا ان البنت ايضا غصن وارف الظلال من تلك الشجرة.. غصن يضفى عليها النضارة.. والتحنان.. والحب..

وكثيرون جداً لحظة البحث عن سند يتكئون عليه في مرحلة شيخوختهم لم يجدوا الا تلك البنت حضنا رؤوماً عطوفاً باراً..

ولعلي لا اكون مبالغا اذا ما قلت ان نسبة وفاء البنت لأبويها اكثر من الولد الذي يتفرغ لحياته.. ومشاكله.. ومشاغله ويبتعد عن ابويه في مرحلة من العمر هما احوج اليه رعاية.. وعناية..

اننا نظلم المرأة .. في نظرتنا اليها على انها ضلع اعوج بدايتها مشكلة.. ونهايتها مشكلة..

لا احد ينكر ان البنت تبعة ضخمة في عنق والديها.. وهي طفلة.. وهي زوجة وهي أم أولادها لأن مشاكلها من مشاكل ابويها.. الا انها رغم هذا كله.. اكثر التصاقا.. واكثر تفاعلًا وتعاملًا مع والديها في لحظة احتياج الى وقفة بر في نهاية عمر.. منهما.. ومنها ايضاً.

لاكبار.. ولا عمالقة أمام النقد

هل ان الكتاب الكبار.. أو ما يطلق عليهم بالعمالقة يجب ان يكونوا في منأى عن الهجوم والنقد اذا ما شطحت أفكارهم بعيداً عن جادة الصواب؟!

تساؤل اورده هنا وانا اقرأ الفكرة التي كتبها الاستاذ مصطفى امين في عموده اليومي«فكرة» بجريدة الاخبار الصادرة بتاريخ ٩٩/١٢/٢٣ الفكرة في مضمونها تطالب بالمحافظة على ناطحات السحاب من العباقرة والحرص عليهم وعدم إلقاء القمامة عليهم او بالقرب منهم..

ونحن مع الكاتب المصري في أن العباقرة ثروة قومية فكرية يجب الحفاظ عليها واحترامها.. مادام الخط لأولئك العباقرة مستقيماً.. ومادام النهج لهم صائباً قويما..

إلا أننا لسنا معه في اننا يجب ان نسلم لهم العصمة في كل مايدعون.. وفي كل مايدّعون وان نلثم جباههم حتى ولو كانوا على خطأ..

وناطحات السحاب من العباقرة قد نحرص عليها ونقيها شر القمامة من الخارج.. ولكن اذا كانت القمامة ترمى من نوافذها وشبابيكها يجب ان نحاسبها سيما وهي ناطحة سحاب يحسب عليها اكثر مايحسب على غيرها..

وسواء اكانت ناطحات السحاب كتابا كباراً او شعراء كبارا كما نطلق عليهم من قدموا اثراً او فكراً.. فان الذي قدموه بالأمس لا يجب ان يحول عن مساءلتهم في أثر وفكر. اليوم مساءلتهم عن أي تشكيك

او ارتداد عن النهج القومي المصيري.. وهو الأهم..

إن النقد يجب ان يأخذ حدته وعدته اكثر واكثر حين يطال المفكر أيا كان وجود أمة.. وانتماءها عبر مغالطة او تشكيك لامبرر له.. ولا صحة فيه.

وناطحات السحاب حين تتآكل اساساتها يجب الاسراع في اصلاحها تعديلا او تبديلًا حتى لا تلتهم سكانها من الضحايا الاثرياء.. وضحايا الفكر الأبرياء هم الشعوب التي يجب ان تحمى من سموم الفكر القاتلة حتى ولو كانت من ناطحات السحاب.. من العباقرة على حد قول الكاتب« مصطفى امين »

المسلمون.. والاسلام

المسلمون.. والاسلام.. وألف وربعمائة عام..

بعد أيام نستقبل القرن الخامس عشر الهجري وودعنا منه الكثير الكثير مما نحب.. ونكره..

ودعنا معه أماني لم تتحقق.. وودعنا معه أماني لم يكتمل تحقيقها.. اما تلك الأماني التي تحققت فإنها موجودة معنا في نقلتنا الجديدة الى العقد الجديد.. والى الجيل الجديد دون وداع..

ومع خطوة الزمن القادمة فإن تطلعاتنا الى المستقبل اكبر مما صنعنا .. بل واكبر مما ابقينا.. ذلك ان الزمن الذي نقف امام عتباته مليء بكل التناقضات.. والصراعات.. والخيارات.. والذي يتحتم علينا ان نقتحمها بعيون مفتوحة وبارادات مؤمنة.. وبوحدة من العقيدة.. والوعي.. والحذر..

ان رياح التغيير تهب من حولنا عاصفة قاصفة تستهدف اول ما تستهدف عقيدتنا.. حقوقنا.. كرامتنا.. حريتنا .. وحدتنا.. وما لم تكن مواجهتنا لهذه الاعاصير بحجمها صمودا ودفاعاً فإن الكثير الكثير سوف يتأثر.. وسوف يتعثر وسوف لن يقوى عن البقاء..

مع استقبالنا للقرن الخامس عشر.. يجب ان يكون لقاؤنا به لقاء صناع للأحداث لا متأثرين بها.. لقاء دفاع ودفع لكل عوامل الضعف.. والانقياد والتبعية..

ان نكون اقوياء بتراثنا.. اوفياء لترابنا.. حراساً على ارادتنا.. دون ان نِكلّ.. او نِملّ..

إن ذلك خير احتفاء.. وخير احتفال ينتظره جيلنا القادم منا.

ماذا تعني كلمة حضارة؟!

المفهوم الحضاري ماذا يعني؟!

هل يكفي لأمة متقدمة تكنولوجياً فحسب ان تكون حضارية؟!

هل ان الحضارة وحدها تفتق العقل ليصنع الآلة.. ولينطق الجماد؟!

هل الحضارة إثراء معملي حتى ولوكان هذا الاثراء على حساب وجود الانسان نفسه كرامة.. ومكانة؟!

أم ان الحضارة قبل هذا كله.. وبعد هذا كله سلوك اخلاقي انساني بمقدار صنعه للآلة فإنه يصنع الجسر الموصل الى شاطىء الحب.. والعدل.. والمعايشة..

أطرح هذا التساؤل .. وانا اقرأ.. واسمع نغمات مايسمى بحضارة اسرائيل والتبشير بما يمكن ان تضيفه الى الحضارات الأخرى تحت خيمة اللقاء على صعيد التعاون..

اسرائيل ابدا لم تكن حضارية.. ولن تكون حضارية لأن سلوكها البدائي في التعامل ينطلق من رغبتها في الامتصاص .. والقهر.. والاذلال... لا أحد ينكر ان اسرائيل سبقتنا تكنولوجياً بحكم تركيبتها الاجتماعية التي نزحت اليها من بلاد متقدمة علميا..

الا ان الذي لايمكن ان نسلم به اليوم وغدا.. وبعد غد.. هو ان اسرائيل مجتمع تحكمه الضوابط اللاأخلاقية.. والسلوك اللاانساني مع الآخرين وكما ان النازية كانت متقدمة علميا.. متخلفة سلوكا.. فإن اسرائيل ايضا تمثل شريحة جديدة من نازية اليوم.. تقوم استراتيجتها على بسط النفوذ.. واحتواء الغير بأي سبب.. وبأية وسيلة.. وهذا ما لايتفق والمفهوم الحضاري الذي تؤمن به وتنادي به كل الشرائع والقواميس.

التقدير الكبير

اكبر من شهادة ريادة تمنح لمفكر..
اكبر من كل الأوسمة والنياشين .. والالقاب..
أكبر من كل الجوائز والمنح المالية..
اكبر من كل هذا أن يجد المفكر لأفكاره حرية الطرح والتعبير.. حرية التعامل معها.. حرية التفاعل معها..
فالفكر لايدميه اكثر من الصمت القاهر الذي يحبسه.. وينتزع منه نبض الحياة..

ونبض حياة الفكر او المفكر ان تتساوى الرؤيةوالابصار لديه.. فكما أن بصره يمتد ليستوعب المرئيات القريبة من حوله.. فإن بصيرته ايضا يجب ان تمتد لتستوعب وبأبعاد ومساحات اكبر كل ماتستطيع أن تطاله .. وان تفرغ هذا الاستيعاب من حصيلة الفهم الى حصيلة الهضم.. الى بساط الافصاح الهادف الهادىء الواثق..
من هنا فإن اعظم مايمكن منحه لمفكر ان يرتاح الى حرية تفكيره.. وتعبيره دون سَدّ يمنعه.. أو شدٍّ يلويه الى مالا يؤمن به.. أو خشية تطفىء في وجدانه شعلة العطاء..
الفكر فوق شهادة الرياده.. اكبر من كل الأوسمة والنياشين.. والالقاب.. اغنى من كل المنح والجوائز..

إنه الحياة.. صوتها الذي يغرد.. ويصدح.. ويصرخ..

إنه النهر.. نهرها الذي يتدفق لتروى منه النفوس الظامئة الى وردها .. بكسر الواو ــ والى وردها ــ بفتحها ــ انه الانسان الإنسان.

السمك الآكل المأكول

السمك يأكلنا.. ونأكله..

ان استلمنا في اعماق البحر جعل منا وجبة شهية.. وان استلمناه خارج اطار امبراطوريته الهائجة المائجة اتخذنا منه غنما.. وطعماً.. ليس في هذا من جديد.. فهناك ايضا من يأكل ولا يؤكل.. وهناك من يؤكل.. ولا يأكل.. وهناك من لايأكل.. ولا يؤكل..

إلا انه قصة السمك وحده اثارتني وجدانياً عبر ما تناقلته أخيراً وكالة الانباء من ان آلاف اللاجئين الفيتناميين الفارين من جحيم الحرب عبر سفن وقوارب والذين أمضوا عدة شهور على متنها تتقاذفهم امواج البحر الصيني استطاعوا انقاذ انفسهم من الجوع بما استطاعوا الحصول عليه من اسماك كانت هي الغذاء الوحيد الذي يمكن الحصول عليه عبر رحلتهم الشاقة الطويلة..

آلاف من المنكوبين البائسين مَدَّلهم السمك يد الانقاذ الى ان استقبلتهم اليابسة في نهاية المطاف لتحتضنهم الأرض بوافر خيرها بعد ان احتضنهم المحيط لعدة شهور كان شبح المأساة خلالها يتهددهم غرقاً..

وكما انقذ السمك الآف اللاجئين الفيتناميين.. وابقى على حياتهم وقد طعموا منه اطفالًا.. وشباباً ورجالًا.. فإن السمك أيضا قبض الثمن من رفاقهم وعلى غير بعد منهم.. حيث غرق الآف المنكوبين بعد ان تحطمت بهم قواربهم.. وسفنهم الصغيرة.. وذهبوا طعما للحيتان..

وكما أكلوا السمك فأنقذ حياتهم.. اكلهم السمك فأودى

بحياتهم.. وتلك هي سنة الحياة.. أخذ وعطاء.. حتى مع كل المخلوقات الأخرى التي لانقيم لوزنها.. ووجودها بالًا.. لأننا نجهلها او لاننا نتجاهلها على الأحرى.

جسدوا له الوهم

جسدوا له الوهم في غمرة انفعالاته وصراعاته النفسية الحادة فركن اليه وارتاحت اليه نفسه وان كان يرفضه كل الرفض في قرارة نفسه..

هو شاب لم يتعد بعد عتبة الثلاثين.. على قدر لابأس به من الوسامة.. وعلى قدر اكبر من التصاقه بجيله الذي اندفع فيه.. وراح يعب من كأسه.. ليطفيء من ظمأ جنسه.. وكان أن ارتطم بصخرة الواقع ليجد نفسه منبوذاً من أقرب الناس اليه.. والصقهم به.. فقد عمله.. وفقد أمله ايضا.. وأحس ان العالم على رحابته يكتم انفاسه..

ولكل فعل رد فعل كما يقولون..

اطلق للفوضى العنان داخل ذاته وخارجها.. شعره لم يبق من دائرة وجهه الا تلك الدائرة التي تحيط بعينيه.. ثيابه الرثة المهلهلة.. وجومه.. وهلوسته.. شروده.. واحيانا خيبته الى البكاء بسبب او بدون سبب.. وافرغ اهله في ذهنه ان جنية من اهل الأرض تلاطفه وتسكنه.. ولم يعترض فقد كان دون ارادة..

وافرغ اهله في ذهنه ايضا انه مسحور.. ان فتاة احبته وسحرته حتى لايقع في شراك فتاة أخرى.. ولم يجد البد من ان يصدق لكثرة ماقالوا له عن السحر وعن السحرة والمسحورين..

وقيل لأهله ان عجوزا كسيحة عمياء في احدى المدن تعالج السحر.. وكان لهم معها سفر.. وكان لها معهم صفقة مادية رابحة أجراً لصرة الدواء.. صرة السحر التي عادوا بها الى مدينتهم ليفتحوها أمام ابنهم.. ولينفتح معها اول ابتسامة أمل جسدها وهم..

ماذا كان في جعبة الصرة ذات الثمن الباهظ..
بعض قطع صغيرة من حديد مملوءة بالصدأ..
بعض شعيرات متفاوتة الطول
قطع صغيرة من حجارة..

وقبل هذا كله وبعد هذا كله وهم كبير جسدوه بأن ابنهم أسير سحره.. لا أسير صراعاته النفسية الحادة بين ما يقبل وما يرفض.. وكان ان استسلم بعد طول معاناة الى عيادة السحر ماداً يديه حتى لتلك الصورة الخرافية من يد مشعوذ.

دعـاء

يارب أوجدتني فهبني مما خلقت.. وممن خلقت:

- وداعة الحمل..
- براءة الطفل..
- عطاء النحل..
- دأب النمل..
- وفاء الكلب..
- إقدام الأسد..
- مسالمة الحمائم..
- رقة النسائم..
- تحملُ الجمال..
- شهامة الرجال..

يارب..

- مع الغنى فهبنى الشكر.. والقناعة.. والسخاء..
- ومع الفقر فامنحني قوة التحمل لكي لا أحني هامتي لأحد..
- اعطني اليقين قوة التحمل لكي لا أحني هامتي لأحد..
- وامنحني القدرة على ان اقف على قدمي وسط زحام العثار والمتساقطين..

يارب..

- ايمان لا كإيمان العجائز..

○ وآمال لا كآمال المسلمين للضعف والهوان

يارب..

○ وقد خلقتني حراً طليقاً امنحني القدرة على أن لا أظلم أحداً.. ان تقف حريتي عند حدود حرية الآخرين.. ان لاتطال ما ليس لها بحق..

يارب

الرافضون للتاريخ

الذين يرفضون التاريخ هم اولئك الذين لفظهم التاريخ لأنه لاتاريخ لهم..

والذين يتمنون الفشل لغيرهم هم اولئك الذين لم يسلك النجاح طريقاً اليهم.. ولم يطرق لهم باباً.. لأنهم آثروا انتظار النتيجة لتركع تحت اقدامهم دون ان تتحرك منهم خطوة الى الأمام.. ولا حتى خطوة الى الخلف..

وطريق البشرية الصاخب بكل مافيه.. وما عليه.. لايلتفت الى القابعين في الزوايا ولا الى المتهالكين خلف صخور الوهن.. ومغارات العجز والتواكل وانما يتحرك.. بكل مافيه وما عليه لقطع المسافة الموصلة الى الأهداف حتى وهو يجتاز بعض الحفر.. حتى وهو يتسلق بعض الجبال.. حتى وهو يعبر بمجدافه الموج المتلاطم.. ذلك أن محصلة الطموح ترفض ان تكون مرفوضة من التاريخ.. وانما مفروضة عليه.. ملاصقة له.. مشدودة به..

ان الرفض للحركة شد الى الموت..

وان انبهار الخطى يعني انهيارها..

وان التحمل على ثقل الجمل دون شكوى عاجزة.. أول الخطوات وثانيها.. وآخرها.. لأن التحمل يعني الإيمان.. ويعني الطاقة.. ويعني النتيجة..

عليك نفسك

ومن لم يرتكب منكم خطيئة فليرمها بحجر..

تلك هي الكلمة المأثورة عن السيد المسيح عليه السلام.. انها تذكرنا وبشكل مستمر عن الاخلاقيات اللااخلاقيات.. تلك التي تتعامل مع الفضيلة من خلف ستار مقنع.. فتزكي نفسها وما هي بزكية.. وفي محيط تعاملها مع الناس فإن لسانها الجارح.. وتشهيرها الفاضح يشكل اسلوبا مريحا تقتات من غباره وتتكيء على جدار عاره..

قال لمحدثه..

لقد سمعته.. وهو يقذف فلانا.. وينشر عرضه.. بما يعقل ومالا يعقل.. لقد سمعته وهو يقول عنه مالم يقله مالك في الخمر.. المأساة كل المأساة أن ذلك القاتل.. او ذلك المقتول المتحامل في قذفه واتهامه.. يمثل علامة بارزة في الانحراف.. والانجراف الى ماهو اعتى..

قال لمحدثه.

لقد تذكرت وانا اسمع الى فحيح الأفعى البشرية.. الحكمة القائلة..«من كان بيته من زجاج فلا يقذف الناس بالحجارة..

بل لقد تذكرت قول الشاعر القديم الحكيم..

عليك نفسك فتش عن معايبها

وخل عن عثرات الناس للناس

ولكن .. يأبى اناء البشر الا ان ينضح بما فيه.

البساطة كانت عنوانه

قال لاستاذه الشيخ..

ــ كثيرون هم اولئك الذين يحترمونك.. ويجلونك.. ومن اجل احترامهم واجلالهم فإنهم يأخذون عليك عدم عنايتك بمظهرك.. بهندامك..

انك لست واحداً عادياً.. ومن أجل هذا فإن مطالبتهم اياك ملحة في ان يتوافق مظهرك مع مخبرك..

والتفت اليه استاذه.. وعلى شفتيه ابتسامة لا تخلو من سخرية.. وقال:

ــ وما يثيرهم اذا ماكنت بسيط المظهر.. اذا ماكانت هذه البساطة عن قناعة في أن التواضع لون من ترويض النفس.. وعسفها على تقبل كفايتها.وكان جواب تلميذه:

ــ ولكن المثل يقول:

كل من الطعام ما تشتهي.. والبس من الرياش ما يشتهى الناس.. وانت في بساطتك اصبحت مثار اثارة وتندر.. بل واستغراب واشفاق من الكثيرين فما ثيابك هي ثيابك ولا حذاؤك هو الذي تصلح لمثلك.. انك استاذ كبير

إن فيما تلبسه الاحراج كل الإحراج لتلاميذك ومريديك وانا واحد منهم.. واطرق الشيخ برأسه هنيهة.. ثم التفت الى تلميذه.. وهمس..

ــ قل لاصدقائى كل اصدقائى.. اذا كان احترامهم لهندامي وحده فأنا غني عن هذا الاحترام.. إن حكايتي مع مظهري امر يخصني لوحدي.. انني لا اشعر بمركب نقص لكي ابحث كما هي حال

الكثيرين عن مظهر احجب به هذا الشعور.. قل للذين يشفقون.. او يعتبون.. اويعيبون انني لا اتصنع الحياة.. لااقيم لمظاهرها ادنى وزن.. مهما كان النقد..

لأن الحياة جاءت بسيطة بسيطة.. ولكننا نحن نثرنا على بساطها كل العقد .. ومظاهر الشكليات الخادعة..

العنف يفضي الى العنف

العنف يفضي الى العنف.. نتيجة حتمية لا تقبل الجدال او النقاش.. وعلى الذين يدينون(الارهاب!!!) الفلسطيني على حد زعمهم ادانة الارهاب الصهيوني الذي كان السبب والعامل الأول والاخير لكل مظاهر العنف..

ولايمكن لأحد ان ينتظر من شعب نصبت له اعواد المشانق.. والهبت ظهره سياط الظلم.. وشرعت أبواب السجون في وجهه.. ان يركع.. وان يقبل اقدام جلاديه..ولا المتعاونين معهم.. بل ولا حتى المتعاطفين معهم..

إن من حقه ان يرفض الظلم المفروض عليه..

وشعب بلا هوية.. بلا وطن.. لايمكن له ابدا ان يسالم تحت مظلة احتلال أرضه.. والا ضاعت منه القضية.. واسلم مصيره الى ضياع قاتل مزرٍ..

وعلى الذين يشجبون .. ويستنكرون مقاومة الفلسطيني بكل الاساليب والسبل المتاحة له ان يعيدوا حساباتهم مع انفسهم.. ويسألونها؟

ترى ماذا هم فاعلون لو ان لصاً سطا على بيوتهم وشرع في وجوهم سلاحه مهدداً متوعداً؟!

ترى ماذا هم فاعلون لو أن غزواً غربياً اجتاح ارضهم.. وأباح دماءهم وعرضهم؟ هل ان مقاومتهم لذلك اللص.. ولهذا الغزو ارهاب يجوز شجبه واستنكاره؟!!

أم انها لعبة المتفرج الذي يمسك بمحفظة نقوده في جيبه.. ولا يهمه بعد ذلك استغاثة مسروق.. او مظلوم..؟

حطموا اعواد المشانق المنصوبة لكل فدائي..

افتحوا ابواب السجون والمعتقلات.. وقد ضاقت بالناضلين..

اعيدوا اللاجئين المشردين الى اوطانهم..

وبعد هذا كله حاسبوا اي فلسطيني عن اي ارهاب يقدم عليه كارهابي.. لأن المقاومة تقف عند حدود عودة الحق..

بي القبض.. والعض..

عجيب أمر هذا المنطق.. المغلوط.. في عالم يتحدث بأكثر من لسان.. ولأكثر من قناة.. حين يقبضون العون يكون في مفهومهم مساعدة..

وحين لايقبضون وحين يقبض الآخرون يتحول في قاموسهم الى رشوة..

لكأن العطاء لايباح الا في حق البعض.. وحين يتجاوزه او يتعداه يتحول الى لون من التعامل المحرم الذي يصعب مهادنته.. او التسليم به..

واذا كان هذا هو المنطق في تقرير الوقائع والاشياء على مسرح السياسة والتعامل الاقتصادى فإن التحديد لما يمكن قبوله .. اورفضه يصبح لوناً من العبث.. ونوعاً من الخداع يصعب القبول به لأن منطلقاته جاءت مهزوزة متشنجة.. وعاطفية بحتة..

ان الايدي التي تمتد لتصافح وتمد.. لم تكن في مصافحتها وعونها وليدة قتل لحرية الآخرين واختياراتهم.. دائما لإنماء قدراتهم.. ودفع شبح الحاجة والازمات..

وحين يكون العطاء على هذا النحو.. فإن من الأجدر ان تكون الأحكام مترفعة عن كل مايشين النوايا.. ويعكر صفوها وقابليتها للاستمرار.. ولكن.. تبقى عقدة المغالطة جزءاً من تركيب السياسة المغالطة التي تنطلق من اكثر من قناة.. ولأكثر من مفهوم.. ولأسوأ من قصد.

حصاد القلم

الكاتب العظيم هو الذي يزرع افكاره على ارضية صفحاته ليحصدها قراؤه ثمراً يانعاً ناضجاً خصباً..

وأفكار الكاتب تكاد تكون جزءاً من نهجه.. ومنهجه.. وايمانه بقدسية رسالة القلم.. والا كانت ذيولًا مصطنعة تتعرى.. وتتساقط عند كل سقطة.. وعند كل نقطة مواجهة امام محك الاختيار وقناعة القارىء بما يقرأ ليست امراً مطلقاً وعفوياً بعيداً عن ادراكه لحامل القلم.. وتصوراته عنه.. ذلك ان الصورة تكاد لاتنفصل .. وان العروة تكاد لاتنفصم بين ممارسة المفكر.. وبين عطائه..

وعلى الأرضية تبدو نوعية البذرة التي يطرحها القلم.. وعلى الأرضية ايضا تبدو نوعية الماء الذي تسقى به لكي يكون الحصاد على مستوى الجهد الخلاق.. وعلى مستوى المعطيات الفكرية المرغوبة والمطلوبة..

إن حصاد القلم ليس هواية نمارسها من اجل ان نكتب.. انها رسالة نؤديها من اجل أن نشارك في بناء الانسان قمة.. وقيمة .. نهجاً ومنهجاً.

والكاتب العظيم هو الذي يلج بأفكاره قلوب الناس دون ان يبحث عن مفتاح .. بل ودون ان يستأذن.

لاإكراه في الميول..

اطباق الطعام تتفاوت قيمة.. وطعماً.. ومثلها اطباق المتخصصات العلمية تتفاوت أيضا أهمية.. وحاجة..

كلنا يبحث عن اولادنا لأشهى طبق.. واغنى رغيف وأغلى قمة.. ولكن امانينا ورغباتنا وحدها ليست كافية لأن نختار نحن.. ونفرض نحن نو ع الطبق الذي يلتهمه أولادنا لبطونهم.. او لعقولهم .. لحصيلتهم أو لمحصلتهم..

من هنا فإن تشبثنا.. وبشكل الزامي قسري على اولادنا ان يكونوا اطباء مثلًا.. او مهندسين مثلًا.. أن نجبرهم على تخصصات نختارها نحن لهم دون مراعاة لميولهم.. وقدراتهم.. وتقبلهم أمر غير عملي.. ومرفوض لسبب بسيط هو اننا نقدم لهم الطبق الذي نختار وقد يكون الأثمن فما يجدون الرغبة في التهامه.. ونحرمهم من الطبق الاخف الذي يشتهون فما يجدون وسيلة الى أكله..

إن إعطاءنا لأولادنا حرية الاختيار في المستقبل الذي يطلبون ويأملون هو امضى أسلوب.. وأفضله للوصول الى نتائج ناجحة.. محققة للآمال وعلينا.. اذا ما اردنا لأولادنا كسب معركة التحصيل العلمي.. ان نكون معهم دفعاً.. ومباركة.. ومشاركة في تحقيق طموحاتهم.. وامانيهم دون تدخل يؤدي في الكثير من الحالات الى الارتباك.. ويفضي الى الفشل الذريع.. الذي لااحد يريده.. او يتمناه لأبنائه.

الى اين..؟!

الى اين نحن مسوقون في التضخم.. وغلاء الاسعار؟!!
سؤال يطرح نفسه في الحاح.. وبشكل متواتر.. ومتكاثر..
○ عود الأراك(السواك) بثلاثة ريالات..
○ النسخة من جريدة يوميه بريال.. والنسخة من مجلة اسبوعية او شهرية بأضعاف الاضعاف
○ الطاقية تصل الى مئات الريالات..
○ الحذاء بألف.. والنعال بنصف الألف

نماذج فقط.. او عينات فقط لجنون الاسعار.. والويل الويل لمن لايملك مسايرة هذا الاندفاع المجنون في الأرقام..

قد يقول القائل..

«انها القيمة الشرائية للعملة.. اي ان العملة لم يعد لها قيمة على لائحة البورصة..» وهذا صحيح .. فالذي يملك منذ عشرين عاماً عشرين الف ريال يملك الآن.. او يجب ان يملك عشرين مليوناً ليكون في وضع مشابه لوضعه الأول.. ولكن الكثيرين.. والكثيرين جدا ماكانوا في ماضيهم.. ولا في حاضرهم يملكون تلك الأرقام فما هو الحل؟!..

الحل.. سيبقى دون حل مادام نهم الأرباح.. والاستغلال سيفاً مصلتاً فوق رقاب المشترين دون ضابط يردعه.. ودون رقابة تحد من صلفه.. وجنونه والويل لمن تعجز دابته عن مسايرة القافلة.. انه سيجد نفسه مضطراً الى أن يجهز عليها ليطعم لحما.. ثم لاتكون هناك دابة تتحرك به..

وتلك هي المأساة

وانقلبت الآية

قال محدثي في خبث

○ كان الطلاق فيما مضى بأيدينا اما اليوم فإن العصمة بأيديهن.. او تكاد..

قال:

○ كان مستقبل المرأة رهن ارادة زوجها إن شاء طلقها .. وان شاء علقها فلم تكن في الماضي تملك حق النقاش.. ولا حتى الدفاع. لم تكن تملك حتى مجرد الشكوى حتى ولو كانت مظلومة.. اما اليوم فقد تغيرت الصورة تماماً عن سابقها.. اصبح للزوجة صوت مسموع قبل.. وبعد الزواج.. اكثر من هذا فقد طغى صوت الزوجة على صوت الزوج.. علت ارادتها فوق ارادته.. والذين يمعنون في زيجات اليوم.. وفي حالات الطلاق وهي كثيرة يدركون.. ويلمسون بأم اعينهم ان الزوجة في اغلبها كانت العنصر الفاعل والمؤثر في كل مايجري

قال:

○ ليس معنى هذا أن المرأة لم تكن مظلومة في الماضي.. مظلومة في زواجها بمن لا ترغب.. مظلومة في بيتها لسوء ما تلقاه من عنت ومشقة.. مظلومة في نظر زوجها اليها كقطعة اثاث يسهل احلال اخرى مكانها.. والى جانبها.. الا ان هذا لايعني أن تأخذ فتاة اليوم نفس الدور من الرفض او العياف،البعيد عن الواقعية..

انها تختار.. ثم تحتار ثم تحل .. وتصر على الانفصام بحثاً عن فارس أحلام جديد قد تكون له نفس النهاية..

قال محدثي:

○ كلتا الحالتين مثار قلق.. فلا الزوج وحده القادر على بناء عش الزوجية ورسم الحياة.. ولا الزوجة وحدها القادرة على ذلك.. ومن الأجدر ان تكون كفتي الميزان عادلة.. فلا الزوج يضطهد.. ولا الزوجة تدفع الى ما لا ترغب..

ويبقى العش سعيداً حين لا تطغى كفة على اخرى.

مؤشرات الرفض

«لا»

كلمة يرددها طفلي الصغير بمناسبة وبغير مناسبة.. أمام ما يهوى.. وامام مالايشتهي وكأنما كانت منه بمثابة المؤشر المرفوض لجيل الرفض «لا»

كلمة علقت في فمه فما استطاع بلعها الى حين. ولا استطاع لفظها والتخلي عنها الى زمن.. وانما يلوكها في فمه الصغير وعلى لسانه كما لو كانت قطعة شهية صعبة البلع.. وصعبة الطرح.. وصعبة النسيان أو التأجيل..

واذا كان جيلنا.. واجيال سبقتنا.. تعودت حتى في طفولتها الانتظار قبل ان تسبق زمانها وان تحكم عليه بالقبول.. او الرفض.. فإن مؤشر الجيل الذي بدأ يطرق ابواب الزمن تخلي عن هذه القاعدة في تمرد مشوب بالعناد.. وراح يعبر عن رفضه سابقاً لزمانه بعبارة«لا» الممطوطة.. وهزة الرأس التي تحمل نفس المعنى.. والتي توحى ان التعامل مع جيل قادم سوف يكون تعاملًا اشد جدلًا.. واشرس ترويضا.. بل واكثر صداماً.. وصداعاً للرأس..

واذا كانت بوادر الطفولة في احيان كثيرة لا تصح ان تكون قاعدة تبنى عليها الاحكام ولا الافتراضات المسبقة الا ان هذه البوادر من جيل الى آخر اعطت مسوحها وصبغتها لتميز بين طباع جيل.. وآخر.. ومن ثم فإنها بمثابة المؤشر لنوعية جديدة من الطباع.. والسلوكيات التي تولد تحت مخاض التغيير.. وتنمو على رضاع التمرد.. والرفض لما كان قبله.. ولما سيأتي..

وخوفي ان تكون كلمة«لا» المستمرة في فم صغيري.. وهزة الرأس المتصاعدة بداية المؤشر يعني ان جيل الرفض الرافض المرفوض بدأ يطل برأسة متحدياً حتى وهو يحبو على ركبتيه.. حتى وهو يجهل عن سذاجة ماذا تعني كلمة «لا» وماذا تعني «هزة الرأس».

واقعية العظة

الى اعوام قليلة خلت كان خطباء المساجد أيام الجمع يرجعون في تكرار خطب المخضوبي الى درجة أن البعض من المصلين حفظها عن ظهر قلب لكثرة ما سمعها.. والى درجة ان البعض اصبح يعرف مسبقا اية خطبة ستلقى.. واية موعظة ستقال وعلى الرغم من ان خطب الإمام المخضوبي لا غبار عليها رغم مرور مئات السنين الا انها قيلت في زمن لم تكن فيه الأحداث.. ولا المشاكل.. ولا المتغيرات بالشكل الذي نشهده في عالم اليوم ومن ثم فإنها أشبه بالعظة الملتزمة.. التي لاغنى عنها.. الا انها دون شك غير كافية لطرح المعايير الخطابية.. التي تعالج قضايا هذا العصر. وتطرح الحلول لمشاكله.. وبؤره..

ولقد برزت في الآونة الأخيرة اصوات واعظة واعية راحت من منطلق عقيدتها ومن منطلق وعيها وتلمسها لوقائع العصر تطرح الفكر الاسلامي بواقعية أسلوب جديد نحن في أمس الحاجة اليه.. واقعية الاسلام وارتباطه بالحياة.. بالمجتمع.. بالعمل .. بالحرية.. بالقضاء على المشاكل التي تتراكم في عالمنا.. والفوضى الضاربة الأطناب في تعاملنا..

واحسبنى مخلصاً اذا ما قلت اننا في أمس الحاجة الى وعي جديد.. وواقعية جديدة في أسلوب عظاتنا نفرغها.. ونخاطب بها عقول الناس ومداركهم التي تنتظر ان يكون الحديث معها هو الحديث عن شئونها وشجونها.. وبأبعاد روحية فاضلة

نحن في عصر يجب ان يكون تخاطبنا معه تخاطباً فاعلًا مؤثراً ومنتزعاً من احتياجاته.. وواقعه.. ووقائعه.. وفي ديننا السماوي الكريم الكثير مما يجب ان نقول.

السلام عليكم

السلام.. هو الحب.. الأمان.. الإيمان . حيث لا كراهية مع الحب.. لا خوف مع الطمأنينة.. لاشك مع اليقين..

السلام عليكم.. تحية يتحرك بها لساننا مع كل لقاء..

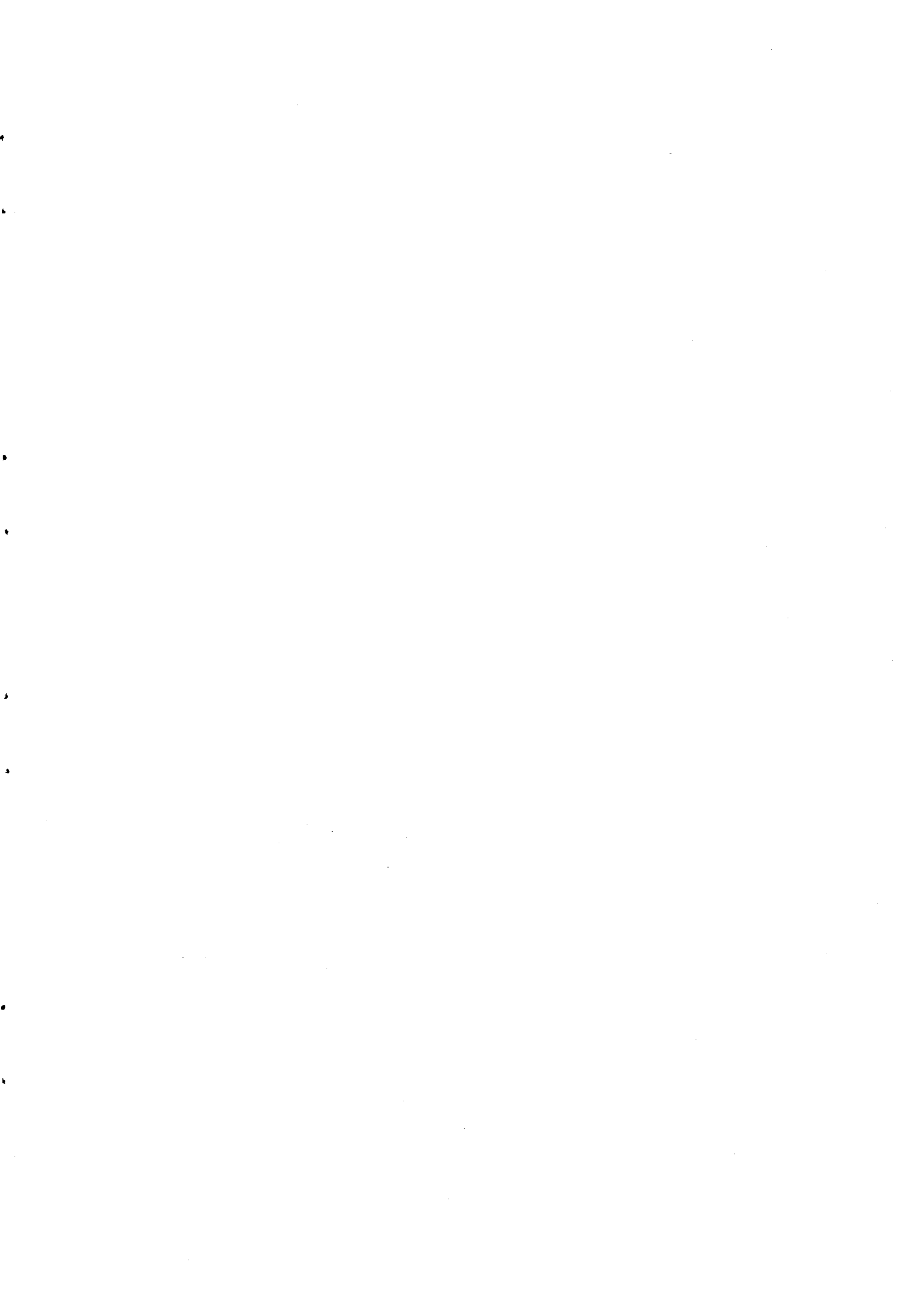
ستكون تحيتي الى القارىء مع لقائي به في هذه الزاوية الصغيرة تحيتي به.. ودعوتي اليه ان يكون لروح السلام وشموليته لروح المحبة ونقائها.. لكلمة الخير ومدلولها المنفذ والطريق للعبور.. الى اعماق اعماقنا..

السلام عليكم.. لانريدها مجرد عبارة نقذف بها كما يقذف الصغير بحجر اعترض طريقه..

السلام عليك .. لا نريدها تقليدا ورثناه.. وانما نطلبها مضمونا فهمناه.. وعمقناه في حياتنا..

السلام عليكم نطلبه جسرا ممتدا طويلا يربط بين المشاعر والمشاعر.. يربط بين الاسر والافراد والجماعات شعارا لصحوة الضمير.. استشعارا بالمحبة من اجل كل الناس

السلام عليكم.. همسات قصيرة متواضعة على صفحات الجزيرة فيها الامل.. فيها الرجاء.. والثقة في ان يسود السلام كل جنبات حياتنا.. كل الدنيا.



فهرس الموضوعات

كتب للمؤلف مهياه للطبع

١- خاطرة البردوني
٢- عن الحقيقة
٣- في موكب الاشعاع
٤- اعاصير في الحب والحياه
٥- مع الناس
٦- عبقري المدينة
٧- رسائل إلى نازك
٨- فكرة .. ومأساة
٩- أحاسيس من الصحراء
١٠- نفحات .. وزوابع
١١- قصص تافهه
١٢- قصة ملاك
١٣- اجنحة انسان
١٤- اشياء صغيره
١٥- الجراح حين تتكلم
١٦- مثل شعبي في قصه .



صدر عن
الجمعية العربية السعودية
للثقافة والفنون
إدارة الثقافة
هاتف : ٤٧٧٩٠٥٩
ص.ب ٣٦٥٩ - الرياض